ساكن مكة المكرمة

منزلته ومسؤوليته

الطبعة الثانية

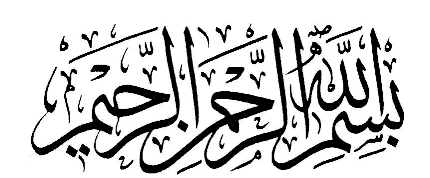
١٤٢٥هـ

المدرسة المدنية
(٢١)

ساكن مكة المكرمة

منزلته ، ومسؤوليته

الفقير إلى رحمة ربه
خليل بن إبراهيم ملا خاطر العزَّامي
نزيلُ المدينة المنورة


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا ؛ محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا ، إنك أنت العليم الحكيم .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً .

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ، وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً فيسِّر لنا أمورنا ، واختم لنا بالسعادة إنك على كل شيء قدير .

أما بعد .

فإني لما كتبتُ : (ساكن المدينة المنورة) رغب إليَّ بعضُ الأخوة الكرام أن أكتب : (ساكن مكة المكرمة) ليكون مكمِّلاً لذلك ، فوجدتُ الاقتراح مناسباً ، خاصة وقد كتبتُ في مكة المكرمة ما كتبتُ في المدينة المنورة .

لذا أقول : يا ساكني مكة ، إني لستُ معلِّماً لكم ، فأنتم أعلم بما أقول مني ، لكني مذكِّر ، إني لستُ مدرساً ، لكني باحث معكم منزلةَ هذه البلدة المكرمة المباركة ، ومنزلةَ أهلها ، ومسؤوليةَ ساكنيها .

لذا فإني سأتحدث إليكم حديثَ القلب للقلب ، والنفس للنفس ، والروح للروح ،...

إن حديثي سيكون ـ بإذن الله تعالى ـ شاملاً لكل ساكن في هذه البلدة المكرمة ؛ من أمير ومأمور ،... من مدير وموظف ، من وزير وموزور ،... من مدرس وطالب ،

من عالم ومتعلم ،... من مدني وعسكري ، من قاطن ومهاجر ومقيم ، من كبير وصغير ، من رجل وأنثى ، من تاجر وأجير ، من صانع ومزارع ، من رب عمل وعامل ،... لأن الله تعالى يقول على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾(1) فنسبهم إليه ، وقال الله عز وجل : ﴿ ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ﴾(2) فسوَّىٰ بينهم ،... ولأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « أهل مكة » فنسبهم إليها ، ولم يخص أحداً منهم بالذكر ، فكل من رضي أن يكون من ساكنيها ممن هو فيها : فهو من أهلها .

لذا سأجعل حديثي معكم ـ إن شاء الله عز وجل ـ يشمل أمرين اثنين ؛ فضائلَ مكة المكرمة وساكنيها ، ومسؤوليةَ ساكن مكة .

إن الحديث عن مكة المكرمة يحلو بقدر محبة المتكلم عنها لها ، كما يحلو بقدر محبة السامع لها ، كيف لا وهي حرم الله تعالى ، وفيها بيته ، فهو الذي حرَّمها ، ولم يحرِّمها الناسُ ، جعلها مركزَ الأرض ، وقطبَ الرحى ، واختارها الله جلت قدرته منذ الأزل لتكون مهوىٰ الأفئدة ، ومستقبلَ القلوب ، وقِبلةَ الوجوه ، وأولَ الحرمين ، وأولَ بيت وضعه للناس في الأرض ، وجعلها مولدَ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ومنشأَه ، ومبتدأَ مبعثه ورسالته ، وأتاها ويأتيها كلُّ رسول ، وأعاد بناءَ بيت الله تعالى فيها : سيدُ الرسل بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، جعلها محطَّ أولِ نبيٍّ ، وآخرِ رسولٍ عليهما السلام .

واختصها الله تعالى لتكون موطنَ خير البشر مع سيد البشر صلى الله عليه

(1) سورة البقرة (١٢٦).

(2) سورة الحج (٢٥).

وآله وسلَّم ، فالمهاجرون كلهم منها ، وأسيادُ الناس يوم القيامة بعد الأنبياء عليهم السلام كلهم منها ،... لذا جعل فيها من الفضائل والمكارم ما لا يوجد في بلد آخر ؛ إلا ما كان في المدينة المنورة ، فهما عينان في رأس .

إن لله تعالى خواصّ في الأزمنة والأمكنة والأشخاص :

خصَّ البشرَ على كثير من الخلق ، وخصَّ الأنبياءَ عليهم السلام من سائر البشرية ، وخصَّ الرسلَ عليهم السلام من سائر الأنبياء ، وخصَّ الله تعالى أولي العزم عليهم السلام من سائر الرسل ، وخصَّ النبيَّ المصطفى الكريمَ صلى الله عليه وآله وسلَّم من أولي العزم ، وخصَّ هذه الأمةَ من سائر البشر ، وخصَّ منها أولياءَها ، وخصَّ القرونَ المفضلةَ على سائر قرون الخليقة ،...إلخ.

وخصَّ من الزمان الكثيرَ ؛ خصَّ شهرَ رمضان ، وليلةَ القدر فيه ، وليلةَ الجمعة ، ويومَها ، وساعةَ الإجابة فيها ، ويومَ عرفة ، والعشرَ من ذي الحجة ،... إلى غير ذلك .

وخصَّ من المكان الكثير ؛ فقد خصّ الحرمين الشريفين ، وبيتَ المقدس ،... والمساجدَ من الأرض ،... بل خصَّ في الحرمين الشريفين الكثير ؛ من جبال وأودية ومياه وثمار ،... وخصَّ في مكة : الكعبةَ ، المشرفةَ ، والحَجَرَ ، والحِجْرَ ، والمقامَ ، وزمزم ، وبعضَ المساجد ،...إلخ.

لكني لا أستطيع أن أتحدث عن مزايا مكة المكرمة ، وفضائلها ، في هذه الرسالة المختصرة بشكل مستوعِب ، وكيف أستطيع ذلك ؛ وقد اختارها الله تعالى منذ الأزل لتكونَ حرَمَه ، وموضعَ بيته ، ومولد رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومنشئه ومبعثه ، ومبعثَ النور الذي شع على البشرية كلها ،

وشمل الأرضَ ، بل شمل غيرَها ، وجعل فيها من الخيرات والمبرات ؛ الشيءَ الذي يعجز الإنسان عن حصره .

كما أني لا أستطيع أن أُوَفِّيَ أهلَ مكة حقَّهم ؛ من الفضل والمنزلة والمكانة ، كيف وقد اختارهم الله تعالى ليكونوا أهلَ حرمه ؛ الذين هم أهلُه ، وجيرانُ بيته ، وأهلُ رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وعشيرتُه ، وفيهم خيارُ هذه الأمة ، بل خيارُ الخلق كلهم بعد رسولهم الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وأنبياءِ الله تعالى عليهم السلام .

خاصة ؛ وقد كتبتُ (فضائل مكة المكرمة) ثم كتبت : (مختصر فضائل مكة المكرمة) أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل لها القبولَ عنده ، إنه جواد كريم .

لكن حسبي أن أذكرَ هنا خلاصةً ؛ أبين فيها فضلَ هذه المدينة المكرمة ، وفضلَ أهلها ، من باب التقريب والتيسير ، والذي أرجو أن يكون القليلُ دالّاً على الكثير ، والإشارةُ تدل على العبارة ، والإجمالُ يدل على التفصيل ، فهذا هو عذري لمكة أولاً ، ثم لأهلها ثانياً .

ثم أذكر المسؤوليةَ الملقاةَ على عاتق أهل مكة المكرمة عموماً ؛ سواء تجاه مكة ـ البلدة ـ وأهلِها من ناحية ، أو تجاه وفد الله تعالى ، وضيوفِه وزوَّارِ بيته من ناحية أخرى ، وذلك من باب : الغُرم بالغُنم ، فيكون : كيف يتعاملُ أهلُ الله مع وفد الله وضيوفه .

ولهذا جعلتُ هذه الرسالة في فصلين :

الفصل الأول : فضائل مكة المكرمة وساكنيها . وفيه مبحثان .

الفصل الثاني : مسؤولية ساكن مكة المكرمة . وفيه مبحثان أيضاً

ويكون ذلك كله ـ إن شاء الله تعالى ـ بشكل مختصر جدّاً . لأن القصدَ هو التنبيه والإشارة ، وليس الاستقصاء ،... ليكون سهلاً لكل راغب وقارئ إن شاء الله تعالى .

أسأل الله جل جلاله التوفيقَ والسدادَ والحفظَ ، وأن يلهمني قولَ الحقِّ والصواب ، وأن يكرمني تعالى بثبوت الجنان ، وشرح الصدر .

﴿ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴾[1].

كما أسأله تعالى المبتدئَ لنا بنعمه قبل استحقاقها ، المديمَها علينا بإفضاله مع تقصيرنا ، الجاعلَنا في خير أمة أُخرجت للناس ؛ أن يأخذ بأسماعنا وأبصارنا وقلوبنا وألسنتنا إلى طاعته ، وأن يملك لنا أنفسَنا وألسنَتَنا وجميعَ جوارحنا عما يخالف طاعتَه ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا ، فإنه إذا وكلنا إليها وكلنا إلى غير كافٍ ، وأن يحضرنا بالعصمة والتوفيق ، وينطق ألسنتنا بالحق الذي لا تخلطه الشبه ، ولا تميل به الأهواء ، ولا تخونه الغفلات ، وأن يقينا الزللَ والخللَ ، إنه جواد كريم رحيم .

كما أسأله تعالى أن يرزقنا الصدقَ في القول ، والإخلاصَ في العمل ، والحفظ والسلامة والأمان ، والصحة في الأبدان ، فيما بقي في العمر من أيام ، وأسأله تعالى المغفرةَ والقبولَ ، لي ولوالِدَيَّ ولوالِدِ والدَيَّ ، ولزوجي ، وأولادي ، وأحفادي ، ولمن يلوذ بي ، إنه جوادٌ كريم ، رؤوفٌ رحيمٌ .

كما أسأله تعالى أن يجعل هذه الرسالة ، وغيرَها من كتبي خالصةً لوجهه الكريم ، وأن يقيها طوارقَ الإنس والجان ، ويحميها من عين حاسد وشنآن ، وأن ينفع بها ؛ من قرأها أو سمعها ، وأن يدَّخرها لي ولوالِدَيّ ، ليوم لا ينفع فيه

---

(١) سورة طه (٢٥ – ٢٨).

مال ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلب سليم ، إنه جواد كريم ، وبالمؤمنين رؤوف رحيم .

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1] .

وصلى الله على سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

والحمد لله رب العالمين

المدينة المنورة ، رمضان ١٤٢٢هـ

وكتب

أبو إبراهيم

خليل إبراهيم مُلا خاطر العزَّامي

نزيل المدينة المنورة

☆☆☆☆☆

---

(١) سورة النمل (١٩).

الفصل الأول

فضائل مكّة المكرّمة وساكنيها

وفيه مبحثان

المبحث الأول: فضائل مكّة المكرّمة على الإجمال

المبحث الثاني: منزلة ساكني مكّة المكرّمة المباركة



الفصل الأول
فضائل مكّة المكرّمة وساكنيها

لن أستطيع أن أتحدثَ عن : (فضائل مكة المكرمة) كلها بشكل موسع ، لأن ذلك يحتاج إلى وقت طويل ، وصبر جميل ، ومجلدات كثيرة ، وما أقوم به الآن إنما هو مختصر لفضائلها ومناقبها ومزاياها ، وكذا مناقب وفضائل ساكنيها ، وقد أفردتُ لها كتاباً كبيراً خاصّاً بها ثم لخَّصتُه في مجلد لطيف ، كما فعلت في (فضائل المدينة المنورة) حيث أفردتها في ثلاث مجلدات .

كما أني لن أستطيع أن أتحدث عن أهل مكة وساكنيها ؛ سواء من المهاجرين خصوصاً رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل ، أو سكانها على وجه العموم ، وقد ذكرتُ فضائلَ المهاجرين رضي الله تعالى عنهم ، ضمن فضائل الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم .

لكني سألخص ما فيها من فضائل ومناقب ، على سبيل الإجمال ، من غير تفصيل ، ولا تدليل ، إنما هو للتذكير ببعض ما فيها ، سواء كان ذلك في ذاتها ، أو حُرمتها ، أو منزلتها ومكانتها ،... أو أماكنها ، أو مسجدها ، أو جبالها ، وأوديتها ، أو مقبرتها ،...إلخ. ومن أراد معرفةَ ما فيها فلينظر في تلك الكتب .

كما أني سأتحدَّثُ عن فضائل ساكني مكة المكرمة ، ومنزلتهم ، لكن باختصار شديد أيضاً ، لأن القصدَ هو التنبيهُ ، والإشارة ، لا الاستقصاء والتفصيل ، لكن ما أذكره في هذا الفصل إنما هو خلاصة ما هو موجود في المطول ، لذا فإني سأذكر

بعض النصوص من غير شرح ولا تعليق ، ولا تفصيل غالباً ، ولا ذكر خلاف ، أو استنباط ، إنما هو ذكر العنوان مع شرح مبسط له ، ثم ذكر نص أو اثنين كدليل له ، وذلك لأني أرجو : أن تكون هذه الرسالة في متناول كل يد ؛ ممن يسكن مكة ، أو يريد ، راجياً من الله تعالى قبولها .

وقد جعلتُ هذا الفصلَ في مبحثين :

المبحث الأول : فضائل مكة المكرمة على الإجمال .

المبحث الثاني : منزلة ساكني مكة المكرمة ، باختصار .

راجياً من الله تعالى أن يرزقني الصدقَ في القول ، والإخلاصَ في العمل ، وأن يلهمني القولَ السديد ، والأمرَ الرشيد ، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، إنه نعم المولىٰ ونعم النصير ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

☆☆☆☆☆

المبحث الأول
فضائل مكّة المكرّمة على الإجمال

لقد جعل الله تعالى لكل نبيٍّ من أنبيائه حرماً يأوي إليه ، وخصَّه بما يتناسب ومكانة ذلك النبي عنده ، وقد جعل الله تعالى مكةَ المكرمةَ حرَمَه ، وفيها بيته ، فعيَّن وجودَه وحدَّده ، فبناه الملائكة في الأرض ، قبل أن يبنيه الإنسان ، ثم بناه آدمُ عليه السلام ، ولما اندرس بوَّأَ الله تعالى مكانَه لسيد الأنبياء ، بعد نبينا المصطفى الكريم ؛ إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، فبناه ، ورفع قواعدَه ، بمساعدة جدِّ نبينا الكريم إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، وأُسس على التقوىٰ ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] .

وأسكن إبراهيمُ عليه السلام فيها ولدَه ، ووحيدَه ؛ وثمرةَ فؤاده ، وأحبَّ الخلق إلى قلبه (وهو إسماعيل عليه السلام مع أمه هاجر رضي الله عنها) ودعا إبراهيم عليه السلام لهم بدعوات متعددة ، من الرزق والإلف ، والكثرة ، كما قال الله سبحانه وتعالى على لسانه عليه السلام : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[2] .

وقال سبحانه وتعالى على لسانه عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ

---

(١) سورة البقرة (١٢٧) .

(٢) سورة إبراهيم (٣٧) .

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

فكان الولد الأول الذي أسكنه إبراهيم فيها : هو إسماعيل عليهما السلام . وهو الذي أُمر في المنام بذبحه ، كما أوضحته في بر الوالدين .

وكان ولده الأخير الذي دعا إبراهيم عليه السلام ببعثته في مكة : هو سيد الخلق أجمعين ، وهو نبينا المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

لذا كانت **مكةُ المكرمةُ** : حرمَ إبراهيم عليه السلام ، وبه عُرفت ، ثم حرمَ إسماعيل عليه السلام ، ثم وُلد وشبَّ ونشأ وترعرع فيها دعوةُ إبراهيم عليه السلام ، وهو النبي المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فهي :

مدينةٌ : هي حرمُ الله تعالى ؛ حرَّمها الله تعالى يومَ خلق السمٰوات والأرض ، ولم يحرِّمها الناس ، وأظهر تحريمَها على لسان أبي الأنبياء ؛ إبراهيم عليه السلام ، وأكد النبيُّ المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم تحريمَها ، وحدَّد معالمها ، فحرَّم كلَّ شيء فيه ، لا يُنفَّرُ ولا يصاد صيدُها ، ولا تُلتقط لقطتُها ، ولا يعضدُ شجرها ، ولا يُقطع سدرُها ، ولا يُختلىٰ خَلاها ، ولا يُحمل فيها سلاحٌ لقتال ، ولا يسفك فيها دمٌ ،... ولا تَزال مُحَرَّمةً إلى يوم القيامة ، إنما أحلها الله تعالى لرسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ساعةً من نهار ؛ ليطهِّرها ، ثم عادت حُرمتُها ،... كما كانت مُحرمةً ، إلى يوم القيامة .

مدينةٌ : أحفَّها الله عز وجل بالملائكة الكرام ، ومنعها من الجبابرة العظام ، وحماها من الطاعون ، وحفظها من الدجال ،... وحرسها من الأعداء اللئام ، فلن تُغزىٰ إلى يوم القيامة ، وأيما جبار أرادها بسوء : قصمه الله تعالى ، هي أرضُ الله

(١) سورة البقرة (١٢٩).

تعالى وحرمُه ، أنزل الله تعالى الرحمةَ على كعبتها ، وفاضَل في الأعمال الصالحة فيها ،... وأحلَّها لرسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ليطهرها ، وجعل الإيمانَ يأرز إليها ، بعد أن يأرز بين المسجدين في الحجاز ،... وستبقىٰ عامرةً إلى قبيل قيام الساعة ، وسيبقى الحج فيها إلى ما بعد يأجوج ومأجوج ، وتكون هي والمدينةُ آخرَ قرى الإسلام خراباً ، وشرع دخولَها ليلاً أو نهاراً ؛ لمن كان من غير أهلها ، ويُستحب أن يدخلَها أهلُها نهاراً ؛ فإن أتاها ليلاً نزل بطرفها حتى يصبح ، وعظَّمَها في نفوس الخلق ، ولن يستبيحها أحدٌ قبل أهلها ، فإذا استحلوها : هدم كعبتَها ذو السويقتين من الحبشة ، وأباح قتلَ الفاسق من الدواب فيها .

مدينة : جعل الله تعالى كعبتَها قبلةً للمسلمين أينما كانوا ، فمن كان في مسجدها تعين وجه الكعبة ، ولا يصح انحرافه عنها ، ومن كان فيها تعين مسجدها ، ومن كان خارجاً عن مكة تعينت له مكة ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[1] .

مدينة ؛ قد أيس الشيطان أن يُعبد فيها ، من آذىٰ العائذَ بالبيت قصمه الله تعالى ، ومن أراد أهلَها بسوء ، أو أخافهم ، أو عزم على الإلحاد فيها عاقبه الله تعالى ، ولو كان في أقصى الأرض ، ولقد جعل احتكارَ الطعام فيها إلحاداً ، وجعل أبغضَ الناس إليه تعالى الملحدَ فيها ، ومن استحلها دمَّره الله تعالى ، لأن الحرمَ لا يعيذ عاصياً ، وسيُخسف بالجيش إذا غزاها في آخر الزمان ، ومن مات فيها بُعث من الآمنين .

---

(١) سورة البقرة (١٥٠).

مدينةٌ : يباهي الله تعالى بطائفي بيتها الملائكةَ ، وأهلُها لا يزالون بخير ما عظَّموا هذه البَنِيّة ، وهم مدَلَّلون عند الله عز وجل ، ولهم منزلة عالية ، فهم أهل الله عز شأنه ، وجيرانُ بيته ، وساكنوه ، جعل من صفاتهم لا يأكلون الربا ، ومن أراد تعظيمَها ـ وهو خارجها ـ دخلها مُحرِماً ، لذا وقع العذاب على من أراد مالَ كعبتها ؛ فلما أحرم وغيَّر قصدَه رُفع عنه العذاب .

مدينةٌ : جعل الله تعالى قلوبَ المؤمنين تهواها وتحبها ، وبخاصة الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، من آدم حتى عيسى عليهم السلام ، ثم أتم الله سبحانه وتعالى نعمته تلك على مكة ، بقول رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث قال لها ـ وهو بالحَزْوَرَة ـ : « والله إنكِ لخيرُ أرض الله ، وأحبُّ أرض الله إلى الله ، ولولا أني أُخرجتُ منكِ ما خرجت ». كما رواه أحمد والدارمي والنسائي وعبد بن حُميد ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم ، ورواه آخرون[1].

مدينة : كانت الأنبياءُ عليهم السلام تدخلها حفاةً ، مشاةً ، وقد أَهَلَّ إليها : يونسُ وموسى وعيسى ،... وغيرُهم ، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، ومن أتاها ـ فلم يرفث ولم يفسق ـ رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، ومن صام فيها ،

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٣٠٥) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب ما جاء في فضل مكة ، رقم (٣٩٢٥) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الحج : باب فضل مكة (٢ : ٤٧٩ – ٤٨٠) وسنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب ما جاء في فضل مكة ، رقم (٣١٠٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٢) والمستدرك (٣ : ٧ ، ٢٨٠ ، ٤٣١) وسنن الدارمي (٢ : ١٥٦ رقم ٢٥١٣) ومسند عبد بن حُميد (١٧٧ – ١٧٨) ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ١٠٦) وورد بنحوه من حديث ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم . وسيأتي ذكره إن شاء الله تعالى .

فكأنما صام ألفَ شهر فيما سواها .

وإذا خص الله عز وجل الشامَ بإسحٰق ولدِ إبراهيم ، ومِن بعدِهما بيعقوب وأولادِه عليهم السلام ، فإن الله جل شأنه خص هذه **المدينةَ المكرمةَ** بإسماعيل ولدِ إبراهيم عليهما السلام ، وأكمَل ذلك بخير خلقه وسيدِ رسله النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فجعلها موطنَ مولده ومنشئِه ، ومبدأً بعثتِه ورسالتِه ،... فكان نورُه صلى الله عليه وآله وسلَّم يعادل أنوارَ الجميع ، ودينُه صلى الله عليه وآله وسلَّم ظاهراً على ديانات الجميع ، ورسالتُه ناسخةً لرسائل الجميع ، وكتابُه مهيمناً على كتب الجميع ،... وكانت أُمَّتُه صلى الله عليه وآله وسلَّم خاتمةً للأمم كلها ، وهي خيرُها ، وأفضلُها ، وأشرفُها ، وهي الشاهدةُ ، والشاكرة ،... فمنها سادات المسلمين ، ومنها العشرةُ المبشرون ، ومنها سيدا شباب أهل الجنة ، وسيدا كهول أهل الجنة ، وسيدُ شهداء هذه الأمة ، وسيدةُ نساء الجنة ، وسيدةُ نساء هذه الأمة ،... رضي الله تعالى عنهم ، ومن ثم اكتمل ذلك العقد بسيد الخلق كلهم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

مدينة : جعلها الله عز وجل أمَّ القرى ، ومركزَ الأرض ، وقطبَ الرحى ، جعل فيها أولَ بيت وُضع للناس ، وجعل الله مسجدَها أولَ مسجد بُني للعبادة في الأرض ،... وهو أول مساجد الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، جعله الله تعالى مثابةً للناس وأمناً ، وموئلاً للعاكف فيه والباد ، وأمر تعالى بتطهيره ؛ للطائفين والعاكفين والركع السجود ، ومن دخله كان آمناً ، وجعل المقامَ فيه من الجنة ، والحَجَرَ من الجنة ، له عينان يبصر بهما ، ولسانٌ ينطق به ؛ يشهد لمن استلمه بحق ، ضاعف أجرَ الصلاة فيها ،... فهي خيرٌ من مائة ألف صلاة

فيما سواه ، سوىٰ المسجدِ النبوي والمسجدِ الأقصى ، وجعل مسجدَها أحدَ المساجد التي يُشرَع شدُّ الرحل إليه ، وجُعل فيه خير كثير ، ومن نذر الاعتكافَ فيه تعين عليه ، ولا ينوب عنه إلا المسجد النبوي عند الإمام مالك وآخرين رحمهم الله تعالى .

مدينة : جُعل الحج فيها في أَشْهُر معلومات ، وأوجب الله تعالى على كل مسلم قادر الحجَّ إليها ، والاعتمار ،... وشرع العمرةَ في كل زمان ، وضاعف أجرَها في شهر رمضان ، وأوجب تعظيم شعائر الله تعالى فيها ، وأمر الله جل شأنه إبراهيمَ عليه السلام أن يُؤَذِّن في الناس بالحج ؛ يأتوه من كل فج عميق ، ليشهدوا منافع لهم ،... وجعل فيها وحولها كثيراً من شعائر الله عز وجل ، وكثيراً من آيات الله جل وعز البينات ،... وأوجب الله تعالى إخلاصَ النية فيها ، وحسنَ القصد في الفعل ، وخفف الله سبحانه وتعالى عن حاضري المسجد الحرام ، وقُبر في مسجد خَيفها سبعون نبياً .

مدينة : من دخلها : بدأ بمسجدها قبل كل شيء ، وطاف بالبيت فيها ، ويجب عند وداعها ، إلا أنه خُفف عن الحائض والنفساء ، ومن طاف ببيتها سبعاً : كُتب له بكل خطوة حسنةٌ ، ومُحيت عنه سيئةٌ ، ورفعت له درجةٌ ، وكان له عدلُ رقبة ، ومن حج بيتَها من غير فسق ولا رفث ؛ كُفِّرت سيئاتُه ، ورجع كيوم ولدته أمُّه ، وليس له جزاء إلا الجنة ، وكان أفضلَ من الجهاد ،... كيف ومسحُ الركنين يَحطُّ الخطايا والذنوب .

مدينة : جعل الله جل شأنه العمرةَ إلى العمرة كفارةً لما بينهما ، وجعل التتابعَ بين الحج والعمرة : ينفيان الفقرَ والذنوبَ ؛ كما ينفي الكيرُ خبثَ الحديد والذهب

والفضة ،... ولا يُعلم في الأرض موضعٌ يسن تقبيلُه ، والاحتفاءُ به إلا حَجَرها ، لذا كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا أتاه بكىٰ ، واستلمه وقبَّله ، واحتفى به ، ويقول : « هٰهنا تُسكب العَبَرات »[1] ويسن التكبير عنده .

مدينة : يجاب الدعاءُ عند رؤية كعبتها وبيتها ، ويسن الدعاءُ عند ركنها ، والصلاةُ في حِجْرِها كالصلاة في كعبتها ـ لأنه جزء منها ـ لذا يلزم الطوافُ من ورائه ، ويباح الكلامُ في الطواف ، كما شُرع صلاةُ النافلة في جوف الكعبة ، والدعاءُ فيها ، ومن دخل كعبتَها : لا يرفع بصرَه فيها ، ويباح الطوافُ والصلاةُ في مكة في كل وقت ،... ولم يشرع المزاحمة على الحَجَر ، فإذا حصل الزحام أشار إليه بمحجن أو بيده ثم ينصرف .

مدينة : أمر الله عز وجل باتخاذ مقامها مُصَلّى ، فهو في مكانه إلى يومنا هذا ، وأكرم الله جل شأنه هذه الأمةَ برسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فوضع الحجَرَ في موضعه ، فقضىٰ على فتنة كادت تعصف بها ، ولم يُوضع في الكعبة إلا الحلال من المال قبل الإسلام في بنائها ، وقد هَمَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بإعادة بناء كعبتها كما كانت ، لولا أن قومَها حديثو عهد بالجاهلية ، ولما هَمَّ بعضُ الخلفاء من بني العباس بفعل ذلك نهاهم الإمامُ مالك رحمه الله تعالى ؛... خشيةَ أن يتلاعب به الناس والحكام بعد ذلك ، وأكرم الله سبحانه وتعالى سدنَتَها بوضع المفتاح عندهم ، لا ينزعه منهم إلا ظالم ، فهو في أيديهم إلى يومنا هذا ، وإلى قيام الساعة .

(١) سنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب استلام الحَجَر ، رقم (٢٩٤٥) والمستدرك (١ : ٤٥٤) وصححه وأقره الذهبي ، وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٢١٢) وأخبار مكة للفاكهي (١ : ١١٤ – ١١٥).

مدينة : جعلها الله تعالى بلدَ الصدق ، فانبعث منها النور ، وبُعث فيها الرسول المصطفى الأمين صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فشمل ذلك المعمورةَ كلها .

مدينة : شملتها وأهلَها رحمةُ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم مرات :

شملتها يوم رفض صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يَطبِق عليهم مَلَكُ الجبال الأخشبين ، يوم عودته صلى الله عليه وآله وسلَّم من الطائف .

كما شملتهم يوم جعله الله عز وجل أماناً للبشرية كلها ، وذلك بسببهم ، كما حكىٰ الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ فأجابهم الله تعالى بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[1] كما في حديث أنس رضي الله عنه المتفق عليه[2].

كما شملتهم باعتذاره صلى الله عليه وآله وسلَّم عنهم ما فعلوا به يوم أحد ،...إلخ.

كما شملتهم يوم جاءه صلى الله عليه وآله وسلَّم أبو سفيان قبل إسلامه ؛ يسأله أن يدعو لهم ، عندما أصابهم القحطُ الشديد ،... حتى رأوا الدخان في النهار ، فدعا صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم فسُقوا .

كما شملتهم من جديد ،... حين خرج صلى الله عليه وآله وسلَّم منها مهاجراً ، فعاد صلى الله عليه وآله وسلَّم إليها فاتحاً ، رحيماً رؤوفاً ، مُعظِّماً معزِّزاً مكرِّماً ،...

---

(١) سورة الأنفال (٣٢ – ٣٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الأنفال : باب : ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ... ﴾. وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ ﴾، رقم (٣٧).

فدخلها صلى الله عليه وآله وسلَّم مطأطئ الرأس ، خاشعاً ، شاكراً لله تعالى ، قارئاً سورة الفتح ، ومعه صلى الله عليه وآله وسلَّم مَن وقع أجرُه على الله عز وجل وهم : المهاجرون ، وأنصارُ الله تعالى وأنصارُ رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ورضي الله عنهم ، ففتحت قلبَها له صلى الله عليه وآله وسلَّم من جديد لاحتضانه ، ومدت ذراعيها لاستقباله ، وحنَّت حنينَ الواله التي رأت عزيزَها وغاليَها ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم لأبي سفيان ـ وقد شكىٰ إليه ما قال سعدُ بن عبادة رضي الله عنه ـ : « هذا يوم يعظِّم الله فيه الكعبةَ ، ويوم تُكسىٰ فيه الكعبة ». وعند أهل المغازي : « اليوم يوم المرحمة ، اليوم يُعزُّ الله فيه قريشاً »[1]. وإعزاز قريش : هو إعزازٌ لمكة ، لأنهم أهلها .

كما شملتهم تلك الرحمة المهداة أيضاً حين قال صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم يوم الفتح : « ما تظنون أني فاعل بكم ؟ ». فقالوا : أخ كريم وابن أخ كريم . فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » فعظمت الكعبةُ ، وعظمت الحُرمة ، وعزَّت قريشٌ ـ وهم أهل مكة ـ بالإسلام ، لذا فمن أرادهم بسوء نال العثار والدمار .

مدينة : يدافع الله عز وجل عنها ، فقد حبس عنها الفيل ، وأهلك جيش الغزاة الأحابيش (أصحاب الفيل)،... وأرسل الصواعقَ لحرق المنجنيق ،... وأرسل الرياح على تُبَّعٍ ؛ عندما هم بالاستيلاء على كنز كعبتها ، حتى تاب وأناب ، ورجع عن قصده ، وأحرم ، فجاء معظِّماً البيتَ ، فزال عنه البلاء ،... وأشل يدَ رجل أراد من عاذت بالبيت ، فبقي مشلولاً ؛ حتى مات ،... ومسخ إسافَ ونائلة حَجَرين ،

(١) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب أين ركز النبي ﷺ الرايةَ يوم الفتح ، وانظر فتح الباري (٨ : ٩).

عندما فجرا في جوف الكعبة ، فصارا عبرةً للمخلوقات ،... وأهلك بالغرق الحملتين الصليبيتين عندما أرادوا الفساد .

ومن محافظته عز وجل عليها : أنها لن تُغزىٰ على الإسلام إلى يوم القيامة ، ولن يُقتل فيها قرشيٌّ صبراً بعد فتحها ، إلى يوم القيامة ، لذا كفَّ أيديَ المسلمين عنها مرتين ؛ عند الحديبية ، وعند الفتح ، ومع هذا فلن تسلم من الفتن على مر الزمان ، لذا سيتركها أهلُها في آخر الزمان ، بل سيتكرر خروجُهم .

مدينة : طهرها الله تعالى من الشرك والارتداد ، فأزال رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الأصنامَ والأوثان من الكعبة وحولها بإشارته وتحطمت واندقت بقوسه ،... ومحا الصور التي رسمها المشركون في جوف الكعبة ، وأمر صلى الله عليه وآله وسلَّم بغسلها ،... وقضىٰ صلى الله عليه وآله وسلَّم على كلِّ ما كان أوحاه الشيطان إلى قريش في جاهليتها ، فلا طواف لعُرْيان ، ولا حجَّ لمشركٍ بعد الآن ،...

مدينة : حرم دخول الكفار إليها ، فلا يدخلها كافر أو مشرك إلى يوم القيامة ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ ﴾[1].

ويحرم الإلحاد فيها والإحداث ، ومن ألحد فيها فله العذاب الأليم ، عظَّم الله جلت قدرته معالِـمَها ، وعظَّم المعصيةَ فيها ، وضاعف عقوبة فاعلها ، وإثمَ مرتكبها ، فأوجب العقوبةَ على من صاد فيها ، أو قطع شجراً أو كلأً ، كما يُكتب فيها الهمُّ والعزم ، جعل كثيراً من أماكنها مباركةً ، وأجزاءً منها من الجنة ،... وبينها

---

(١) سورة التوبة (٢٨).

وبين المدينة المنورة : أماكنُ كثيرة مباركة ، وجعلها مناخاً لمن سبق ،... وشُرع الدخولُ إليها من طريق ـ وهو من الثنية العليا ـ والخروج من طريق آخر ـ وهو من الثنية السفلى ـ وشُرع الدعاءُ والاغتسالُ عند دخولها .

مدينة : ربط الله جلت قدرته كثيراً من العبادات فيها بذكريات معلومةٍ ، وحوادثَ زمنيةٍ قديمةٍ ، فالسعيُ بفعل أم إسماعيل عليه السلام ، والرجم والنحر بفعل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، والرَّمَل بفعل النبيِّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وأصحابِه رضي الله تعالى عنهم ،...إلخ.

مدينة : حظيت بدعوة إبراهيم عليه السلام لها ، فدعا لها بالبلدية ، وبالأمان ، وأن يُجنِّبَه الله تعالى وبنيه عبادةَ الأصنام ، وأن يرزقها من ثمرات الأرض ، ودعا لها بالبركة في الماء واللحم والطعام ،... فصارت مباركة ، وتهوىٰ أفئدةُ بعض الناس إليها ، كما قال تعالى على لسانه : ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾[1] وهم المؤمنون من هذه الأمة ، فلو قال : (فاجعل أفئدة الناس) لما بقي إنسان إلا هويها ، وأن يبعث فيها رسولاً منهم ؛ فكان هو : النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم[2].

كما حظيت بالعناية من زمن إسماعيل عليه السلام ، حتى اقتسم أولادُ قُصَيٍّ : الحجابةَ والرفادةَ والسقايةَ واللواءَ ،... واستمر الأمر إلى زمن البعثة النبوية الشريفة .

مدينة : أنذر الله عز وجل أهلَها بالقرآن الكريم ، وأنزل أكثرَ من ثلاثة أخماسه فيها ،... تفضحُ المشركين ، وتردُّ على الكافرين ، وترسِّخُ الإيمانَ في قلوب المؤمنين ، وتذكر أخبارَ وقصص الماضين ، وفيها من الإعجاز الشيء الكثير ،...إلخ.

---

(١) سورة إبراهيم (٣٧).

(٢) انظر : ما سيأتي من دعوات إبراهيم عليه السلام لها ولأهلها .

مدينة : جعل الله عز وجل بعثَ أهلها ؛ بعد أهل المدينة ، وأنهم يُحشرون مع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث يُحشر صلى الله عليه وآله وسلَّم بين الحرمين ، وأنهم أول من يَشفع صلى الله عليه وآله وسلَّم لهم مع أهل المدينة ،... لذا وجب إكرامُهم ، لأنهم أهلُ الله تعالى ، ومجاورو بيته الحرام ، وساكنوه ،... وقد جعلها الله تعالى مخرجَ صدق ، كما جعل المدينةَ المنورةَ مدخلَ صدق .

مدينة : جعل الله تعالى لها من الأسماء ما لم يجعله لغيرها من المدن إلا المدينة المنورة ، فهي مكة ، وبكة ، وأم القرى ، وبرة ، والبساسة ، والحرم ، والمسجد الحرام ، والبلد الأمين ، وصلاح ، وكوثىٰ ،...إلخ.

مدينة : طفقت الإبل يوم النحر يزلفن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ بأيهن يبدأ في نحرها يوم النحر .

مدينة : جعل الله تعالى بعضَ أوديتها مباركةً ، فوادي السُّرر سُرَّ فيه سبعون نبياً ، وجعل مقبرتها فاضلة ، نزل صلى الله عليه وآله وسلَّم في محصَّبِها ، وصلَّى فيه ، ونام حتى أصبح .

مدينة : جعل الله تعالى في ماء زمزم غايةَ البركة ، فهو أفضلُ ماء موجود في الدنيا ، فهو عزمة جبريل عليه السلام ، ورحم الله تعالى أمَّ إسماعيل ؛ لو لم تلتزمه لصار عيناً جارية ،... مجَّ فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فزاد بركةً على بركة ، جعل فيه الخير الكثير ؛ فهو : طعامُ طعم ، وشفاءُ سقم ، بل هو لما شُرب له ، وأنه يُطفئ الحمىٰ ،... ولذا حثَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم على التضلع منه ، فإن المنافقين لا يستطيعون ذلك ، ولهذا كان صلى الله عليه وآله وسلَّم ينقله ، ويُنقل إليه .

مدينة : تعطَّر جوُّها بنفَسِه الطاهر صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... واختلط أثيرُها بنبرات صوته الكريم ،... ولثمت أرضُها جبهتَه صلى الله عليه وآله وسلَّم الشريفةَ في سجوده ، وباطنَ كفيه صلى الله عليه وآله وسلَّم في صلاته ، وجنبَه الكريمَ في نومه ، وباطنَ قدميه في مشيه ووقوفه ،... وتروَّت ذراتُها بدموعه صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... وسعدت أوديتُها بمشيه صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ،... وجبالُها بصعوده صلى الله عليه وآله وسلَّم عليها ، وغارُ حرائها بتعبُّده صلى الله عليه وآله وسلَّم فيه ، وتحنُّثه فيه ، وبنزول الوحي عليه فيه ، وغارُ ثورها بالتجائه صلى الله عليه وآله وسلَّم فيه ، فعشعش العنكبوتُ ، وباض الحمامُ في بابه ، وشرفت أحجارُها وأشجارُها وجبالُها بالسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ بقولها : السلام عليك يا رسول الله ، واهتز حراؤُها وثبيرها فرحاً وطرباً تحت قدميه صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... ومعه شيوخ الإسلام رضي الله تعالى عنهم ، فكما أحبته صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقد أحبها ، كما سعدت غِيرانها بدخوله صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، وبنزول القرآن الكريم عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها .

مدينة : سعدت شوارعُها بمروره صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، وأسواقُها بعرض نفسه صلى الله عليه وآله وسلَّم على القبائل فيها ، فلقي ما لقي من الصدِّ والردِّ ، فلم يُثنه ذلك عن عزمه ، ولم يصده عن طلبه ، حتى آمن الناسُ بعد ذلك أجمعون .

مدينة : سمىٰ الله عز وجل من خرج منها لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم المهاجرين ، فأوجب تعالى على نفسه أجرَهم ، وأمضى هجرتَهم ، فجعلهم الصادقين المخلَصين ، ولهم المنزلة الأولىٰ ، والمكانة الأسمىٰ ،... فصاروا

خيرَ الخلق إلى قيام الساعة ، بعد الأنبياء والرسل على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، وفيهم خيارُ هذه الأمة ، وخيار أهل الجنة ،...إلخ.

مدينة : جعل الرسول المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم الناسَ تبعاً لأهلها ـ كما كان الحال في الجاهلية ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عنهم : « الناسُ تَبَعٌ لقريش في هذا الشأن ؛ مسلمُهم تَبَعٌ لمسلمهم ، وكافرهم تبع لكافرهم »[1].

مدينة : نزل الوحيُ فيها بتثبيت أركان الإيمان ، وتطهير الجنان ، وسلامة القلب ، وصفاء اليقين والإحسان ،... ونفي الشرك والطغيان ، والتخلص من عبادة الأصنام والأوثان ،... فكان ما حصل فيها من اضطهاد واختبار وابتلاء : الركيزةَ الأساسية في الميزان ، وعليها قام بناءُ الإسلام .

مدينة : أفدىٰ المسلمون ـ من أهلها ـ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقابلهم صلى الله عليه وآله وسلَّم بأضعاف ما فعلوا ، وأكرمهم أكثرَ مما أمَّلوا ، وأعطاهم فوق ما رجوا ، ومنحهم فوقَ ما تمنوا ،...إلخ.

مدينة : كانت الهجرةُ منها إلى المدينة ـ قبل الفتح ـ واجبةً ، فلما فُتحت ؛ نُسخ ذلك ، فقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا هجرةَ بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ،... »[2]. لذا لم يأذن رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم للمهاجر منها

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المناقب : باب قول الله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب الناس تبع لقريش ، والخلافة في قريش ، رقم (١ – ٢).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب فضل الجهاد والسير ، وباب وجوب النفير ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام ،... رقم (٨٢) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما ، كما قد ورد عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم أيضاً .

الإقامةَ فيها إلا ثلاثةَ أيام فقط ـ إذا قدمها ـ بعد أداء نسكه ، ولا يزيد ، حتى لا تبطل هجرتُه .

إلى غير ذلك من الخصائص والفضائل والمناقب والمكرمات ؛ التي اتصفت بها مكة المكرمة ، وبالله تعالى التوفيق .

هذه هي مكة المكرمة ؛ المدينةُ التي أنتم تنعمون بها يا سكانها ، فما هو موقفكم منها ومن أهلها وممن يرتادها ؟... وما هو واجبكم نحوها ونحو أهلها ونحو من يرتادها ؟... وما هي مسؤوليتكم تجاهها ؟ وما هي حقوقها عليكم ؟

أسأل الله تعالى أن يجعل كلَّ ساكنيها أهلاً لها ، يشعرون أنها هي أُمُّهم الرؤوم ، وهم أبناؤها الأبرار الأوفياء .

وصلى الله على سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدِّين ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

والحمد لله رب العالمين .



المبحث الثاني
منزلة ساكني مكّة المكرّمة المباركة

إن الحديث عن ساكن مكة المكرمة ذو شقين :

إيجابي ؛ وفيه بيان منزلة هؤلاء السكان ، وحقوقهم ،... وما يجب لهم ، ومعاملة الناس لهم ، ونظرتهم تجاههم ،...إلخ.

وسلبي ؛ وهو ما يلزم أن يتصف به هؤلاء السكان ، والأمور المحظورة عليهم أن يتصفوا بها ،...إلخ.

ولن أطيل في بيان مزاياهم وفضائلهم ومكانتهم ،... لأني توسعت في بيان فضائل المهاجرين رضي الله عنهم في (فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم) كما بينت فضائل مكة المكرمة ، وما يتصل بها من مآثر ، في (فضائل مكة المكرمة).

لكن حسبي أن أذكر مختصراً لفضائل ومناقب ومزايا ،... سكانها ، للدلالة على ما بعده ، وكلُّ منقبة لمكة هي منقبة لسكانها ، والله تعالى هو المعين ، فأقول :

ـ هي حرمٌ ، وحرمٌ آمن :

لقد كثرت النصوص القرآنيةُ الشريفةُ في بيان تحريم مكة ، وأنها حرمٌ آمن ، وأن الله عز وجل هو الذي حرَّمها ، ثم ما معنى الحرم ؟ أليس فيه دلالة على التحريم بكل معانيه ؟ والله تعالى أعلم .

لقد جاءت النصوص القرآنية الكريمة في تحريم مكة على ضربين :

ـ الأول : التصريح بتحريمها وأمنها ، والنصوص في ذلك كثيرة .

ـ الثاني : الإخبار عن أنها حرام .

لذا فإني أذكر بعضَ النصوص الشريفة للتدليل على ذلك :

فمن القسم الأول :

قال الله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾[1].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾[2].

وقال جل شأنه : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[3]،...إلخ.

ومن القسم الثاني :

الإخبار عنها بأنها المسجد الحرام ، والبيت الحرام :

فقد تكرر لفظ (المسجد الحرام) في القرآن الكريم (١٥) مرة[4].

كما تكرر لفظ (البيت الحرام) مرتين[5].

وكل ذلك دالٌّ على : تحريم هذه البلدة الكريمة ، ووجود الأمن والأمان فيها ، والله تعالى أعلم .

ـ من دخله فهو آمن :

ومن ذلك الأمان الذي وضعه الله تعالى في هذا الحرم الشريف ؛ أن من دخله فقد أمن على نفسه ، وماله ، وعرضه ،...إلخ.

---

(١) سورة القصص (٥٧).

(٢) سورة العنكبوت (٦٧).

(٣) سورة البقرة (١٢٥) وانظر : سورة البقرة (١٢٦) وسورة إبراهيم (٣٥).

(٤) انظر : سورة البقرة (١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٩١ ، ١٩٦ ، ٢١٧) المائدة (٢) الأنفال (٣٤) التوبة (٧ ، ١٩ ، ٢٨) الإسراء (١) الحج (٢٥ مكرر ، ٢٧).

(٥) انظر الآيات التالية : سورة المائدة (٢ ، ٩٧).

قال الله تعالى : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ ﴾[1].

فمنطوق الآية الكريمة : أن من دخل مكةَ ؛ فقد أمن أَمْناً عامّاً ، ويوضح ذلك :

عن جابر رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...فعقروها [أي : الناقةَ] فأخذتهم صيحةٌ ؛ أهمد الله عز وجل مَن تحت أديم السماء منهم ، إلا رجلاً واحداً ، كان في حرم الله عز وجل ، فمنعه الحرم » قيل : من هو يا رسول الله ؟ قال : « أبو رغال ، فلما خرج من الحرم : أصابه ما أصاب قومه ». رواه أحمد ـ وهذا لفظه ـ والبزار والطحاوي ، وصححه ابنُ حبان والحاكم وأقره الذهبي ، في آخرين ، وسند أحمد صحيح ، وحسنه الحافظ ، وقال ابنُ كثير : هو على شرط مسلم[2].

ـ المحَرِّمُ لها هو الله عز وجل :

إن الذي حرَّم مكةَ المكرمةَ إنما هو الله تعالى ، ولم يحرِّمها الناسُ ، وقد حرَّمها الله عز وجل يوم خلق السمٰوات والأرض ، والنصوصُ من القرآن الكريم والسنة الشريفة كثيرة .

قال الله جل شأنه على لسان نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ ﴾[3].

---

(١) آل عمران (٩٧).

(٢) مسند أحمد (٣ : ٢٩٦) ومشكل الآثار ، رقم (٣٧٥٦ ، ٣٧٥٧) وكشف الأستار (٢ : ٣٥٦) والمعجم الأوسط (٩ : ٣٧ رقم ٩٠٦٩) وصحيح ابن حبان (١٤ : ٧٧) والمستدرك (٢ : ٣٢٠ ، ٣٤٠ – ٣٤١) ومجمع البحرين (٦ : ٣٦) ومجمع الزوائد (٦ : ١٩٤) (٧ : ٣٨) وفتح الباري (٦ : ٣٨٠ – ٣٨١) وتفسير ابن كثير (٢ : ٢٢٧) والبداية والنهاية (١ : ١٣٧).

(٣) سورة النمل (٩١).

وقال سبحانه وتعالى على لسان نبيه إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾[1].

وقد بيَّن الرسول المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن الله عز وجل حرَّمها يوم خلق السمٰوات والأرض ، وأنه تعالى أباحها لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ساعةً من نهار ، ليطهِّرَها من رجس الوثنية ، ثم عادت حُرمتُها كما كانت من قبل .

فعن أبي شُريح العدوي رضي الله عنه ، أنه قال : لعمرو بن سعيد [الأشدق] ـ وهو يبعث البعوث إلى مكة ـ : ائذن لي أيها الأميرُ أحدثك قولاً ؛ قام به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الغدَ من يوم الفتح ، سمعتْه أذناي ، ووعاه قلبي ، وأبصرتْه عيناي ، حين تكلم به : أنه حمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : « إن مكةَ حرَّمها الله ، ولم يحرِّمْها الناسُ ، فلا يحلُّ لامرئٍ يؤمن بالله واليوم الآخر : أن يسفكَ بها دماً ، أو... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال يوم فتح مكة : « إن هذا البلدَ حرَّمه الله يومَ خلق السمٰوات والأرض فهو حرامٌ بحُرمة الله إلى يوم القيامة ، ولم تَحل لأحد قبلي ، ولا تَحل لأحد بعدي ، وإنما أُحلت لي ساعةً من نهار ». متفق عليه[3].

---

(١) سورة إبراهيم (٣٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب ليبلغ العلمَ الشاهدُ الغائبَ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب تحريم مكة ، رقم (٤٤٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب لا يُنَفَّر صيدُ الحرم ، وباب فضل الحرم ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب تحريم مكة ، رقم (٤٤٥).

وورد عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بنحوه

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ فيما تواتر عنه[1] ـ : « إن إبراهيم حرم مكة ». فذاك باعتبار أن الله تعالى أظهر تحريمَها على لسانه عليه السلام ، لذا نُسب إليه ، وإلا فالمحرِّمُ الحقيقيُّ لها إنما هو الله عز وجل ، والله تعالى أعلم .

ـ استمرار تحريمها ، وحرمتها في أعين الناس :

وهكذا استمرت حرمةُ مكة في نفوس الناس من زمن إبراهيم عليه السلام إلى يومنا ، وستبقىٰ ـ إن شاء الله تعالى ـ إلى يوم القيامة . بل حتى في الأوقات التي تغيرت فيها الأحوالُ في مكة وحولها ،... بقيت حُرمة مكة في نفوس الجميع قائمةً ومعتبرةً ، سواء كانوا من أهلها أو من غيرهم ؛ لا يُباح فيها قتالٌ ، ولا يُسفك فيها دمٌ ، ولا تُنتهك فيها حرمةٌ ، ولا يُقطع فيها شجرٌ ،...إلخ.

ولما جاءت حادثةُ الفيل في عام ولادة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... عظمت مكةُ في نفوس العرب من جديد ، وازدادت مكانتُها رفعةً ، وعظمت مكانةُ أهلها (قريش) في نفوسهم ـ خاصة عبد المطلب ـ جد النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأنه لم يخرج منها .

ولما جاء الإسلام ازدادت مكانتُها رفعةً ، وعظمت حرمتُها ، وذلك بما بيَّنَه صلى الله عليه وآله وسلَّم وشرّعه ، وما نزل في كتاب الله تعالى ، من بيان حرمتها ، وعِظَم قَدْرِها ، ورفعة مكانتها ، ووجوب تعظيمها ، وعقوبة مستحِلِّها ومنتهكها ، فلم تزدد الكعبة إلا تعظيماً ، كما قال صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ يوم الفتح ـ : « هذا يومٌ يعظِّم الله فيه الكعبةَ ، ويومٌ تُكسىٰ فيه الكعبة ». كما رواه البخاري[2].

(١) انظر : الأصل ، ومختصره ، وفضائل المدينة المنورة (١ : ٦٠ – ٦٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب أين ركز النبي ﷺ الرايةَ يوم الفتح .

فلم تزدد مكة إلا حرمةً وتبجيلاً ،... كما أن الكعبة لم تزدد إلا رفعة ومهابة ، ليكون ذلك مصداقَ قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾[1].

ـ مظاهر التحريم :

لقد جعل الله عز وجل لهذا التحريم مظاهرَ متعددةً ؛ فيحرم تنفيرُ الصيد ، وقتلُه ، ويحرم اختلاءُ الخلاء والشوك ، وحشُّه وقلعُه ، ويحرم قطعُ الشجر ،... ويحرم حملُ السلاح ، وسفكُ الدماء ، ويحرم التقاطُ اللقطة ـ إلا لمنشد أو معرِّف ـ وقد تواترت النصوص الشريفةُ في ذلك عن النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومن أراد معرفتَها فلينظر في الأصل ، ومن ذلك :

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن الله حرَّم مكة ،... لا يُختلىٰ خَلاها ، ولا يُعضد شجرُها ، ولا يُنفَّرُ صيدُها ، ولا تُلتقط لقطتُها إلا لمعرِّف ،... ». الحديث ، متفق عليه[2].

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...فلا يُنَفَّرُ صيدُها ، ولا يُخْتَلىٰ شوْكُها ، ولا تَحِلُّ ساقطتُها إلا لمنشدٍ ،... » الحديث ، متفق عليه[3].

وقد مر حديثُ أبي شُريح العدوي رضي الله تعالى عنه ، وفيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...فلا يَحِلُّ لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك فيها

---

(١) سورة البقرة (١٢٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب جزاء الصيد : باب لا ينفر صيدُ الحرم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب تحريم مكة ، رقم (٤٤٥).

(٣) صحيح البخاري : كتاب اللقطة : باب كيف تُعرَّف لقطةُ أهل مكة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٤٧).

دماً ،... » الحديث بطوله ، متفق عليه .

ففي هذه الأحاديث ـ وغيرها ـ ذكرُ تحريمِ تنفير الصيد ، وإعضادِ الشجر ، واختلاءِ الشوك والكلأ ، والتقاطِ اللقطة ـ إلا لمن يعرِّفُها ، أو ينشدها ـ وحَمْلِ السلاح ، وسفكِ الدماء ، والله تعالى أعلم .

ـ عقوبة الصائد وقاطع الشجر :

إن الحيوانات التي تصاد نوعان ؛ منها ما لها مِثْلٌ من الأنعام ، ومنها ما ليس لها مِثْل ، والشجر منها الكبير ، ومنها الصغير .

لذا جعل عقوبة الصائد ؛ أن يفدي من النَّعَم مثلَ ما صاد إن كان مثليّاً ، وإن لم يكن مثليّاً ففيه القيمة ؛ بحكم عدلين اثنين ، وهذا أمر مُجْمَعٌ عليه .

وأما عقوبة قطع الشجر والكلأ ؛ فإن كانت الشجرة كبيرةً ففيها بدنة أو بقرة ، وإن كانت صغيرةً ففيها شاة ، وإن كانت دون ذلك ـ أو من الكلأ ـ فالقيمة ، وفي تفصيلات استوعبتْها كتبُ الفروع ، فمن أراد زيادة معرفتها فلينظرها فيها .

قال الله عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[1].

والآية وإن كانت في تحريم الصيد على الـمُحْرِم ، لكنها شاملة لمن كان في الحَرَم أيضاً ، والله تعالى أعلم .

ـ تحريم الاحتكار فيها :

ومن مظاهر التحريم في مكة أيضاً : تحريمُ الاحتكار فيها ، حتى عُدَّ من

(١) سورة المائدة (٩٥).

الإلحاد فيه .

فعن يَعلى بن أمية رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « احتكار الطعام في الحرم إلحادٌ فيه ». رواه أبو داود ؛ بسند ضعيف ، وحسنه السيوطي رحمه الله تعالى . لكن له شاهد من حديث عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما عند الطبراني في الأوسط ، وفي سنده : عبد الله بن المؤمل ، وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه جماعة ، ورواه البيهقي في الشُّعب ، وله شاهد من حديث عُمر رضي الله عنه ـ موقوفاً ـ رواه البخاري في تاريخه برجال الصحيح ، فالحديث حسن بمجموع طرقه . وخيرُ شاهد له : حديثُ معمر بن نضلة رضي الله عنه ، عند مسلم ، لكن من غير تقييد في الحرم[1]، والله تعالى أعلم .

ـ تحريم دخول الكفار إليها :

ومن مظاهر تحريم مكة : تَحريمُ دخول الكفار إليها بعد تطهيرها وإعلان إسلامها ، لأن المشركين نجسٌ ، فلا يليق أن يدخلوا الحرم بعد أن طهَّره الله سبحانه وتعالى من الرجس والكفر والأوثان ،... ولم يَبق للشيطان فيه مكان أو نصيب .

قال الله عز وجل : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ

---

(١) انظر : سنن أبي داود : كتاب الحج : باب تحريم حرم مكة ، رقم (٢٠٢٠) والتاريخ الكبير (٧ : ٢٥٥ – ٢٥٦) والمعجم الأوسط (٢ : ١٣٢ – ١٣٣) ومجمع الزوائد (٤ : ١٠١) والجامع الصغير (١ : ٤١) والفيض القدير (١ : ١٨٢) وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب تحريم الاحتكار في الأقوات ، رقم (١٢٩ – ١٣٠).

إِن شَآءَ ﴾[1].

والمراد بالمسجد الحرام : مكة ، وما جاورها من الحرم ، لا المسجد فقط ، لأن أغلب مناسك الحج خارج المسجد ، كما هو معلوم ، والله تعالى يقول : ﴿ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾ ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : بعثني أبو بكر الصدِّيقُ رضي الله عنه في الحَجَّة التي أمَّره عليها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، قبل حجة الوداع ، في رهط يُؤذِّنون في الناس يوم النحر : « لا يَحُجُّ البيتَ بعد هذا العام مشركٌ ، ولا يطوف بالبيت عُريان » . متفق عليه[2] .

ـ حبس الفيل عنها ، وتدمير جيش الأحابيش :

ومن مظاهر تحريم مكة أيضاً ؛ أن حبس الله عز وجل عنها الفيل ، وأنزل الله تعالى العقوبة ـ التي ذكرها الله تعالى في كتابه ـ على أبرهة الأشرم ـ أخزاه الله جل شأنه ـ وجيشِ الأحابيش ، الذين أرادوا هدمَ الكعبة المشرفة ، ولكنهم لا يعلمون أن لهذا البيت ربّاً يحميه ؛ من كل طاغية جبار . لذا شتت الله عز وجل شملَهم ، وفرَّق جمعَهم ، وجعلهم عبرةً لمن يعتبر .

قال الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ۝٥ ﴾[3] .

---

(١) سورة التوبة (٢٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب ما يستر من العورة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب لا يحج البيتَ مشرك ،... رقم (٤٣٥).

(٣) سورة الفيل (١ – ٥).

ـ منعها من الجبابرة :

ومن مظاهر تحريم مكة المكرمة ومكانتها أيضاً ؛ أن منعها الله عز وجل من الجبابرة ، فلم يظهر عليها جبارٌ قط ، أو ينالُها ، وكلُّ من أرادها بسوء قصمه الله جل شأنه ، لأنها حرمُه ، وفيها بيتُه . وهذا ما حصل من بعض المغامرين الذين همّوا ، أو أرادوا بها السوء ، فنالوا العقوبةَ سريعاً من غير انتظار أو تطويل .

فعن عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنما سُمِّي البيتُ العتيق لأنه أُعتق من الجبابرة ، فلم ينله جبارٌ قط ، أو لم يَقدر عليه جبّارٌ ».

وفي رواية : « لأنه لم يظهر عليه جبّارٌ ». رواه الترمذي والحاكم وصححاه ، وأقره الذهبي ، والبزار[1].

لذا حماها الله جلت قدرته من تُبَّعٍ[2]، فكاد يهلكه ، لولا أنه أتاه طائعاً ، فأحرم وطاف ، كما حماها الله تعالى من أبرهةَ الأشرم ، كما حكىٰ القرآن الكريم ، كما حماها الله سبحانه وتعالى ـ وأختَها المدينة ـ من الحملاتِ الصليبيةِ الشريرة (عامي ٥٧٧ ، ٥٧٨)[3] حيث تحطمت الحملتان الصليبيتان ، ولم تَصِل واحدةٌ منهما إلى بغيتها ، ولله الحمد ، وقد نذر السلطانُ صلاحُ الدين الأيوبي رحمه الله

---

(١) سنن الترمذي : كتاب التفسير : سورة الحج ، رقم (٣١٧٠) والمستدرك (٢ : ٣٨٩) وكشف الأستار (٢ : ٤٥).

(٢) انظر : المستدرك (٢ : ٣٨٨) لحديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وصححه ، وأقره الذهبي .

(٣) انظر قصة محاولة غزو الصليبيين لمكة والمدينة : الكامل لابن الأثير (١١ : ٥٣٧) والبداية والنهاية (١٢ : ٣٠٩ ، ٣١١) ودول الإسلام (٢ : ٩٠) والسلوك للمقريزي (١ : ٧٨ – ٧٩) والروضتين لأبي شامة (٢ : ٣٥ – ٣٧) ومفرج الكروب لابن واصل ، وغيرها .

تعالى قتْلَ (بِرِنس ، صاحبَ الكَرَك) وهو القائد ، فقتَله بيده بعد معركة حطين ، ووقوعه في الأسر (عام ٥٨٣ هـ) وما فعل ابن أخت السلطان صلاح الدين ، رحمهما الله تعالى ،...إلخ.

ـ لن تُغزىٰ على الإسلام ثانية :

ومن مظاهر تحريم مكة ومكانتها ؛ أنها لن تُغزا على الإسلام ثانية إلى يوم القيامة ، كما أخبر بذلك الصادقُ المصدوق صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لأنها ـ بعد فتحها ـ صارت مسلمةً ، ولله الحمد والمنة .

فعن الحارث بن مالك رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول يوم فتح مكة : « لا تُغزا هذه بعد اليوم إلى يوم القيامة ». رواه أحمد ، والحُميديُّ ، وابنُ أبي شيبة ، والطبرانيُّ ، وصححه الترمذي والحاكم[1].

ويحتمل قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا تغزا هذه ،... ». أحد أمرين :

الأول : وهو الظاهر من معنى الغزو ، وهو الإطلاق .

الثاني : لا يغزوها جيشٌ مسلمٌ ليفتحها مرةً ثانية ، لأنها ستبقىٰ مسلمةً إلى يوم القيامة ، فلا تحتاج إلى فتحٍ ثانيةً ، وهذا هو الأقرب ، لما سيقع من غزوها ، ويُخسف به ، كما سيأتي بيانه في الفقرة التالية ، والله تعالى أعلم .

ـ الخسف بالجيش الغازي لها في آخر الزمان :

إن الفتن لا تنقطع ، لذا فإن بعض من ينتمي إلى الإسلام سيحاول غزوَ

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٣٤٣) ومسند الحُميدي (١ : ٢٦٠) ومصنف ابن أبي شيبة (١٤ : ٤٩٠) وسنن الترمذي : كتاب السير : باب ما جاء ما قال النبي ﷺ يوم فتح مكة ،... رقم (١٦١١) والمستدرك (٣ : ٦٢٧) والمعجم الكبير (٣ : ٢٥٦ ، ٢٥٧) ودلائل النبوة للبيهقي (٥ : ٧٥).

مكةَ في آخر الزمان ، حيث سيقدم ويستولي على المدينة المنورة ، ثم يتوجه إلى مكة ، فإذا حصل ذلك الغزو ، فإن الله تعالى سيخسف بذلك الجيش الأرض ، في البيداء في منطقة ذي الحليفة ، بعد أن يخرج من المدينة ـ والله تعالى أعلم ـ أسأل الله تعالى ألّا ندرك ذلك اليوم .

وقد تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث ورد في الصحيحين وغيرهما عن عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم ، أقتصر على ذكر حديثين :

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « العجب إن ناساً من أمتي يؤمّون بالبيت برجل من قريش ، قد لجأ بالبيت ، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم » فقلنا : يا رسول الله ؛ إن الطريق قد يجمع الناسَ ؟ قال : « نعم ، فيهم المستبصر ، والمجبور ، وابن السبيل ، يهلكون مهلكاً واحداً ، ويصدرون مصادرَ شتى ، يبعثهم الله على نياتهم ». متفق عليه ، واللفظ لمسلم[1].

والمستبصر : هو المستبين لذلك ، والقاصد له عمداً .

والمجبور : هو المكره .

وابن السبيل : هو سالك الطريق معهم ، وليس منهم .

وعن أمِّ سلمةَ رضي الله تعالى عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يعوذ عائذ بالبيت ، فيُبعثُ إليه بَعثٌ ، فإذا كانوا ببيداء من الأرض [زاد في رواية أخرى : قال أبو جعفر : كلا والله ، إنها لبيداءُ المدينة] خسف بهم ».

(١) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب ما ذكر في الأسواق . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت ، رقم (٨).

فقلتُ : يا رسول الله ؛ فكيف بمن كان كارهاً ؟ قال : « يخسف به معهم ، ولكنه يُبعث يوم القيامة على نيته ». رواه مسلم[1].

وقد ورد حديثُ الخسف بهذا الجيش أيضاً عن كلٍّ من : أمهات المؤمنين حفصة وصفية ، وأم حبيبة ، وعن علي ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عَمرو ، وأبي هريرة ، وأنس ،... في آخرين ، رضي الله تعالى عنهم .

ـ عقوبة الملحد في الحرم :

لقد جعل الله تعالى عقوبةَ الملحد فيها ـ وهو المائل عن الحق ـ بل الذي يَهِمُّ به : العذابَ الأليم ، وكذلك مُستحِل حرمتها ، وأن الملحِدَ فيها أبغضُ الناس إلى الله تعالى .

قال الله جلت قدرته : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2].

وعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « أبغضُ الناس إلى الله ثلاثةٌ : الملحدُ في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنةَ الجاهلية ، ومُطلبُ دم امرئٍ بغير حقٍّ ليُهريق دمَه ». رواه البخاري[3].

لذا فمن همَّ فيه بأمر فظيع من المعاصي الكبار ـ كشرك أو بدعة أو عمل سيئ ،... ـ أو ما يستحل فيه حُرمة الحرم ،... فما فوق ذلك ، عامداً ظالماً : أذاقه الله تعالى العذابَ الأليمَ .

وقد حصل مع أصحاب الفيل ما قد أخبرنا الله تعالى به .

---

(١) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤ – ٥).

(٢) سورة الحج (٢٥).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الديات : باب من طلب دم امرئ بغير حق .

بل ربما عَظُم ذنبُ المستحِلِّ للحرم حتى تفوقَ ذنوبُه التي يصيبها ذنوبَ الثقلين ، وكلُّ هذا دالٌّ على عظم مكانة هذا الحرم .

وقد ورد قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يُحلِّها ، ويُحِلُّ به رجلٌ من قريش ، لو وُزنت ذنوبُه بذنوب الثقلين لوزنتها ». من حديث عثمان ، وعبد الله بن عَمرو ، وغيرهما رضي الله عنهم ، كما رواه أحمد وغيره برجال الصحيح[1]، والله تعالى أعلم .

ـ جعل الملائكة تحفّها :

لقد جعل الله تعالى هذه البلدة الكريمة ـ كأختها المدينة المنورة ـ محفوفةً بالملائكة الكرام تحرسها ، لا يدخلها الدَّجّالُ . وهذا كله عنايةٌ من الله تعالى ، وفضلٌ وتكريم .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « المدينةُ ومكةُ : محفوفتان بالملائكة ،... ». رواه أحمد برجال ثقات ، وعزاه الحافظ لابن شبة ، وقال : رجالُه رجال الصحيح[2].

ـ تحريم دخول الدجال عليها :

ومن عظم مكانة هذه البلدة الكريمة ؛ أن الدجالَ لن يدخلها ، فهي محرمةٌ عليه ، لذا ما من نقب ، ولا جَبل ، ولا شِعب ، ولا طريق ؛ في سهل أو جبل ، إلا عليه الملائكة تحرسها تصده عنها ، كما هو الحال في المدينة المنورة .

---

(١) انظر مثلاً : مسند أحمد (١ : ٦٤ ، ٦٧) (٢ : ١٩٦ ، ٢١٩) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٨٤ – ٢٨٥).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٤٨٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٩) وفتح الباري (١٠ : ١٩١) وانظر الأصل لبيان زيادة مكة في الحديث .

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ليس من بلد إلا سيطؤه الدجالُ إلا مكةَ والمدينةَ ». متفق عليه[1].

وعن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها ـ في قصة الدجال المعروف بحديث الجساسة ، وفي آخره ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...قال [أي الدجال] : وإني مخبركم عني ؛ إني أنا المسيح ،... فلا أدع قريةً إلا هبطتها في أربعين ليلةً غير مكةَ وطيبةَ ، فهما محرَّمتان عليَّ كلتاهما ، كلما أردت أن أدخل واحدةً ـ أو واحداً منهما ـ استقبلني ملَكٌ بيده السيفُ صلتاً ، يصدني عنها ،... ». رواه مسلم[2].

والنصوص في هذا الباب كثيرة[3].

ـ لم يعاقب الله تعالى أهلَ مكة ، ولم يأذن لكافر بغزوهم :

لقد أحدث أهلُ مكة ـ بدءاً من زعيمها عَمْرو بن لُحَي الخزاعي ـ كثيراً من المنكرات ، ونصبوا كثيراً من الأصنام حول الكعبة ، بعد أن عبدوها ـ حتى أزالها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم الفتح ـ كما صوَّروا كثيراً من الصور داخلها ـ حتى أزالها رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أيضاً ـ كما استباحوا كثيراً من المعاصي ، فانقلبت دارُ التوحيد مركزاً للأصنام .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مكةَ يومَ الفتح ؛ وحول الكعبة ستون وثلاثمائة نُصُب ، فجعل

(١) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب لا يدخل الدجال المدينة . وصحيح مسلم : كتاب الفتن : باب قصة الجساسة ، رقم (١٢٣).

(٢) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١١٩ - ١٢٢).

(٣) انظر : (أخبار الدجال) كما ذكرت جملة طيبة من الأحاديث في الأصل ، وفي (فضائل المدينة المنورة).

يطعنها بعود في يده ، ويقول : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾[1] ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[2] متفق عليه[3].

نعم جاء الحق فعلاً ، وزهق الباطل إلى الأبد ، إن شاء الله تعالى .

ومع كل هذا ؛ فإن الله عز وجل لم يرض أن تُغزا من كافر ، حيث أهلك جيشَ الأحباش ، بقيادة أبرهة الأشرم ، وقد حكىٰ لنا القرآن الكريم ما حصل له في سورة الفيل .

ولما طلب أبو جهل إنزالَ العذاب عليهم ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ قال الله عز وجل عنهم : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾[4] كما في حديث أنس رضي الله عنه ، المتفق عليه[5].

ـ جعل المسجد الحرام أول بيت للعبادة في الأرض :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى المسجدَ الحرامَ الموجودَ في مكةَ أولَ بيت وضعه للعبادة في الأرض للناس .

---

(١) سورة الإسراء (٨١).

(٢) سورة سبأ (٤٩).

(٣) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب أين ركز النبي ﷺ الرايةَ يوم فتح مكة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الجهاد والسير : باب إزالة الأصنام من حول الكعبة ، رقم (٨٧).

(٤) سورة الأنفال (٣٢).

(٥) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة الأنفال : باب : ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ... ﴾. وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾، رقم (٣٧).

قال الله جل شأنه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾[1].

ففي هذا النص الكريم سبعة أمور : فهو أول بيت للعبادة ، وهو الذي وضعه الله عز وجل ، وهو الموجود في مكة ، وهو مبارك ، وفيه آيات بينات ، وفيه مقام إبراهيم عليه السلام ، ثم من دخله فهو آمن ، والله تعالى أعلم .

وقد أوضح النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أوليةَ المسجد الحرام :

فعن أبي ذر رضي الله تعالى عنه قال : قلت يا رسول الله ؛ أيُّ مسجدٍ وُضع في الأرض أول ؟ قال : « المسجد الحرام » قلت : ثم أيٌّ ؟ قال : « ثم المسجد الأقصى ». قلت : كم كان بينهما ؟ قال : « أربعون سنة ». متفق عليه[2].

وهذا النص الكريم ردٌّ على دعوىٰ الصهاينة في أن هيكل سليمان تحت المسجد الأقصى ، لأن المسجد الأقصى ؛ بُنِي قَبل وجود سليمان عليه السلام بمئات بل بألوف السنين ، والله تعالى أعلم .

ولما تهدم البيت بطوفان نوح عليه السلام ، ولم يُعلَم مكانه على وجه التحديد ، وكان الأنبياء عليهم السلام يأتونه ، ويطوفون من غير تعيين ؛ حدَّد الله تعالى مكانَه لإبراهيم عليه السلام ، وأمره ببنائه مع إسماعيل عليه السلام ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ ﴾[3].

---

(١) سورة آل عمران (٩٦ – ٩٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب حدثنا موسى بن إسماعيل ، وباب قول الله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ... ﴾. وصحيح مسلم : كتاب المساجد : في أوله ، رقم (١ – ٢).

(٣) سورة الحج (٢٦).

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما ـ الطويل ، في قصة مجيء إبراهيم بإسماعيل وأمه عليهم السلام ـ وفي آخره ، قال [إبراهيم] : يا إسماعيل ؛ إن الله أمرني بأمر ، قال : فاصنع ما أمرك ربك . قال : وتعينني ؟ قال : وأعينك . قال : فإن الله أمرني أن أَبْنِيَ هٰهنا بيتاً ـ وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها ـ ،... الحديث ، رواه البخاري[1].

وقد أبقىٰ الله عز وجل أثَرَ إبراهيم عليه السلام ، وأمر أن يكون مصلى ، ليكون معلماً لذلك البناء ، وتذكاراً لما قام به عليه السلام ، فقال تعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[2]، والله تعالى أعلم .

ـ جعل الكعبة قبلةً للمسلمين :

ومن فضل هذه البلدة المباركة : أن جعل الله تعالى هذا البيت قبلةً للمسلمين ، وأمرهم بالتوجه إليه ، حيث كانوا ، ولا تصح صلاةٌ في الحضر ، ولا فرضٌ في سفرٍ ، إلا بالتوجه إليه . أما النافلة في السفر فتصح إلى غيره ؛ لفعله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث كان يصلي على راحلته حيثما توجهت .

قال الله تعالى : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[3].

ـ تعظيمه بالإتيان إليه :

كما أن من تعظيم هذا البيت أن أمر الله تعالى الناسَ أن يأتوه بحج أو عمرة ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب أحاديث الأنبياء : باب يزفون : النسلان في الشيء .

(٢) سورة البقرة (١٢٥).

(٣) سورة البقرة (١٤٤).

ليتشرفوا بذلك ، ويشهدوا منافع لهم ، وجعل الله عز وجل ذلك الإتيانَ إليه فرضاً حتماً على القادر ، فإن لم يأت فقد عصىٰ .

قال الله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[1].

وقال الله جل شأنه : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ ﴾[2].

وقد جعل النبيُّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم الحجَّ هو : الركن الخامس من أركان الإسلام كما هو معلوم . والنصوص كثيرة في ذلك ، ومنها :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « بُنِي الإسلامُ على خمسٍ : شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان ». متفق عليه[3].

ـ فضل الطواف بالبيت :

لقد جعل الله تعالى ثواب الطواف في هذا البيت عظيماً ، مع أننا مأمورون به على كلِّ مَن حج أو اعتمر .

قال الله تعالى : ﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾[4].

وقد بيَّن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فضلَ الطواف ،

---

(١) سورة آل عمران (٩٧).

(٢) سورة الحج (٢٧ – ٢٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب دعاؤكم إيمانكم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام ، رقم (١٩ – ٢٢).

(٤) سورة الحج (٢٩).

وثوابَه ، لمن طاف به ، سواء كان نفلاً أو فرضاً :

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من طاف بالبيت سبعاً يحصيه ؛ كُتبت له بكل خطوة حسنةٌ ، ومُحيت عنه سيئةٌ ، ورُفعت له درجةٌ ، وكان له عِدل رقبة ».

وفي رواية « من طاف بالبيت ؛ لم يرفع قَدَماً ، ولم يقع له أخرى ، إلا كُتبت له حسنةٌ ، وحطت عنه بها خطيئةٌ ، ورُفعت له بها درجةٌ ». رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة ، والترمذي ـ وحسنه ـ وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، في آخرين[1].

ـ مسح الركنين يحطُّ الخطايا :

ومن فضل هذه البلدة المباركة ؛ ما أخبر به النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم من : أن مسح الركنين (الركن اليماني ، والحجر الأسود) يَحط الذنوب والخطايا ، كما يتحات ورق الشجر ، وأنه كفارة لها ، وهذا فضل كبير ، وأجر جزيل ، وعطاء كريم من رب رحيم ، ينفرد به كل من بها ؛ مِن ساكنٍ ، أو حاجٍّ ، أو معتمر .

فعن عُبيد بن عُمير رحمه الله قال : كان عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما يزاحم على الركنين زحاماً ، ما رأيتُ أحداً من أصحاب النبي صلى الله

---

(١) مسند الطيالسي (٢٥٨ رقم ١٩٠٠) ومصنف ابن أبي شيبة (٤ : ١ : ٨٠) ومسند أحمد (٢ : ٩٥) وسنن الترمذي : كتاب الحج : باب ما جاء في استلام الركنين ، رقم (٩٥٩) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٢٢٧ – ٢٢٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ٧) والمستدرك (١ : ٤٨٩) والسنن الكبرى (٥ : ١١٠) وانظر أيضاً سنن النسائي : كتاب الحج : باب ذكر فضل الطواف بالبيت (٥ : ٢٢١) وسنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب فضل الطواف ، رقم (٢٩٥٦).

عليه وآله وسلَّم يفعله ، فقلت يا أبا عبد الرحمٰن ؛ إنك تزاحم على الركنين زحاماً ما رأيتُ أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يزاحم عليه . فقال : إن أفعل ، فإني سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « إن مسحَهما كفارةٌ للخطايا ».

وفي رواية : « إن استلامَ الركنين يحطّان الذنوبَ ». رواه أحمد والطيالسي وعبد الرزاق والترمذي ـ وحسنه ـ والنسائي ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي[1].

ـ الصلاةُ في الحِجْر صلاةٌ في الكعبة :

ومن فضل هذه البلدة المباركة ؛ أن جعل النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم الصلاةَ في الحِجر صلاةً في الكعبة ، لأنه جزء منها ، وإنما أُخرج منها لما ضاقت بقريش الأموالُ الحلالُ عند تجديدهم بناءَها ، قبل بعثة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، لذا فمن صلَّى فيه فهو كمن صلّى في الكعبة ، لأنه جزء منها ، والله تعالى أعلم .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : كنتُ أحب أن أدخلَ البيتَ ، فأُصلِّيَ فيه . فأخذ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بيدي ، وأدخلني في الحِجر ، فقال : « صلِّ في الحِجر إذا أردت دخولَ البيت ، فإنما هو قطعة من البيت ، فإن قومَك اقتصروا حين بنوا الكعبة ، فأخرجوه من البيت ». رواه أحمد والطيالسي

---

(١) مسند أحمد (٢ : ١١ ، ٨٩ ، ٩٥) ومسند الطيالسي (٢٥٨ رقم ١٨٩٩) ومصنف عبد الرزاق (٥ : ٢٩) وسنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٩٥٩) وسنن النسائي : في الكتاب والباب السابقين (٥ : ٢٢١) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٢١٨ ، ٢٢٧ – ٢٢٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ١١ – ١٢) وموارد الظمآن ، رقم (١٠٠٠) والمستدرك (١ : ٤٨٩) والسنن الكبرى (٥ : ٨٠).

وعبد الرزاق وأبو داود والنسائي ، وصححه الترمذي وابنُ خزيمة ، وأصله في الصحيحين[1].

ـ فضل المتابعة بين الحج والعمرة :

ومن فضل هذه البلدة الكريمة ، ومن رحمة الله عز وجل بعباده ؛ أن جعل التتابع بين الحج والعمرة : ينفيان الفقر والذنوب ، كما جعل التتابع بين العمرة والعمرة كفارة لما بينهما ، وأن الحجَّ المبرورَ ليس له جزاء إلا الجنة .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الذنوبَ والفقرَ ، كما ينفي الكيرُ خبث الحديد ، والذهب ، والفضة ». رواه أحمد والنسائي ، وصححه الترمذي وابنُ خزيمة وابن حبان[2].

وقد ورد نحو هذا الحديث عن عدد من الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

والمتابعة بينهما تكون ؛ إما بتقديم الحج على العمرة ، وذلك بأن يحج أولاً ، ثم يعتمر بعد ذلك ، كما فعلت السيدةُ عائشةُ رضي الله عنها ، وإما بتقديم العمرة

---

(١) مسند أحمد (٦ : ٦٧ ، ٩٢ – ٩٣) ومسند الطيالسي (٢١٩) ومصنف عبد الرزاق (٥ : ١٣٠) بنحوه ، وسنن أبي داود : كتاب الحج : باب في الحِجر ، رقم (٢٠٢٨) وسنن الترمذي : كتاب الحج : باب ما جاء في الصلاة في الحِجر ، رقم (٨٧٦) وسنن النسائي : كتاب المناسك : باب الصلاة في الحِجر (٥ : ٢١٩) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٣٣٥) والسنن الكبرى (٥ : ١٥٨).

وانظر : صحيح البخاري : كتاب الحج : باب فضل مكة وبنيانها ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب نقض الكعبة وبنائها ، رقم (٣٩٨ – ٤٠٦).

(٢) مسند أحمد (١ : ٣٨٧) وسنن الترمذي : كتاب الحج : باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة ، رقم (٨١٠) وسنن النسائي : كتاب الحج : باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة (٥ : ١١٥ – ١١٦) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ١٣٠) وصحيح ابن حبان (٩ : ٦) وشرح السنة (٧ : ٧) والمعجم الكبير (١٠ : ٢٣٠) وسيأتي .

على الحج ، وهو التمتع ، وإما بالإتيان بهما معاً ، وهو القِران .

ومنطوق هذا الحديث النبوي يردُّ على من لا يرىٰ التتابع بينهما ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « العمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما ، والحجُّ المبرور ليس له جزاء إلا الجنة ». متفق عليه[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من حج لله ؛ فلم يرفُث ، ولم يفسُق ؛ رجع من ذنوبه كيومِ ولدته أُمُّه ». متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

وفي لفظ مسلم « من أتىٰ هذا البيت ،... » فهو أعم من سابقه ، حيث إنه يشمل الحج والعمرة ، والله تعالى أعلم .

ـ بعض أجزائها من الجنة :

ومن فضل الله تعالى على أهل هذه البلدة المباركة ؛ أن جعل الله تعالى بعض أجزائها من الجنة ؛ وإن كانت تلك الأجزاءُ كلُّها داخلَ المسجد الحرام ، كالحجر الأسود فإنه من الجنة ، والمقام من الجنة ،...

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « نزل الحجر الأسود من الجنة ؛ وهو أشدُّ بياضاً من اللبن ، ولكن

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب وجوب العمرة ، وفضلها . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل الحج والعمرة ، رقم (٤٣٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب فضل الحج المبرور ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٣٨).

سودتْه خطايا بني آدم ». رواه أحمد والنسائي والطبراني ، وصححه الترمذي وابنُ خزيمة[1].

وقد ورد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

لذا فإنه يأتي يوم القيامة ؛ له عينان يبصر بهما ، ولسان ينطق به ، يشهد لمن استلمه بحق .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يأتي هذا الحجرُ يومَ القيامة ؛ له عينان يُبصرُ بهما ، ولسانٌ ينطقُ به ، يشهدُ لمن استلمه بحق ». رواه أحمد ، والترمذي ـ وحسنه ـ وابنُ ماجه والدارمي ، وصححه ابنُ خزيمة وابن حبان والحاكم ، في آخرين[2].

وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « الركنُ والمقامُ ياقوتتان من ياقوت الجنة ، طمس الله نورَهما ، ولولا ذلك لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب ». رواه أحمد ، وصححه الترمذي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، ورواه البيهقي بسند صحيح أيضاً[3].

---

(١) مسند أحمد (١ : ٣٠٧ ، ٣٢٩ ، ٣٧٣) وسنن الترمذي : كتاب الحج : باب ما جاء في فضل الحجر الأسود والركن والمقام ، رقم (٨٧٧) وسنن النسائي ـ مختصراً ـ كتاب المناسك : باب ذكر الحجر الأسود (٥ : ٢٢٦) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٢١٩ - ٢٢٠) والمعجم الكبير (١١ : ٤٥٣ ، ١٤٦).

(٢) مسند أحمد (١ : ٢٤٧ ، ٢٦٦ ، ٢٩١ ، ٣٠٧ ، ٣٧٠) وسنن الترمذي : كتاب الحج : باب ما جاء في الحجر الأسود ، رقم (٩٦١) وسنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب استلام الحجر ، رقم (٢٩٤٤) وسنن الدارمي (١ : ٣٧٢ رقم ١٨٤٦) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٢٢٠ ، ٢٢١) وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٥ ، ٢٥ - ٢٦) والموارد ، رقم (١٠٠٥) والمستدرك (١ : ٤٥٧) وأقره الذهبي ، وسنن البيهقي (٥ : ٧٥) ومسند أبي يعلى (٥ : ١٠٧) والمعجم الكبير (١٢ : ٦٣).

(٣) مسند أحمد (٢ : ٢١٣ - ٢١٤ ، ٢١٤) وسنن الترمذي : كتاب الحج : باب ما جاء في فضل الحجر =

ـ فضل وادي السُّرَر :

ومن فضائل هذه البلدة المباركة ؛ أن جعل بعض أوديتها مباركة ، ومن تلك البركة ؛ أن سُرَّ تحت سَرْحة في بعض أوديتها ـ وهو وادي السُّرَر ـ سبعون نبياً ، كما أخبر بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن عمران الأنصاري رحمه الله تعالى قال : عدل إليَّ عبد الله بنُ عُمر رضي الله عنهما ـ وأنا نازلٌ تحت سَرْحَةٍ ، بطريق مكة ـ فقال : ما أنزلك هذه السَّرْحة ؟ فقلت : أردتُ ظلَّها . فقال : هل غير ذلك؟ فقلت : لا ، ما أنزلني إلا ذلك .

فقال عبد الله بنُ عُمر : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إذا كنتَ بين الأخشبين مِن مِنى ـ ونفح بيده نحوَ المشرق ـ فإن هناك وادياً يقال له : السُّرَر ، به شجرةٌ [وفي رواية : سَرحةٌ] سُرَّ تحتها سبعون نبيّاً ». رواه مالك وأحمد والنسائي وابن حبان والبيهقي[1].

وقوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « سُرَّ تحتها سبعون نبيّاً ». يحتمل معنيين :

= الأسود والركن والمقام ، رقم (٨٧٨) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٢١٩) وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٤) والموارد ، رقم (١٠٠٤) والثقات (٦ : ٣٠٦ – ٣٠٧) والمستدرك (١ : ٤٥٦) والسنن الكبرى (٥ : ٧٥) ودلائل النبوة (٢ : ٥٢) والكنى للدولابي (٢ : ١٦٦) ومصنف عبد الرزاق (٥ : ٣٩).

(١) الموطأ : كتاب الحج : باب جامع الحج ، رقم (٢٤٩) ومسند أحمد (٢ : ١٣٨) وسنن النسائي : كتاب الحج : باب ما ذكر في منى (٥ : ٢٤٨ – ٢٤٩) وصحيح ابن حبان (١٤ : ١٣٧) وموارد الظمآن (٢٥٤ – ٢٥٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ١٣٩) وانظر مسند أبي يعلى (١٠ : ٨٧).

والسرحة : هي الشجرة العظيمة لها شُعب .

والأخشبان : جبلان من جبال مكة مطبقان بها ، يضافان تارة إلى مكة ، وتارة إلى منى ، وهما : جبل أبي قُبيس ، والجبل الأحمر المشرف هنالك .

الأول : أي وُلدوا تحتها ، فقُطعت سُرَرُهم ، وهو ما تقطعه القابلة من سُرَّة الوليد عند الولادة[1].

الثاني : هو من السرور ، أي بُشِّروا بالنبوة ، أي نُبِّؤوا واحداً بعد واحد ، فسُرُّوا بذلك ، وبه قال الإمام مالك ، وجزم به الإمام الزرقاني ، واختاره جماعة رحمهم الله تعالى[2]، والله تعالى أعلم .

ـ دفن سبعين نبياً في مسجد الخيف :

ومن فضائل هذه البلدة المباركة ؛ أن قُبر في مسجد خَيفها سبعون نبيّاً ؛ على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ، كما أخبر بذلك رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « في مسجد الخَيف قُبِرَ سبعون نبياً ». رواه البزار والطبراني في الكبير ، وقال الهيثمي : رجاله ثقات . وقال الحافظ ابنُ حجر في مختصر زوائد البزار : هذا إسناد صحيح[3].

ـ فضائل ماء زمزم :

إن فضائل ماء زمزم كثيرة جداً ، ولا أعلم ماءاً في الدنيا جاء فيه ما جاء في ماء زمزم ، وإن كان يشاركه في بعض مزاياه بعضُ المياه ، أو الآبار الأخرى ، لكني سأقتصر على ذكر بعضها .

---

(١) انظر : النهاية (٢ : ٣٥٩) وغريب الحديث لأبي عُبيد (٤ : ٢٥٨ - ٢٥٩) ومجمع بحار الأنوار (٣ : ٦٠).

(٢) انظر : شرح الزرقاني على الموطأ (٢ : ٣٩٩) وجامع الأصول (٩ : ٢٩٣) وشرح السيوطي على النسائي (٥ : ٢٤٩).

(٣) كشف الأستار (٢ : ٤٩) والمعجم الكبير (١٢ : ٤١٤) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٩٧) ومختصر زوائد البزار (١ : ٤٧٦ رقم ٨١٣).

ومن تلك الفضائل :

ـ غسل صدر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم منه مرات :

ومن فضائل ماء زمزم ؛ أن جبريل عليه السلام غسل صدر وقلب النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقد ثبت ـ في الصحيحين وغيرهما ـ أربع مرات ؛ عندما كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يرضع في بني سعد ، وعند بدء البعثة الشريفة ، وفي ليلة الإسراء والمعراج ، وفي غير ذلك ،... وقد أفردت في ذلك رسالةً خاصةً به ، لكني أشير هنا إلى بعض الروايات الكريمة :

فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أتاه جبريل صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو يلعب مع الغلمان ، فأخذه فصرعه ، فشقَّ عن قلبه ، فاستخرج القلبَ ، فاستخرج منه علقةً ، فقال : هذا حظُّ الشيطان منك ، ثم غسله في طستٍ من ذهبٍ بماءِ زمزم ، ثم لأَمَه ، ثم أعاده في مكانه ، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه (يعني : ظئره) فقالوا : إن محمداً قد قُتل . فاستقبلوه وهو منتقع اللون ،... الحديث بطوله ، رواه مسلم[1].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « فُرج سقف بيتي وأنا بمكةَ ، فنزل جبريل صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ففرج صدري ، ثم غسله من ماء زمزم ، ثم جاء بطست من ذهبٍ ممتلئٍ حكمةً وإيماناً ، فأفرغها في صدري ، ثم أطبقه ، ثم أخذ بيدي ، فعرج بي إلى السماء ». الحديث بطوله في قصة المعراج ، متفق عليه[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السمٰوات وفرض الصلاة ، رقم (٢٦١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب كيف فُرضت الصلوات في الإسراء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٦٣).

وعن مالك بن صعصعة رضي الله تعالى عنه قال : قال نبي الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان ، إذ سمعت قائلاً يقول : أحدُ الثلاثة بين الرجلين ، فأُتيتُ ، فانطُلِقَ بي ، فأُتيتُ بطستٍ من ذهبٍ فيها ماءُ زمزم ، فشُرح صدري إلى كذا وكذا ، فاستُخرج قلبي ، فغُسِل بماء زمزم ، ثم أُعيد مكانَه ، ثم حُشِي إيماناً وحكمةً ، ثم أُتيتُ بدابة أبيض يقال له البُراق ، فوق الحمار ودون البغل ، يقع خطوُه عند أقصى طرفه ، فحُملتُ عليه ،... ». الحديث بطوله في قصة المعراج ، متفق عليه[1].

ـ مجُّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فيه :

ومن فضائل ماء زمزم : مجُّ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فيه يومَ الحج ، وذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلَّم لما نُزع له دلوٌ ليشرب منه ، مجَّ صلى الله عليه وآله وسلَّم في الدلو ، ثم أفرغ ذلك الماء الذي مج فيه في البئر ، ليتبارك البئرُ وماؤه ، فهو ماء مبارك ، حلت فيه البركةُ أيضاً ، والله تعالى أعلم .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى زمزم ، فنزعنا له دلواً ، فشرب ، ثم مجَّ فيها ، ثم أفرغناها في زمزم ، ثم قال : « لولا أن تُغلبوا عليها لنزعتُ بيدي ». رواه أحمد والطبراني بإسناد صحيح على شرط مسلم[2].

وقد ورد عن غير واحد من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم نحوُه .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب ذكر الملائكة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٢٦٤ ، ٢٦٥).

(٢) مسند أحمد (١ : ٣٧٢) وأخبار مكة للفاكهي (٢ : ٥٥) والمعجم الكبير (١١ : ٩٧) وانظر : البداية والنهاية (٥ : ١٩٣).

ـ هي مباركة ، طعام طعم ، وشفاء سقم :

ومن فضائل ماء زمزم ؛ أنها مباركةٌ ، وأنها طعامُ طعم ، وشفاءُ سقم . فهي تكفي عن الطعام والشراب . وهذا ما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عنه .

فعن أبي ذر رضي الله عنه ، في حديثه الطويل ـ في قصة إسلامه ـ وفيه قوله رضي الله تعالى عنه : ولقد لبثتُ ـ يا ابن أخي ـ ثلاثين ، بين ليلة ويوم ، وما كان لي طعامٌ إلا ماءُ زمزم ، فسمنتُ حتى تكسَّرتْ عُكَنُ بطني ، وما وجدتُ على كبدي سخفةَ جوع ،... قال : وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حتى استلم الحَجَرَ ، وطاف بالبيت ،... قال : « متى كنتَ هٰهنا ؟ ». قال : قلتُ : منذ ثلاثين ، بين ليلةٍ ويومٍ ، قال : « فمن كان يُطعمك ؟ ». قال : قلتُ : ما كان لي طعامٌ إلا ماء زمزم ، فسمنتُ حتى تكسَّرت عُكَنُ بطني ، وما أجد على بطني سخفةَ جوع . قال : « إنها مباركة ، إنها طعامُ طُعم ،... ». رواه مسلم ، وأصله متفق عليه[1].

وفي رواية الطيالسي والبزار والطبراني والبيهقي وآخرين ، برجال الصحيح ، وصححه الحفاظ المنذري وابنُ حجر والبوصيري[2] : وفيه « إنها مباركة ، إنها طعامُ طُعم ، وشفاء سقم ».

---

(١) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل أبي ذر رضي الله عنه ، رقم (١٣٢).

(٢) مسند الطيالسي (٦١ رقم ٤٥٧) وكشف الأستار (٢ : ٤٧) والمعجم الصغير (١ : ١٨٦ رقم ٢٩٥) والسنن الكبرى (٥ : ١٤٧) ودلائل النبوة (٢ : ٢٠٨) وأخبار مكة (٢ : ٢٩) والترغيب والترهيب (٣ : ٤٦) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٨٦) والمطالب العالية ـ النسخة المسندة ـ (٢ : ٦٥ – ٦٦) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ١٤٧) وعزاه للطيالسي وابن أبي شيبة والحاكم والبيهقي .

ورواه الطبراني ـ وسنده رجاله ثقات ـ وصححه ابنُ حبان ـ كما قال الحافظ الهيثمي ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً[1].

ـ هي لما شُرب له :

ومن فضائل ماء زمزم : أنه لما شُرب له ، وهذا ما أخبر رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عنه ، ولهذا قلَّ عالِمٌ أو صالح ، أو... يصل مكةَ ؛ إلا ويشربُ من ماء زمزمها ، على نيات كثيرة ، وقد حقق الله سبحانه وتعالى لهم ما يريدون ، وقد كثرت أقوالهم في هذا الموضوع ، حتى صار مستفيضاً[2].

وإذا كان ماء زمزم هو شراب أهل مكة الأساسي علمنا فضل ما خُصّوا به ، والله تعالى أعلم .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ماءُ زمزم لما شُرب له ». رواه أحمد ، وابن وأبي شيبة ، وابن ماجه ، والطبراني ، والبيهقي ، وله طرق وشواهد ، لذا حسنه بعض الحفاظ ؛ كالمنذري وابن القيم ، وصححه الحاكم ، وأقره الذهبي[3].

---

(١) المعجم الكبير (١١ : ٩٨) والمعجم الأوسط (٤ : ١٧٩) (٨ : ١١٢ – ١١٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٨٦) ومجمع البحرين (٣ : ٢٣٤) والترغيب والترهيب (٣ : ٤٥ – ٤٦) وعزاه لابن حبان أيضاً .

(٢) انظر : ما كتبه الأخ الكريم الدكتور سائد بكداش في كتابه (ماء زمزم).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٩٥) ومسند أحمد (٣ : ٣٥٧ ، ٣٧٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الحج : باب الشرب من زمزم ، رقم (٣٠٦٢) وتاريخ مكة (٢ : ٥٢) والمعجم الأوسط (١ : ٦٩) والمستدرك (١ : ٤٧٣) وسنن الدارقطني (٢ : ٢٨٩) والسنن الكبرى (٥ : ١٤٨ ، ٢٠٢) وشعب الإيمان (٣ : ٤٨١ – ٤٨٢) وأخبار أصبهان (٢ : ٣٧) وتاريخ بغداد (٣ : ١٧٩) (١٠ : ١٦٦) وأخبار مكة (٢ : ٢٧) والترغيب والترهيب (٣ : ٤٧) وفيض القدير (٥ : ٤٠٤) وانظر جزء الحافظ ابن حجر في هذا الحديث بآخر (فضل ماء زمزم) وبيان حكمه فيه . وفتح الباري (٣ : ٤٩٣) وزاد المعاد (٤ : ٣٩٢ – ٣٩٣).

ـ هي تطفئ الحُمَّىٰ :

ومن فضائل ماء زمزم ومزاياه المجرَّبة ؛ أنها تطفئ الحُمّىٰ ، وإن كان قد ورد الحديثُ في الصحيحين عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم من غير تقييد بماء زمزم ، إلا في هذا الحديث .

فعن أبي جَمرةَ الضُّبَعيِّ رحمه الله قال : كنتُ أجالس عبد الله بن عباس بمكةَ ، فأخذتني الحُمّىٰ ، فقال : أَبرِدها عنك بماء زمزم ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « هي الحمّىٰ من فيح جهنم ، فأبردوها بالماء ـ أو قال : بماء زمزم ». شك همّام . رواه البخاري ، هكذا بالشك[1].

لكن رواه كثيرون بلفظ : « فأَبردوها بماء زمزم »[2]. من غير شك والله تعالى أعلم .

ـ الحث على التَّضَلُّعِ منه :

لقد حث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على التَّضلع من ماء زمزم ، وبيَّن صلى الله عليه وآله وسلَّم أن المنافقين لا يستطيعون أن يتضلَّعوا منه .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ـ وجاءه رجل ـ فقال : من أين جئتَ ؟ قال : من زمزم . قال : فشربتَ منها كما ينبغي ؟ قال : وكيف ؟ قال : إذا شربتَ منها ؛ فاستقبل القِبلةَ ، واذكر اسمَ الله ، وتنفَّس ثلاثاً ، وتضَلَّع منها ، فإذا فرغتَ ؛ فاحمد الله عز وجل .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب صفة النار وأنها مخلوقة .

(٢) مسند أحمد (١ : ٢٩١) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الطب : باب تبريد الحمىٰ بماء زمزم (٤ : ٣٨٠) ومشكل الآثار (٢ : ٣٤٦) وصحيح ابن حبان (١٣ : ٤٣١ - ٤٣٢) وأخبار مكة (٢ : ٢٨) والمستدرك (٤ : ٢٠٠) وأقره الذهبي ، وهذا مما يستدرك عليهما ، ومسند أبي يعلى (٥ : ١١٨ - ١١٩) والمعجم الكبير (١٣ : ٢٢٩ - ٢٣٠) وانظر فتح الباري (١٠ : ١٧٦).

فإن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن آيةَ ما بيننا وبين المنافقين ، إنهم لا يتضلَّعون من زمزم ». رواه عبد الرزاق ، والبخاري في تاريخه ، وابن ماجه والطبراني ، والحاكم وصححه على شرطهما ، إن كان عثمانُ بنُ الأسود سمعه من ابن عباس رضي الله عنهما ، ورواه الدارقطني والبيهقي ـ من طرق ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما موصولاً ، وقال الإمامُ البوصيري[1] : هذا إسنادٌ صحيحٌ ، رجالُه ثقات.اهـ. فالحديث صحيح ، والله تعالى أعلم .

ـ الحث على نقله :

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ينقل ماءَ زمزم ، ويطلب ممن ينقلُه له ، حيث أرسل إلى سهيل بن عَمْرو أن يبعث له منه ، كما فعل أمهاتُ المؤمنين رضي الله عنهن بعده صلى الله عليه وآله وسلَّم ذلك .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها ، أنها كانت تحمل من ماء زمزم ، وتخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان يحمله . رواه الترمذي وحسَّنه ، والحاكمُ وصححه . والأزرقي وأبو يعلى ، والبخاري في تاريخه وقال : لا يتابع خلّاد عليه.اهـ.

---

(١) سنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب الشرب من زمزم ، رقم (٣٠٦١) ومصنف عبد الرزاق (٥ : ١١٢ – ١١٣) والتاريخ الكبير (١ : ١٥٧ – ١٥٨) والمعجم الكبير (١١ : ١٢٤) وسنن الدارقطني (٢ : ٢٨٨) والمستدرك (١ : ٤٧٢ – ٤٧٣) والسنن الكبرى (٥ : ١٤٧) وأخبار مكة (٢ : ٢٨) وللأزرقي (٢ : ٥٢) ومصباح الزجاجة (٣ : ٢٠٨) وانظر فيض القدير (١ : ٦١) والمقاصد الحسنة (٣٥٨).

تنبيه : سقط من سند الحاكم (عبد الله بن أبي مليكة) لذا استدرك عليه الحافظ الذهبي ، لكنه موجود عند الدارقطني والبيهقي والفاكهي ، لذا زال الإشكال وصح الحديث ، لذا حسنه الحافظ ابنُ حجر والسخاويُّ وغيرهما ، والله تعالى أعلم .

لكن للحديث شاهدان ؛ من حديث ابن عباس وجابر رضي الله عنهم ، رواهما الطبراني والبيهقي[1]. فالحديث بهما حسن ، والله تعالى أعلم .

ـ دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة :

لقد كثرت دعوات إبراهيم عليه السلام لمكة ، وأهلها ، وطعامها ، وشرابها ،... وقد وردت تلك الدعوات في عدد من السور ، كما ذكرها النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أيضاً ، في عدد من الأحاديث النبوية الشريفة .

عن عبد الله بن زيد رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن إبراهيمَ حرَّم مكةَ ، ودعا لها ،... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : كان الناسُ إذا رأوا أولَ الثَّمَرِ ؛ جاءوا به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فإذا أخذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « اللهم بارك لنا في ثَمَرِنا ،... الحديث ، وفي آخره : اللهم إن إبراهيمَ عبدُك وخليلك ونبيُّك ، وإني عبدُك ونبيُّك ، وإنه دعاك لمكة ، وأنا أدعوك للمدينة ، بمثل ما دعاك لمكة ، ومثلِه معه ». رواه مسلم[3].

وقد جاءت دعوات إبراهيم عليه السلام لمكة وأهلها في موضعين من القرآن الكريم :

---

(١) سنن الترمذي : كتاب الحج : باب (١١٥ ، رقم ٩٦٣) والمستدرك (١ : ٤٨٥) والتاريخ الكبير (٣ : ١٨٩) ومسند أبي يعلى (٨ : ١٣٩) والمعجم الكبير (١١ : ٢٠١) وأخبار مكة (٢ : ٤٩) والسنن الكبرى (٥ : ٢٠٢) وشعب الإيمان (٣ : ٢٨٢) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٨٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب بركة صاع النبي ومُدِّه . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل المدينة ،... رقم (٤٥٥).

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٤٧٣ – ٤٧٤).

قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1].

وقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[2].

فقد دعا عليه السلام لها ولأهلها ؛ بالبلدية ، والأمنِ ، والرزقِ من ثمرات الأرض ، وتَجنيبِهم عبادة الأصنام ، وأن يَجعلَ من ذريته الأمةَ المسلمةَ ، وأن يجعل الإمامةَ فيهم ، وأن يبعث فيها رسولاً منها ، وأنَّ من تبعه فهو منه ، ومن عصاه فإن الله غفور رحيم ، وأن يجعل أفئدةً من الناس تهوي إليهم ، ويكرمَهم بإقامة الصلاة ، وبالشكر ، وبالبركة في اللحم والماء ،...إلخ. وقد تحقق ذلك كله ـ ولله الحمدُ والمِنَّةُ ـ لها ولأهلها . وانظر تفاصيل ذلك في الأصل ومختصره .

ـ هي بلد مولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ومنشئه ومبعثه :

لقد أكرم الله تعالى هذه المدينة المباركة ـ فيما أكرمها ـ أن جعلها مكانَ مولدِ رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومنشئِه ، ومبعثِه ، فقد وُلد

(١) سورة البقرة (١٢٦ ، ١٢٨ – ١٢٩).

(٢) سورة إبراهيم (٣٥ – ٣٧).

صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ؛ في بيت والده بجوار الصفا ، وبيته معروف إلى اليوم ، وهذا أمر مجمع عليه[1] ولا خلاف بين علماء المسلمين في ذلك . ثم نشأ وعاش صلى الله عليه وآله وسلَّم في كنف أمه ، ثم في كنف جدِّه عبد المطلب ، ثم في كنف عمه أبي طالب ، إلى أن بُعث صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو ابن أربعين ، وبقي صلى الله عليه وآله وسلَّم يدعو الناس فيها ثلاث عشرة سنة ، حتى هاجر منها إلى المدينة المنورة ، فيكون قد عاش صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ثلاثاً وخمسين سنة ، حتى هاجر منها إلى المدينة ، ليعود إليها فاتحاً مُطهِّراً رحيماً شفوقاً .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : أُنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو ابنُ أربعين ، فمكث بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً ، ثم أُمِر بالهجرة إلى المدينة ، فمكث بها عشرَ سنين ، ثم تُوفِّي صلى الله عليه وآله وسلَّم . متفق عليه ، واللفظ للبخاري[2].

فيكون النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : قد أقام في مكة ـ منذ ولادته الشريفة حتى هاجر منها ـ ثلاثاً وخمسين سنة ، والله تعالى أعلم .

ـ جعل الإيمان يأرز بين الحرمين :

ومن فضائل أهل هاتين البلدتين المباركتين الكريمتين ـ مكة المكرمة والمدينة المنورة ـ أن الإيمان يأرز بين المسجدين ، وفي هذا شهادة من رسول الله صلى الله

---

(١) انظر تعليقي على كتاب (الإشارة) للحافظ مغلطاي رحمه الله تعالى .

(٢) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب مبعث النبي ﷺ ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب كم أقام النبي ﷺ بمكة والمدينة ، رقم (١١٧ – ١١٨).

عليه وآله وسلَّم لأهلها ، ولمن بينهما بالإيمان ، كما أن الإيمان يتجدد فيهما ، إذ في مكة المسجدُ الحرام ومناسكُ الحج والعمرة ، وفي المدينة قبرُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ومسجدُه الشريف ، وآثارُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وصحابتِهِ الكرام رضي الله عنهم .

وهل هذا الأَرْزُ : في زمن محدَّد ، أم يشملُ جميعَ الأزمنة ؟ يحتمل الأمرين . وبكلٍّ قال علماءُ ، لكن الأكثرية جنحوا إلى عمومه في كلِّ العصور ، وهذا ما يجده كلُّ مؤمن ، له من نفسه سائقٌ إلى الحجاز ، لمحبته في النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، والبيت العتيق ، والله تعالى أعلم .

فعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « إن الإسلامَ بدأ غريباً ، وسيعود غريباً ، كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين ، كما تأرز الحيةُ في جحرها ». رواه مسلم[1].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « ...والذي نفسُ أبي القاسم بيده ؛ ليأرِزُنَّ الإيمانُ إلى بين هذين المسجدين كما تأرِزُ الحيةُ إلى جُحْرِها ». رواه أحمد والبزار وأبو يعلى برجال الصحيح[2].

فهما مركز الإيمان ومستقرُّه ، منهما بدأ ، وبينهما يأرِز ، وإليهما ينتهي ، وفيهما يبقى إلى آخر أيام الدنيا بإذن الله تعالى ، فهما المأوىٰ له والملجأ (مأرز الإيمان) ولا أحسن من هذا الوصف الجميل ، والله تعالى أعلم .

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : الباب الأول ، رقم (٢٣٣).

(٢) مسند أحمد (١ : ١٨٤) وكشف الأستار (٤ : ٩٨) ومسند أبي يعلى (٢ : ٩٩) ومجمع الزوائد (٧ : ٢٧٧) وانظر الأصل والمختصر لبيان الفرق بين (في جُحْرها) وَ (إلى جُحْرها).

ولهذا يئس الشيطان أن يعبد فيها ، لأنها مبعث الإيمان ومأرزه ، ومأواه ومستقره ، والله تعالى أعلم .

ـ مسجدُها أحدُ المساجد التي تشدُّ الرحلُ إليه :

ومن فضائل هذه البلدة المباركة ـ وهو معدود في فضائل أهلها ـ : أن من نذر ، أو أوجب على نفسه الصلاةَ في مسجدها ، لزمه ذلك ، ووجب عليه شدُّ الرحل إليها ؛ لتلك العبادة ، حيث جُعل مسجدُها أحدَ المساجد الثلاثة التي تُشدُّ إليه الرحال ، وقد تواتر هذا المعنى عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث رواه عددٌ كثير ، وإن لم يخرجه من جمع الحديثَ المتواترَ عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم . وقد تتبعتُ طرق هذا الحديث ورواياته في : فضائل المدينة المنورة ، وفي الأصل أيضاً . فانظرها فيهما إن شئتَ . ومن تلك الروايات :

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ؛ مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ». متفق عليه[1].

ورروياه[2] من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وفي رواية أحمد وأبي يعلى[3] : « لا ينبغي للمَطيِّ أن تُشدَّ رحالُه إلى مسجدٍ ينبغي فيه الصلاةُ ؛ غيرَ المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا ».

---

(١) صحيح البخاري : كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة : باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، رقم (٥١١ – ٥١٢).

(٢) صحيح البخاري : الكتاب السابق : باب مسجد بيت المقدس ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب سفر المرأة مع محرم ، رقم (٤١٥).

(٣) مسند أحمد (٣ : ٦٤) ومسند أبي يعلى (٢ : ٤٨٩ – ٤٩٠) ومجمع الزوائد (٤ : ٣) وعزاه في كنز العمال (١٢ : ٢٧٠ – ٢٧١) لابن خزيمة وابن منصور .

ـ مضاعفة أجر الصلاة فيها :

ومن فضائل هذه البلدة المباركة الكريمة ـ وهو معدود في فضائل ساكنيها ـ مضاعفةُ أجر الصلاة فيها مضاعفة كبيرة عن الصلاة في غيرها ؛ فهي أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد النبوي ، فهي ـ عند الجمهور ـ : أفضلُ من مائة صلاة فيه ، خلافاً للإمام مالك وموافقيه رحمهم الله تعالى .

فمن صلى فيها ثمانية عشر وقتاً ؛ كان كمن صلَّى بعدد أيام نوح عليه السلام في قومه . فكيف لو صلَّى فيها في جماعة ؟ لكان الأجر أكثر من ذلك بكثير .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من ألف صلاةٍ فيما سواه ، إلا المسجد الحرام ، وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضلُ من مائة ألفِ صلاةٍ فيما سواه ». رواه أحمد وابن ماجه والطحاوي بإسناد صحيح رجاله ثقات[1]، وصححه المنذري والبوصيري وابن حجر رحمهم الله تعالى

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاةٍ ، والصلاة في مسجدي بألف صلاةٍ ، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة ». رواه البزار والطبراني وابن عبد البر ـ بإسناد حسن ـ وقال البزار : هذا إسناد حسن . ورواه ابنُ خزيمة

---

(١) مسند أحمد (٣ : ٣٤٣ ، ٣٩٧) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ،... رقم (١٤٠٦) ومشكل الآثار (١ : ٢٤٦) وشرح معاني الآثار (٣ : ١٢٧) وشعب الإيمان (٤ : ٤٨٦) والتمهيد (٦ : ٢٧) وأخبار مكة (٢ : ٩٠) ومصباح الزجاجة (٢ : ١٣) والترغيب والترهيب (٣ : ٥٠) وفتح الباري (٣ : ٦٧) وقال : رجاله ثقات . وعمدة القاري (٧ : ٢٥٦).

في آخرين[1].

وقد ورد هذا المعنى عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

وأما قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ ـ أو أفضل ـ من ألف صلاة فيما سواه من المساجد ، إلا المسجد الحرام ». فقد رواه في الصحيحين وغيرهما بأسانيد مختلفة ؛ نحوٌ من عشرين صحابياً ، ذكرتُ رواياتهم في فضائل المدينة المنورة ، وفي الأصل ، والله تعالى أعلم .

ـ محبة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لها :

لقد أكرم الله تعالى هذه البلدةَ المباركةَ بأنها تُحب النبيَّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأنه صلى الله عليه وآله وسلَّم يحبها أيضاً ، وقد تعددت مظاهرُ محبته صلى الله عليه وآله وسلَّم لها .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم لمكة : « ما أطيبك من بلد ، وأحبك إليَّ ، ولولا أن قومَك أخرجوني منك ؛ ما سكنتُ غيرك ». رواه الترمذي ـ وحسنه ـ وصححه الحاكم وابن حبان ، وأقره الذهبي ، ورواه الطبراني وأبو يعلى برجال ثقات[2].

وعن عبد الله بن عَدي بن الحمراء رضي الله تعالى عنه قال : رأيتُ رسول الله

---

(١) كشف الأستار (١ : ٢١٢ – ٢١٣) ومشكل الآثار (١ : ٢٤٨) والتمهيد (٦ : ٣٠) وشعب الإيمان (٤ : ٤٨٤ – ٤٨٥) وأخبار مكة (٢ : ٩١) ومجمع الزوائد (٤ : ٧) وفتح الباري (٣ : ٦٧) وعمدة القاري (٧ : ٢٥٦) والترغيب والترهيب (٣ : ٥٢).

(٢) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب ما جاء في فضل مكة ، رقم (٣٩٢٦) وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٣) والمستدرك (١ : ٤٨٦) ومسند أبي يعلى (٥ : ٦٩) والمعجم الكبير (١٠ : ٣٢٥ ، ٣٢٩) والمقصد العلي ، رقم (٦٠٨) والمطالب العالية رقم (٣٧٣٦) ومعجم الشيوخ لابن جُميع (٢٢٠).

صلى الله عليه وآله وسلَّم واقفاً على الحَزْوَرَةِ ، فقال : « والله ، إنك لخيرُ أرض الله ، وأحبُّ أرض الله إلى الله ، ولولا أني أُخرجتُ منك ما خرجتُ ». رواه أحمد ، والترمذي وابن حبان والحاكم وصححوه وأقره الذهبي ، والنسائي وابن ماجه والدارمي في آخرين[1]، والله تعالى أعلم .

ـ سلام الحجر والشجر والجبل فيها عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة مكة المكرمة للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : سلامُ الحجر والشجر والجبل فيها عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ومن تلك النصوص :

فعن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إني لأَعرف حجراً بمكة كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ قبل أن أبعث ، إني لأعرفه الآن ». رواه مسلم[2].

وفي لفظ الترمذي[3] : « إن بِمكة حَجَراً ؛ كان يُسَلِّمُ عَلَيَّ ليالي بُعثتُ ، إني لأعرفه الآن ».

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٣٠٥) وسنن الترمذي : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٣٩٢٥) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الحج : باب فضل مكة (٢ : ٤٧٩ – ٤٨٠) وتحفة الأشراف (٥ : ٣١٦) وسنن ابن ماجه : كتاب المناسك : باب ما جاء في فضل مكة ، رقم (٣١٠٨) وصحيح ابن حبان (٩ : ٢٢) وسنن الدارمي (٢ : ١٥٦ رقم ٢٥١٣) ومسند عبد بن حميد (١٧٧ – ١٧٨) والمستدرك (٣ : ٧ ، ٢٨٠ ، ٤٣١) ودلائل النبوة (٥ : ١٠٦).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل نسب النبي ﷺ ، وتسليم الحجر عليه ، رقم (٢).

(٣) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في إثبات نبوة النبي ﷺ ، وما قد خصَّه الله عز وجل ، رقم (٣٦٢٤).

وآله وسلَّم بمكة ، فخرجنا في بعض نواحيها ، فما استقبله شجرٌ ولا جبلٌ إلا قال : السلام عليك يا رسول الله . رواه الترمذي وحسنه ، والدارمي والطبراني ، وصححه الحاكم وأقره الذهبي ورواه أبو نُعيم والبيهقي[1] .

وزاد البيهقي في رواية : وأنا أسمعه .

ـ اهتزاز جَبَلَي حراء وثبير تحت قدميه النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن مظاهر محبة مكة المكرمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : اهتزاز جبلَي حِراء وثَبير تحت قدميه صلى الله عليه وآله وسلَّم عندما صعد عليها ، ومعه شيوخ الإسلام ، وخيرُ الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام ورضي الله تعالى عنهم ، فلما أمرها صلى الله عليه وآله وسلَّم بالسكون سكنت .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان على حِراء ؛ هو ، وأبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وطلحة ، والزبير ـ زاد في رواية : وسعد بن أبي وقاص ـ فتحركت الصخرةُ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اهدأ ، فما عليك إلا نبيٌّ ، أو صدِّيقٌ ، أو شهيد ». رواه مسلم[2] .

وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال : أشهد على التسعة أنهم في الجنة ، ولو شهدتُ على العاشر لم آثم . قيل : وكيف ذلك ؟ قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بحراء [وفي رواية : اهتز حِراءُ] فقال رسول الله صلى الله

---

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب (٦ رقم ٣٦٢٦) وبشرح تحفة الأحوذي (١٠ : ١٠٠) وسنن الدارمي (١ : ١٩ – ٢٠) والمستدرك (٢ : ٦٢٠) ودلائل النبوة لأبي نعيم (٢ : ٥٠١) وللبيهقي (٢ : ١٥٣). وانظر : شمائل الرسول ﷺ لابن كثير (٢٥٩ – ٢٦٠) والخصائص الكبرى (١ : ٩٨) ففيهما تحسين الترمذي .

(٢) صحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب من فضائل طلحة والزبير رضي الله عنهما ، رقم (٥٠).

عليه وآله وسلَّم : « اثبت حِراءُ ، فإنه ليس عليك إلا نبي ، أو صِدِّيقٌ ، أو شهيدٌ ». قيل : ومن هم ؟ قال : رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأبو بكر ، وعمرُ ، وعثمانُ ، وعَلِيٌّ ، وطلحةُ ، والزبيرُ ، وسعدٌ ، وعبد الرحمٰن . قيل : فمن العاشر ؟ قال : أنا . رواه أحمد والطيالسي والأربعة والحميدي وابن أبي شيبة وابن حبان والحاكم في آخرين[1].

وقد ورد نحو ذلك عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم ذكرتُ رواياتهم في : فضائل المدينة المنورة ، وفي الأصل .

وعن ثُمامةَ بن حزن القُشيريِّ رحمه الله قال : شهدتُ الدارَ حين أشرف عليهم عثمانُ رضي الله عنه فقال : ...أُنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم كان على ثبير : ثبير مكة ، ومعه أبو بكر ، وعمر ، وأنا ، فتحرك الجبلُ ، فركضه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بِرِجلِه ، وقال : « اسكن ثبير ، فإنما عليك نبيٌّ ، وصِدِّيقٌ ، وشهيدان ؟ ». رواه الترمذي ـ وحسنه ـ والنسائي والدارقطني ، كما روياه من طريق آخر بنحوه ، برجال ثقات وسند صحيح .

---

(١) مسند أحمد (١ : ١٨٧ – ١٨٩) وفضائل الصحابة له (١ : ١١٣ – ١١٤ ، ٢١٨ – ٢١٩ ، ٢٢٩ – ٢٣٠) وسنن أبي داود : كتاب السنة : باب في الخلفاء ، رقم (٤٦٤٨) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب سعيد بن زيد رضي الله عنه ، رقم (٣٧٥٧) وفضائل الصحابة للنسائي (٨٥ – ٨٦ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١١ – ١١٢) وسنن ابن ماجه : المقدمة : فضائل العشرة ، رقم (١٣٤) وكتاب السنة (٢ : ٦١٨ ، ٦١٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١٢ : ١٤) ومسند الطيالسي (٣٢) ومسند أبي يعلى (٢ : ٢٥٨ ، ٢٥٩) والمستدرك (٣ : ٤٥٠ – ٤٥١) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٤٥٧ – ٤٥٨) والبحر الزخار (٤ : ٩١ – ٩٢) ومسند الشاشي (١ : ٢٣٦ ، ٢٣٨ – ٢٤١ من طرق) والمعجم الكبير (١ : ١١٦) والمعجم الأوسط (١ : ٢٦٧) (٤ : ٣٣٩) (٧ : ١٨٢ – ١٨٣) (٨ : ١٤٧) والحلية (٤ : ٣٤١) مختصراً (٥ : ٢٥) وفيه وهم ، والمختارة (٣ : ٢٧٩ – ٢٨١).

وابن أبي عاصم والضياء[1].

ففي هذه الأحاديث معجزات للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ذكرتها في فضائل المدينة المنورة ، وفي الأصل .

كما أن هذه الأحاديث تدل على أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم كان كرر طلوعَه على هذه الجبال ، وأن ذلك محمول على أنه صلوات الله عليه وآله وسلَّم صعد عليها في إحدىٰ دخلاته مكة بعد الهجرة ، أو أن يكون ذلك في السنوات الأخيرة من العهد المكي .

وذلك لأن الصِّديق رضي الله عنه ما نال هذا اللقب إلا بعد ليلة الإسراء والمعراج ، كما هو معلوم ، ولأن بعض الصحابة المذكورين رضي الله عنهم كان قد تأخر إسلامُهم ، كما هو معلوم أيضاً ، ولأن وصفَ الشهادة إنما هو في العهد المدني ، والله تعالى أعلم .

ولهذا كانت السيدةُ عائشة رضي الله تعالى عنها تُجاور في ثبير ، وهذا بعد وفاة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم كما لا يخفى .

فعن عطاء بن السائب رحمه الله تعالى قال : ...وكنتُ آتي عائشة رضي الله عنها ـ أنا وعُبيدُ بنُ عُمَيْر ، وهي مجاورةٌ في جوف ثبير ،... رواه البخاري[2].

---

(١) سنن الترمذي : كتاب المناقب : باب مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه ، رقم (٣٧٠٣) وقال : رُوي من غير وجه عن عثمان . وسنن النسائي : كتاب الأحباس : باب وقف المساجد (٦ : ٢٣٥ - ٢٣٦ ، ٢٣٦) والسنن الكبرى : كتاب الوصايا : باب وقف المساجد (٤ : ٩٧) والسنة (٢ : ٨٧٤ - ٨٧٦) وسنن الدارقطني (٤ : ١٩٦ ، ١٩٨) والمختارة (١ : ٤٤٦ - ٤٤٨) ورویٰ عبد الله في زوائد المسند (١ : ٧٤ - ٧٥) وابنُ خزيمة (٤ : ١٢١) أولَ الحديث الطويل .

(٢) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب طواف النساء مع الرجال ، وفي غيرهما ، وانظر فتح الباري (٣ : ٤٨١).

والذي يظهر لي ـ والله تعالى أعلم ـ أن الذي حمل السيدة عائشة رضي الله عنها على الاعتكاف في هذا الغار : هو ما ثبت أن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم كان قد جلس في هذا الغار ـ أو غيره ـ ومعه بعض الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ونزلت عليه سورة المرسلات ، وحصلت فيه قصة الحية .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في غار ، فنزلت ﴿ وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴾[1] وإنّا لنتلقّاها من فيه ؛ إذ خرجتْ حَيَّةٌ مِن جُحرِها ، فابتدرناها لنقتُلها ، فسبَقَتْنا فدخلَتْ جُحرَها . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « وُقِيَتْ شرَّكم ، كما وُقِيتُم شرَّها ». رواه البخاري[2].

لأنه قد جاء في بعض الروايات أنه (بمنى) وهي عند البخاري ، وفي أخرى (بحراء) وهي رواية الطبراني وغيره ، والله تعالى أعلم .

ـ أهل مكة هم أهل الله تعالى :

كان يقال لأهل مكة : أهلُ الله ، وهذا اللقب كان معروفاً لهم .

لما استعمل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عتّابَ بن أَسِيدٍ رضي الله عنه ؛ على مكة ـ يوم خروجه صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى حنين ، أو عند عودته صلى الله عليه وآله وسلَّم من الطائف ـ قال له : « استعملتك على أهل الله ». فقد ورد ـ مرسلاً ـ من حديث ابن أبي مُليكةَ ، ومعاذ بن أبي الحارث ، وسند كلٍّ منهما جيد . لكن لهما شاهدان من حديث ابن عَمْرو ومعاوية رضي

(١) سورة المرسلات (١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب بدء الخلق : باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم ، وفي غيرهما .

الله تعالى عنهم ذكرهما الفاكهي ، وشاهدٌ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، ذكره المحاملي في أماليه ، ورجالُه موثقون إلا محمد بن إسماعيل ، فإنهم ضَعَّفوا روايته في غير الموطأ مقيَّدة[1].

وقد ورد موقوفاً على أبي بكر الصديق قاله عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما حين عيَّنه للخلافة ، فلما خُوِّف رضي الله عنه بالله تعالى ، قال : أقول استخلفتُ عليهم خيرَ أهلك .

قال الإمامُ الزهري : يعني خيرَ أهل مكة[2].

كما ورد موقوفاً على عُمر بن الخطاب رضي الله عنه قاله لعامله على مكة ؛ نافع بن عبد الحارث الخزاعي رضي الله عنه .

لما قدم عمر رضي الله تعالى عنه إلى مكة ، تلقاه عاملُه نافعُ بن عبد الحارث الخزاعيُّ رضي الله عنه ، وخلَّف على مكة : ابنَ أَبزى ، فقال عمر رضي الله عنه : استعملتَ على أهل الله رجلاً من الموالي ! الحديث بطوله ،.... رواه أبو يعلى والأزرقي ، وهذا لفظهما ، ورواه مسلم وغيره بلفظ « أهل الوادي »[3].

ـ من مات في أحد الحرمين بُعث من الآمنين :

ومن فضائل هذه البلدة المباركة ، وهو معدودٌ في فضائل أهلها : أن من

---

(١) أخبار مكة للفاكهي (٣ : ٦٤ – ٦٨) وللأزرقي (٢ : ١٥١ ، ١٥٣) والإصابة (٤ : ٤٣٠).

(٢) أخبار مكة للفاكهي (٣ : ٦٧) وللأزرقي (٢ : ١٥٢ – ١٥٣) وإسناده صحيح ، وانظر تاريخ المدينة لابن شبة (٢ : ٦٧١).

(٣) أخبار مكة للأزرقي (٢ : ١٥١) ومسند أبي يعلى (١ : ١٨٥) وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، رقم (٢٦٩) وقد رواه عبد الرزاق وأحمد وابن ماجه والدارمي وابن حبان في آخرين .

مات فيها ؛ بُعث يوم القيامة من الآمنين ـ بإذن الله تعالى ـ وذلك لأنه يحشر في زمرة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولنيله الشفاعةَ قَبل غيره أيضاً من الأقوام مع أهل المدينة .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من مات في أحد الحرمين ؛ بُعث آمناً يوم القيامة ». رواه الطبراني في معجميه الأوسط والصغير ـ بسند حسن ـ وابنُ سعد وأبو الشيخ والبيهقي ، وله شواهد متعددة[1].

ـ أهل الحرمين أول من يحشر مع النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ومن فضائل هذه البلدة المباركة ، وهو معدودٌ في فضائل أهلها : أنهم أولُ الناس بَعْثاً ، ثم حشراً ،... مع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فيكونون في زمرته ، ومن كان في زمرة الكريم فإنه يُكرمُ بإذن الله تعالى . فكيف بمن يكون في زمرة سيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنا أولُ من تنشق عنه الأرضُ ، ثم أبو بكر ، ثم عمر ، ثم آتي أهلَ البقيع ؛ فيحشرون معي ، ثم أنتظر أهل مكة ، فأُحشر بين الحرمين ». رواه عبد الله بن أحمد ، والترمذي ـ وحسنه ـ والطبراني ، وابن حبان والحاكم وصححاه ـ

---

(١) الروض الداني (٢ : ٨٥ – ٨٦) والمعجم الأوسط (٦ : ٨٩) ومجمع الزوائد (٢ : ٣١٩) ومجمع البحرين (٢ : ٣٧٤) ومسند الطيالسي (١٢ – ١٣) ومنحة المعبود (١ : ٢٨٨) وشعب الإيمان (٨ : ٨٩ – ٩٠ ، ٩١ – ٩٢ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ١١٠ – ١١١ ، ١١٢) وأخبار مكة (٣ : ٦٨ – ٦٩) وجامع الأحاديث (٦ : ٦١١ ، ٦١٣) وكنز العمال (١٢ : ٢٧١ – ٢٧٣) والترغيب والترهيب (٣ : ٦٠) وكشف الخفاء (٢ : ٢٨٠) وانظر تعليقي في فضائل المدينة المنورة .

وحسنه الحافظ السيوطي ، وللحديث شواهد[1].

ـ أهل الحرمين أول من يشفع لهم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم :

ولما كان أهلُ الحرمين أولَ من يحشرُ مع النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : فإنهم أولُ من ينال الشفاعة ـ بإذن الله تعالى ـ من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهذه منقبة جليلة ، وفضيلة كريمةٌ ، ومزية كبيرة ، ومكرمة عظيمة ،... خاصةً إذا تصوَّرنا هولَ الموقف يوم القيامة .

عن عبد الملك بن عبّاد بن جعفر رضي الله عنه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « أولُ من أشفع له من أمتي : أهلُ المدينة ، ثم أهلُ مكة ، ثم أهلُ الطائف ». رواه البخاري في تاريخه وابن أبي عاصم والطبراني والبزار وابن شاهين والفاكهي ، وله شواهدُ هو بها حسن ، لذا صححه الحافظ السيوطي[2].

ـ تخفيف الله تعالى عن أهل مكة :

ومن مكانة أهل الحرم المكي ، ومما ينفردون به عن غيرهم من الناس ، وكذا

---

(١) فضائل الصحابة (١ : ١٥٠ ، ٢٣١ ، ٣٥١) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رقم (٣٦٩٢) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٣٢٤) والمستدرك (٣ : ٦٨) (٢ : ٤٦٥ – ٤٦٦) والمعجم الكبير (١٢ : ٣٠٥) ودلائل النبوة لأبي نعيم (١ : ٧٤) وأخبار مكة للفاكهي (٣ : ٧٠ – ٧١ من طرق) والكامل لابن عدي (٥ : ١٨٧٠ ، ١٨٧٢) والجامع الصغير (١ : ٤١٢ – ٤١٣) وتحفة الأشراف (٥ : ٤٥٧) ومصابيح السنة (٤ : ١٥٢).

وانظر : فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم (٣٥٢) وتعليقي على هذا الحديث في فضائل المدينة المنورة .

(٢) التاريخ الكبير (٥ : ٤٠٤ ، ٤١٤) والمعجم الأوسط (٢ : ٤٩١) والأوائل له (١٥٦ رقم ١١٠٤) والأوائل لابن النبيل (١١١) وكشف الأستار (٤ : ١٧٢) وأخبار مكة (٣ : ٧١ – ٧٢) ومجمع الزوائد (١٠ : ٥٣ ، ٣٨١) والجامع الصغير (١ : ٤٣٤) وأسد الغابة (٣ : ٤٠٦) والإصابة (٤ : ٣٨٢).

من المدن والبلدان ؛ أن خفَّف الله عز وجل عنهم ، فلم يوجب عليهم ما أوجبه على الآفاقيين أو غيرهم ؛ من وجوب الفدية على من اعتمر .

قال الله جل شأنه : ﴿ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[1] .

فقد أسقط الله عز وجل عنهم الفدية ، لأنه جل وعز أسقط عنهم وجوبَ العمرة إذا كانوا فيها ، اللهم إلا من أتاها من خارجها ، والله تعالى أعلم .

ـ تكفل المولىٰ تعالى بإرزاقهم وأمنهم :

ومن مكانتهم عند الله تعالى : أن تكفل سبحانه وتعالى بإطعامهم مع أن بلادهم لا يوجد فيها زرع ، وآمنهم من خوف ؛ مع أن القبائلَ المحيطةَ بهم يخطف بعضُهم بعضاً ، ويعتدي بعضُهم على بعض .

قال الله جل شأنه : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾[2] .

بل حتى لو كانوا غيرَ صالحين ، بل حتى لو كانوا غيرَ مؤمنين ، فإن الله سبحانه وتعالى تكفل برزقهم أيضاً ، طالما أنهم فيها ، لأنه تعالى خلقهم ، وتكفل برزق كل ما خلق .

قال الله سبحانه وتعالى ـ في معرض طلب إبراهيم عليه السلام ـ : ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾ فأجابه تعالى بقوله : ﴿ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[3] .

---

(١) سورة البقرة (١٩٦).

(٢) سورة قريش (٢).

(٣) سورة البقرة (١٢٦).

حيث إن إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة السلام قَصَر في دعائه ـ لأهل مكة بالرزق ـ على المؤمنين فقط ، لكن الله تعالى أجابه : أنه يرزق حتى الكفار في هذه الدنيا ـ وهو تمتع قليل لا يكاد يُذكر بنعيم المؤمنين في الجنة ـ ثم يحشرهم إلى عذاب جهنم ، وبئس المصير .

ولعل إبراهيم عليه السلام فعل ذلك ؛ قياساً منه على ما حصل من جواب الله عز وجل له ، عندما عمَّم في أن تكون الإمامةُ في ذرِّيته ، فقصَرها الله تعالى على المؤمنين فقط ، لأن الكفار لا ينالهم هذا العهد .

كما قال تعالى : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾[1].

لذا قَصَر في دعائه بالرزق على المؤمنين ، ولكن الله تعالى طالما أنه خلقهم فقد تكفل برزقهم ، فإذا كان الله جل شأنه قد تكفل برزق الكفار ، وهم كفار ، فكيف بالصالحين المتقين ؟ ولكن الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده .

وقد تكفل الله تعالى لأهل مكة ألا يُضَيَّعوا . وهذا ما قاله جبريل لأم إسماعيل عليهم السلام عند نبع ماء زمزم .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ـ في قصة مَجيء إبراهيم بهاجر وإسماعيل عليهم السلام وبناء البيت ، وفيه ـ فقال لها المَلَكُ : لا تخافوا الضَّيْعةَ ، فإن هٰهنا بيتَ الله يبني هذا الغلامُ وأبوه ، وإن الله لا يُضيعُ أهله ،...

زاد في الرواية الثانية : فجعلت تشرب من الماء ، ويَدرُّ لبنُها على صبيِّها ،... الحديث . رواهما البخاري[2].

---

(١) سورة البقرة (١٢٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب يزفون : النسلان في الشيء .

وقد مر قول أبي ذرٍّ رضي الله عنه ـ كما في صحيح مسلم ـ : ولقد لبثت ـ يا ابن أخي ـ ثلاثين ؛ بين ليلة ويوم ، وما كان لي طعام إلا ماءُ زمزم ، فسمنتُ ؛ حتى تَكسَّرت عُكنُ بطني ، وما وجدتُ على كبدي سخفةَ جوع . ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إنها مباركة ، إنها طعام طعم ». كما مر ذكره من قبل .

ويلاحظ قوله : (ما كان لي طعام إلا ماء زمزم) حيث جعل الماءَ طعاماً ، فكان كافيه .

كيف وماء زمزم شبّاعةٌ للعيال ، هي طعامٌ تنوب عن الأكل .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كنا نسميها شبّاعة ـ يعني : زمزم ـ نعم العونُ على العيال . رواه عبد الرزاق والأزرقي والفاكهي والطبراني برجال ثقات[1].

لذا لا يُعلم حصول مجاعة فيها ، ولله الحمدُ والمنة والفضل ، والله تعالى أعلم .

ـ جعلها مخرج صدق :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى مكةَ المكرمةَ : مَخرجَ صدق ، كما جعل المدينةَ المنورةَ مدخلَ صدق .

فقال سبحانه وتعالى مخاطباً نبيَّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾[2].

وذلك عندما أُمر النبيُّ المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم من قِبل

---

(١) مصنف عبد الرزاق (٥ : ١١٧) وأخبار مكة للفاكهي (٢ : ٣٦) وللأزرقي (٢ : ٥٢) والمعجم الكبير (١٠ : ٣٣٠) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٨٦).

(٢) سورة الإسراء (٨٠).

ربه جل شأنه بالهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، أمره الله تعالى بأن يدعوَ بهذا الدعاء .

عن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم بمكة ، ثم أُمر بالهجرة ، فنزلت عليه : ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴾ . رواه أحمد ، والترمذي والحاكم وصححاه وأقره الذهبي ، في آخرين[1].

ـ يا ساكن مكة مَن تجاور ؟ وفي أي بلد تسكن ؟

لقد نقلك الله تعالى ـ يا ساكن مكة المكرمة ، أو نقل أباك وأنت في صُلبه ، أو نقل جدَّك ـ وإن علا ـ وأنت في صُلبه ـ من بلدك إن كنتَ من أهل المدن ، إلى أفضل البلدان ، ومن قريتك ـ إن كنتَ من أهل القرى ـ إلى أم القرى ، ومن باديتك ـ إن كنتَ من أهل البادية ـ إلى حرم الله عز وجل ،... ونقلك من أناس عاديين ، أو من جِوار فسقةٍ فجرةٍ ، أو عصاةٍ كفرة ،... إلى جوار بيته الكريم ، ومن بيتك الجديد المتداعي إلى بيته العتيق ، ومن حِلِّك إلى حرمه ،... واختصَّك من بين ملايين المسلمين ، فضلاً عن ملايين البشر لتنعم بهذا الجوار ، وتسكن في هذه الدار ، وتقطن في هذا الحرم ، فتتضاعف حسناتُك ، وتزول أسقامُك ، وتنعم في البركات التي حُرِمها غيرُك ، وتسعد بالمآثر العظام ، وتعيش في الأمن

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٢٣) وسنن الترمذي : كتاب تفسير القرآن الكريم : باب ومن سورة بني إسرائيل ، رقم (٣١٣٩) والمستدرك (٢ : ٢٤٣) (٣ : ٣) والسنن الكبرى للبيهقي (٩ : ٩) ودلائل النبوة (٢ : ٥١٦ – ٥١٧) والمعجم الكبير (١٢ : ١٠٩) والمختارة (٩ : ٥٣٥ ، ٥٣٥ – ٥٣٦) وانظر : تفسير الطبري (١٥ : ١٠٠) والقرطبي (١٠ : ٣١٣) وزاد المسير (٥ : ٥٥) وابن كثير (٣ : ٥٨ – ٥٩) والدر المنثور (٤ : ١٩٨) وروح المعاني (١٥ : ١٤٣).

والأمان ، والنعماء الجليلة ، وتشهد الكعبة والمقام ،... وتُقَبِّل الحجَرَ ،... وتنام في الحرم الجليل ، وتقوم في المرابع الكرام ،... وتكتحل عينُك بالمشاهد العظام ، وتشرب من ماء زمزم خيرِ ماءٍ على وجه الأرض ، وتنال الدعوات الصالحات ،...إلخ.

إنك في بلد ؛ لا يدانيه في الفضل والمنزلة والمكانة ،... إلا المدينة المنورة[1]، ثم إنك تنعم بهذا الجوار ، الذي لا يدانيه أو يقاربه بلد إلا ما كان في المدينة ، فصرتَ من أهل الله ، وقُطّانِ بيته ، وسُكّانِ حرمه .

فهل بعد هذه النعمة ـ بل النعم الكثيرة ـ من نعمة؟ وهل بعد هذه المزية ـ بل المزايا الكثيرة ـ من مزية ؟ وهل بعد هذه المنزلة ـ بل المنازل العظيمة الجليلة ـ من منزلة ؟ وهل ،... ؟ وهل ،... ؟

فكيف تقدِّرُ هذه النعماء ؟ وتشكر المولىٰ المتعال على هذه المكرمة العظماء ؟ وتعترف بتقصيرك عن إدراكك ما يجب عليك من القيام بشكره تعالى وشكر نعماه؟ وتحمد المولىٰ تعالى على هذه المنزلة الرفيعة العالية الكريمة ،... وهذه الخاصِّية الجليلة ؟ وهذه المزية السامقة العالية الرفيعة ؟ سؤالٌ أضعه بين يدي كل ساكن وقاطن ؛ في هذه البلدة المباركة الشريفة .

ـ منزلة مكة عند المسلمين :

لقد رفع الله جل شأنه قدرَ هذه البلدة المباركة ، وأعلى منزلتَها ، وأعظم مكانتها في نفوس المسلمين ، قديماً وحديثاً ، حيث توارثوا ذلك مما ورد من تعظيم الله تعالى لها ، وبيانه في كتابه الكريم ، وعلى لسان رسوله المصطفى الأمين صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حيث جعلها حرماً آمناً ، وعظَّم حرمتها ، ورفع شأن أهلها ،

(١) انظر : مكانة الحرمين الشريفين ، وفضائل المدينة المنورة .

فجعلهم أهلَه ، وسكانَ بيته العتيق ، وأن من آذاهم أو أرادهم بسوء أذاقه الله تعالى العذابَ الأليم في الدنيا والآخرة ،...إلخ.

لذا عظمت منزلةُ أهل مكة في نفوس المسلمين ، كيف لا وهي عظيمةٌ في نفوس الناس قبل الإسلام ، خاصة بعد حادثة الفيل ، فهي في نفوس المسلمين أعظم ، لما خُص به أهلُها من الجوار ، ومن غبطة المسلمين لهم ، بما ينالوا من فضلٍ وتكريمٍ ، وزيادةٍ في الحسنات ، وقيامٍ بالأعمال الصالحات ، ومضاعفةِ الأجور عند الله تعالى .

بل إن بعضَ الأعمال المستحبة ، أو النوافل ـ والتي ليس فيها دليلٌ عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ لكن فعَلَها أهلُ مكة اجتهاداً منهم ، قد قلدهم بعضُ الفقهاء فيها .

ـ ألا ترىٰ أن الختمَ في التراويح ، والدعاءَ فيه ، فعله أهلُ مكة ، فتبعهم الإمامُ أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى ، مع أنه لم يرد عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وصحابته الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم ، إنما هو فعلُ أهل مكة[1] في القرن الثاني .

ـ والطواف سبعة أشواط بعد كل ترويحة ـ وهي أربع ركعات ـ في رمضان ، ليس فيه حديثٌ عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا عن أحد من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم ، إنما هو فعلُ أهل مكة لا غير ، عندما أمرهم به الوالي خالد بن عبد الله القسري[2] فزاد أهلُ المدينة (١٦) ستَّ عشرةَ ركعةً ، ليقابلوا فضلَ تلك الأشواط .

---

(١) انظر المغني لابن قدامة (٢ : ٦٠٨) وأخبار مكة للفاكهي (٢ : ١٥٦).

(٢) انظر أخبار مكة للفاكهي (٢ : ١٥٥) وللأزرقي (٢ : ٦٥ – ٦٦) والعقد الثمين (٤ : ٢٧٢ – ٢٧٣) وإتحاف الورى بأخبار أم القرى (٢ : ١٢٠ – ١٢١).

ـ وهذا ما نلاحظه في زماننا اليوم ، فعندما صار الأئمة في الحرمين يطيلون الدعاءَ في صلاة الوتر في شهر رمضان ، انتقلت هذه العدوىٰ إلى بعض الأقطار الإسلامية ، تقليداً لهم ، مع أنه لم يرد نص عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا أَثَرٌ عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم في هذا التطويل ، ولم يقل باستحبابه أحدٌ من الأئمة ـ حتى عند الإمام أحمد ـ رحمهم الله تعالى ، فإنهم يكرهون ما كان في غير المأثور[1].

ـ لما صار بعضُ الناس يباعد بين قدميه كثيراً أثناء قيامه في الصلاة انتقل ذلك الفعل إلى غيرهم ، مع أنه يخالف عدداً من السنن ، ويتنافى مع الأمر برص الصفوف ، والتلاصق بالأكتاف ، إنما هو تقليد لما وُجد في الحرمين . وقد خفَّت لكثرة إنكار أهل العلم على فاعلها .

ـ صار بعضُ المصَلِّين إذا رفعوا رؤوسهم من الركوع قبضوا على أيديهم ، فانتقل ذلك إلى غيرهم ، مع أن هذه الجزئية هي من القياس الجلي التي تحتاج مخالفتُها إلى نصٍّ صريح مقبول فيها ، ولا أعلم من قال باستحبابها أو سُنِّيَتها ، لعدم وجود ذلك النص الصريح ، إنما هي رواية قصيرة عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى بالإباحة ، ورفضها كبارُ أئمة المذهب ، كما هو مُبين في كتب المذهب[2].

ومثل ذلك كثير ، وفي هذا دلالة على مدىٰ مكانة أهل الحرمين في نفوس المسلمين ، ومدىٰ ثقتهم بهم ، واعتمادهم على ما فعلوه أو قالوا به .

أما تكريمُ المسلمين وتقديرهم ،... ـ في أقطارهم ـ لأهل الحرمين ـ عموماً ـ

---

(١) انظر : الإفصاح لابن هبيرة الحنبلي (١ : ١٤٢).

(٢) انظر : الإنصاف للمرداوي (٢ : ٦٣) وحاشية المحرر لابن مفلح (١ : ٦٢) والفروع (١ : ٤٣٣).

لو رأوهم أو حلُّوا في ديارهم : فهذا أمر مستفيض ومعروفٌ لدى القاصي والداني ، فلو رأوا واحداً منهم وأمكنهم ألا يمشي على الأرض بل على الأكف : لفعلوا ، فحاجتُه مقضيةٌ ، ورغبتُه محقَّقةٌ ، وطلباتُه نافذةٌ ،... والسعيدُ من الناس : من يسعد بخدمته وتكريمه واستضافته ، وهذا ما رأيته بنفسي قبل أكثر من أربعين سنة ، في بلاد الشام ، وهو المشاهَدُ في كثير من الأقطار الإسلامية ، وحدثني كثيرٌ من أهل مكة بما يُكرمون به إذا حلُّوا بديار المسلمين ، وعرفهم الناس أنهم من مكة أو من المدينة .

هذه هي نظرة المسلمين إلى أهل هذه البلدة المباركة ،... إلى أهل مكة المكرمة ، فما هي مسؤوليةُ ساكن مكة المكرمة ؟ سواء تجاه مكة نفسها ؟ أو تجاه أهلها وساكنيها ؟ أو تجاه القادمين عليها ؟... هذا ما سأذكر مختصرَه ـ إن شاء الله تعالى ـ في الفصل القادم بمبحثيه ، والله تعالى هو الحافظ والمعين .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن والاه وتبعه إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

والحمد لله رب العالمين .

☆☆☆☆☆

الفصل الثاني

مسؤوليّة ساكن مكّة المكرّمة المباركة

وفيه مبحثان

المقدّمة: حال أهل مكّة قبل الإسلام وفي صدره

المبحث الأول: مسؤوليّة ساكن مكّة نحوها ونحو أهلها

المبحث الثاني: مسؤوليّته تجاه القادمين إليها



الفصل الثاني
مسؤولية ساكن مكة المكرمة المباركة

لقد أخبرنا الله تعالى أن المسجد الحرام الذي بمكة ؛ هو أولُ بيت للعبادة وُضِع للناس ، مباركاً ، وهداية ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ ﴾(1).

كما أخبرنا الله تعالى أن إبراهيم عليه السلام دعا أن تَهوِيَ أفئدةُ بعض الناس ـ وهم المؤمنون ـ إلى هذا الحرم ، لأنه عليه السلام ترك فيه ولدَه الوحيدَ إسماعيل عليه السلام وأمَّه ، فقال الله سبحانه وتعالى على لسانه : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾(2).

وقد استجاب الله عز وجل دعوةَ إبراهيم عليه السلام ، وأمره الله جل شأنه ـ بعد أن بوَّأَ له مكانَ البيت ، وأمره أن يبنيه ـ أن يُؤَذِّنَ في الناس بالحج ، ويدعوهم إلى زيارة هذا البيت ، فقال الله جلت قدرته : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ ﴾(3).

كما أخبرنا الله تعالى أنه قد فرض على جميع المسلمين القادرين أن يحجوا هذا

---

(1) سورة آل عمران (٩٦ – ٩٧).

(2) سورة إبراهيم (٣٧).

(3) سورة الحج (٢٧ – ٢٨).

البيتَ ، فقال الله جل شأنه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾[1] .

وأمرنا الله سبحانه وتعالى بإتمام الحج والعمرة له ، فقال عز وجل : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾[2] .

كما أمر النبيُّ المصطفى الكريمُ صلوات الله عليه وآله وسلَّم جميعَ المسلمين القادرين أن يأتوا هذا البيت فيها ، وأمرهم بالمتابعة بين الحج والعمرة ، وأخبرنا صلى الله عليه وآله وسلَّم أن المتابعةَ بينهما تنفيان الفقرَ والذنوب ، كما ينفي الكير خبَثَ الحديد والذهب والفضة .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوبَ ؛ كما ينفي الكيرُ خبَثَ الحديد والذهب والفضةِ ، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة » . رواه أحمد والنسائي والبغوي والطبراني ، وصححه الترمذي وابنُ خزيمة وابنُ حبان[3] .

والمتابعة بينهما لها أحوال ؛ فقد تكون العمرة قبل الحج ـ لكن في أشهره (وهو التمتع) وقد تكون بعد أداء الحج ، وقد تكون العمرة في غير أشهر الحج ، وهذا ما كان يأمر به عمرُ وعثمانُ رضي الله تعالى عنهما ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة آل عمران (٩٧).

(٢) سورة البقرة (١٩٦).

(٣) مسند أحمد (١ : ٣٨٧) وسنن الترمذي : كتاب الحج : باب ما جاء في ثواب الحج والعمرة ، رقم (٨١٠) وسنن النسائي : كتاب الحج : باب فضل المتابعة بين الحج والعمرة (٥ : ١١٥ - ١١٦) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ١٣٠) وصحيح ابن حبان (٩ : ٦) ومسند أبي يعلى (٨ : ٣٨٩) (٩ : ١٥٣) وشرح السنة (٧ : ٧) والمعجم الكبير (١٠ : ٢٣٠) وحلية الأولياء (٤ : ١١٠).

كما أخبرنا صلى الله عليه وآله وسلَّم أن العمرةَ إلى العمرة كفارةٌ لما بينهما ، وأن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « العمرةُ إلى العمرةِ كفّارةٌ لما بينهما ، والحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنة ». متفق عليه[1] وقد سبق ذكر حديث ابن مسعود رضي الله تعالى عنه .

ولما نادىٰ إبراهيم عليه السلام ـ حسب أمر الله تعالى له ـ أجابه من كتب الله تعالى له زيارةَ هذا البيت : (لبيك اللهم لبيك).

ولهذا ولغيره ؛ فإن أقواماً كثيرةً ستؤم هذا البيتَ ، امتثالاً لأمرِ الله عز وجل وأمر رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم لها بالحج والعمرة ، واستجابةً لدعوة إبراهيم عليه السلام ؛ في هوي القلوب نحوها ،... إضافةً للمنافع الموجودة في مكة ، والتي نصت عليها الآية السابقة : ﴿ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ .

وأنتم يا سكان مكة المكرمة ؛ الذين خصَّكم الله تعالى بهذه المنقبة الجليلة ، وبهذه المنزلة الرفيعة ،... وبهذه المكانة العالية ، وبهذه المرتبة الشريفة ،... حيث قدّر الله عز وجل لكم ، ورضي أن تكونوا أهلَه ، وسكانَ حرمه الشريف ، وجيرانَ بيته العتيق ، وقُطّانَ أول بيت وضعه تعالى للناس ،... فما هي مسؤوليتكم :

ـ تجاه هذا البلد الذي أسكَنَكُموه ،... والبيت الذي أحلَّكُموه ، والحرم الذي أَقطَنكموه ،... والناس الذين هم جيرانكم ، وأهل بيتكم ، وسكان حرمكم ،... الذين خصَّهم الله تعالى بما خصَّكم ؟؟؟

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحج : باب وجوب العمرة وفضلها . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضل الحج والعمرة ، رقم (٤٣٧).

ـ وتجاه وفد الله عز وجل الذين أجابوه ، ومدعوي إبراهيم عليه السلام الذين استجابوا لدعوته ، وممتثلي أمر رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فوافقوا القدرَ الإلٰهي ، فحضروا إليكم لحجٍّ أو عمرةٍ أو زيارةٍ أو غيرها ،... فكيف تستقبلونهم ، وتعاملونهم ، وتحترمونهم ؟؟؟

هذا ما سأتحدَّث عنه في هذا الفصل بمبحثيه إن شاء الله تعالى .

لكن قبل الشروع في بيان هذه الواجبات أحبُّ أن أبين حالَ أهل مكة القرشيين قبل الإسلام ، لتكون المقارنةُ بعد ذلك واضحةً :

حال أهل مكة قبل الإسلام :

لقد اتفقت كلمة علماء السِّيَر والمغازي : أن قُصَيَّ بنَ كِلاب ـ وهو الجدُّ الرابع للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ لما تمكن من استرداد مكةَ من الخزاعيين ، وأعانه أخوه من أمه ـ رزاح بن ربيعة من بني قضاعة ، وإقصائِهِ صوفةَ أيضاً : وصارت بيده الحجابةُ والسقايةُ والرِّفادَةُ والندوةُ واللواءُ ،... : هو أول من حث على إكرام الحجيج وإطعامهم .

ولما تُوفي اختلف أولادُه من بعده ، ثم اصطلحوا على أن يلي عبدُ مَناف (وهو الجد الثالث للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم) السقايةَ والرِّفادَةَ ، ويلي عبدُ الدار الحجابةَ واللواءَ والندوةَ .

ولما تُوفي عبدُ مَناف ولي السقايةَ والرفادةَ ولدُه هاشمٌ (وهو الجد الثاني للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم) وبقيت الحجابةُ واللواءُ والندوةُ بيد أولاد عبد الدار .

ولما تُوفي هاشمٌ خلفه أخوه المطلب ، وبعد وفاته خلفه ابنُ أخيه عبدُ المطلب

ابن هاشم ، وهو جدُّ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم مباشرةً ، أما الحجابةُ واللواءُ والندوةُ ، فبقيت بيد أولاد عبد الدار .

و**السقاية** : هي سقاية الحاج ، فقد كانوا يأتون بالماء من أماكن بعيدة على الدواب ، لأن مكةَ لا يوجد فيها ماء ، بعد أَن دَفَن عَمْرُو ابنُ الحارث بن مضاض الجرهمي زمزمَ ، عندما أخرجتهم خزاعةُ من مكة ، فيأتون بالماء ؛ ويضعونه في أحواض من جلد ونحوها ، ويُحَلُّونه بتمر أو زبيب ؛ ليشربه الحُجّاجُ ، ويشترون التمرَ من المدينة ، والزبيبَ من الطائف ، أو من غيرهما .

ولما شح الماء ، وبَعُد مصدرُه ، واهتم عبد المطلب في تأمينه : أكرم الله تعالى أهلَ مكة ـ ومِن بعدهم المسلمين ـ بأن أراه عز وجل في المنام قصةَ حفر زمزم ، والتي لاقىٰ فيها الشدائدَ والأهوال ، فكان من نتيجتها : نذره بذبح ولده عبد الله ؛ والد النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فحفر بئرَ زمزم ، وآل أمرُها له ، ولكنه لم ينفرد بها ، بل جعلها لكل شارب ، لكن بقيت السقايةُ بيد ولده أبي طالب ، ثم بعد وفاته آلت إلى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بعد ذلك .

وأما **الرفادة** : فهي إطعام الحجيج ، حيث كانوا ينحرون الإبل ، ويصنعون الطعامَ للحُجّاج ، كما كان عبد المطلب ، ومِن قبله آباؤه يحثُّون أهلَ مكة على إطعام الحجيج .

ويُذكر عن هاشم في إطعام الحجيج وغيرهم الشيءُ الكثيرُ ، حتى كان يُطعم الوحشَ والطيرَ ، وهو أول من أمر برحلتي الشتاء والصيف

وكم كان يكلفهم ذلك الطعامُ والشرابُ من جهد ومال ؟؟؟ كلُّ ذلك خدمةً لحجاج بيت الله تعالى ، ومن غير مُقابلٍ من أحد .

ومن الأمور التي وُجدت قبل الإسلام ، ومَدَحها النبيُّ الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وتُعتبر غرة في الجبين : **حلفُ الفضول**[1] وهو لنصرة المظلوم .

وسبب ذلك الحلف ؛ أن رجلاً من زبيد ـ من اليمن ـ قدم مكة بمتاع ، فابتاعه منه العاص بن وائل السهميُّ ، فظلمه الثمن ، ولم يدفعه له ، فشكاه الزبيدي إلى الأحلاف (وهم بنو عبد الدار ومخزوم وجمح وسهم وعدي بن كعب) فلم ينصفه أحد ، فقام الزبيرُ بن عبد المطلب ، عمُّ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وجَمَع بني هاشم وبني زهرة وبني أسد وبني تَيْم ،... في بيت عبد الله بن جُدعان ، وصنع لهم عبدُ الله طعاماً ، وتعاهدوا على نصرة المظلوم ،... ومشوا إلى العاص ابن وائل ، وانتزعوا منه حقَّ الرجل . في قصة طويلة .

ولما قدم رجل من خثعم[2]، ومعه ابنة له جميلة ؛ أخذها نبيهُ بنُ الحجاج ، فحاول الخثعميُّ استردادها ، فلم يقدر ، فأشار عليه أحد الناس أن ينادي حول الكعبة بحلف الفضول ، فنادىٰ : يا آل حلف الفضول ، فإذا هم يعنقون إليه بأسيافهم ، ويقولون : جاءك الغوث ، فما لك ؟ فذهبوا معه ، وردوا له ابنته .

وبقي هذا الحلف إلى زمن متأخر ، وذلك عندما حصل بين السيد الحسين رضي الله عنه مع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ـ والي المدينة ـ منازعةٌ في مالٍ كان بينهما بذي المروة ، فأبطأ الوليد على الحسين ، مستظهراً بولايته ، فقال الحسين رضي الله عنه وقد أخذ سيفه : والله إن لم تعطني حقي ، لأقومن في المسجد ، وأنادي

---

(١) انظر : قصة الحلف وتفاصيله : السيرة النبوية لابن هشام مع شرح الروض الأنف (١ : ١٥٥ – ١٥٧) ودلائل النبوة للبيهقي (٦ : ١٦٧) والسنن الكبرى (٦ : ٣٦٦ – ٣٦٧) وسبل الهدى والرشاد (٢ : ١٥٤ – ١٥٥) والسيرة النبوية لابن كثير (١ : ٢٥٧ وما بعد) وغيرها .

(٢) انظر : الروض الأنف (١ : ١٥٧) والسيرة النبوية لابن كثير (١ : ٢٦٠)

بحلف الفضول ، فقام عبد الله بن الزبير ، والمسور بن مخرمة الزهري ، وعبد الرحمٰن ابن عثمان بن عبيد الله التيمي ، في عدد من الصحابة رضي الله عنهم ، بجوار الحسين رضي الله تعالى عنه ، وسلُّوا سيوفَهم ، وقالوا : والله لو نادىٰ لنقومن معه ، فاضطر الوليد إلى إعطائه حقه[1].

ومما عُرف **عن أهل مكة أيضاً** : **النخوةُ والعفة والشهامة** ، حتى مع العدو .

لما أراد أبو سلمة رضي الله عنه الهجرةَ بأهله إلى المدينة ، وأخذ بنو المغيرة أمَّ سلمة رضي الله عنها ، ثم أخذ بنو عبد الأسد ولدَها عُمر ، وصارت تخرج كل يوم إلى الأبطح تبكي ، حتى وافقوا على هجرتها ، فخرجت بعد عام ، ومعها ولدُها مهاجرةً إلى المدينة ليس معها أحد ، فلقيها عثمان بن طلحة العبدري ـ وهو مشرك ، منابذ للإسلام يومئذ ، ثم أسلم بعد الحُدَيْبِيَةِ ، وهاجر مع خالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى المدينة ـ فلما علم أنها مهاجرة ، وأنه ليس معها أحد ، لم تطب نفسُه وشهامتُه وغيرتُه أن تسافر بمفردها ، مع أنه ليس من رهطها ولا من رهط زوجها ، فصحبها من مكة حتى أدخلها قباء ، وأوصلها إلى البيت الذي ينزل فيه زوجها رضي الله عنه . وتحدثت عن كرم أخلاقه وعفته الشيءَ الكثير[2].

ومما عُرف عن أهل مكة أيضاً : **الوفاء والأمانة ، وكتم السر ، وعدم الخيانة ،** ولو كان مع العدو .

ـ ولا أدل على ذلك من عدم اقتحام شباب قريش على النبي المصطفى الكريم

---

(١) انظر القصة بتفاصيلها : السيرة النبوية لابن هشام (١ : ١٥٥) والسيرة النبوية لابن كثير (١ : ٢٦١ – ٢٦٢).

(٢) انظر القصة بتفاصيلها : السيرة النبوية لابن هشام بشرح الروض (٢ : ٢١١ – ٢١٢) وأسد الغابة (٦ : ٣٤١ – ٣٤٢) والسيرة النبوية لابن كثير (٢ : ٢١٥ – ٢١٧) والإصابة (٨ : ٢٢٢ – ٢٢٣).

صلى الله عليه وآله وسلَّم بيتَه ليلة الهجرة ؛ عندما كانوا محاصرين له صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وإن كان هذا بتقدير الله العزيز الحكيم ، وحفظه جل شأنه لرسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

ـ وكذا من استئجار أبي بكر الصديق رضي الله عنه عبدَ الله بنَ أريقط ، ليدلهم على الطريق ، وهو مشرك ، مع أن قريشاً قد وضعت جائزةً ـ وهي مائة ناقة ـ لمن يأتي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أو أبي بكر رضي الله عنه ، أو يدل عليهما ، ومع هذا لم يحصل شيء من ذلك .

وهناك صفات كثيرة يتصف بها أهل مكة ، سواء في الجاهلية ؛ أو في صدر الإسلام ، يصعب التحدث عنها لكثرتها ، من المواساة فيما بينهم وخاصة الفقير ، أو إعطائهم الثياب لمن لم يأت بها من الحجاج ، أو لِمن لم تكن عنده للطواف ، أو إيثارهم على أنفسهم ، حتى في آخر لحظة من الحياة ، كما في الجرحى يوم اليرموك ، فماتوا جميعاً رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم وقد فعل[1].

يضاف إلى ذلك : أنّه لم يذكر وجودُ منافق في أهل مكة في بدء الإسلام ، والله تعالى أعلم .

لذا أقول : أَلا يكون الحاضرون المسلمون خيراً من أهل الجاهلية ؟ ويتصفون بصفات الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، فيما اتَّصفوا به من صفات الجمال والكمال ، في تعاملهم ، ومعاملاتهم ، وأخلاقهم ، وحسن أدبهم ، وكرم أخلاقهم ، وإيثارهم ، وجميل فعالهم ، وَ... وَ... مع أنفسهم ، ومع أهليهم ومجاوريهم ، ومع القادمين

---

(١) انظر قصة الجرحى من الصحابة (عكرمة بن أبي جهل ومن معه رضي الله عنهم) وإيثارهم لبعضهم بالماء حتى ماتوا جميعاً : الاستيعاب (٤ : ١٩١) والعقد الثمين (٦ : ١٢٢) والبداية والنهاية (٧ : ١٢).

عليهم ؟؟؟ أرجو الله تعالى أن يحقق الآمال . إنه نعم المولىٰ ونعم النصير .

لذا جعلت هذا الفصلَ في مبحثين :

المبحث الأول : مسؤولية ساكن مكة المكرمة نحوها ونحو أهلها .

المبحث الثاني : مسؤولية ساكن مكة المكرمة نحو القادمين إليها .

أسأل الله تعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجعله ذخيرةً نافعةً يومَ الدين ، وينفع به من قرأه أو أصغىٰ إليه ، إنه نعم المولىٰ ونعم النصير .

وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

والحمد لله رب العالمين .

☆☆☆☆☆

المبحث الأول
مسؤولية ساكن مكة نحوها ونحو أهلها

ـ الغرم بالغنم .

كلما عظمت منزلةُ الإنسان زادت مسؤوليتُه ،... وكلما ارتفعت مكانتُه كثرت واجباتُه ،... وكلما علا شأنُه دُقِّق عليه في أخطائه ،... وكلما عظم قدرُه ضخمت سيئاتُه ، وكلما ارتفع كعبُه شُدِّد عليه في حسابه ،...

فمثلاً : لما كان أمهاتُ المؤمنين رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن ؛ أقربَ الناس من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وألصقَ الخلق به صلى الله عليه وآله وسلَّم ،... ونلن من الشرف والمكانة والمنزلة والرفعة ،... ما لم تنله امرأة قط ؛ حيث إنهن يعشن معه صلى الله عليه وآله وسلَّم في بيته ، ويعاشرنه ، ويرينه ،... فهن رضي الله عنهن لسن كغيرهن ، فإذا كان الله عز وجل قد أعطاهن الثوابَ المضاعف على فعل الخير ، فإنه جل شأنه يضاعِف لهن العذاب ؛ لو حصل منهن ما يقتضي العقوبة ـ لا سمح الله تعالى ـ لأنهن رضي الله تعالى عنهن لسن كأحد من النساء .

وقد قال سبحانه وتعالى موضِّحاً ذلك : ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ ﴾[1] .

---

(١) سورة الأحزاب (٣٠ – ٣٢).

فالمفروض فيهن رضي الله عنهن : أن يكن قانتات ،... عابدات ، صالحات ،... في طول حياتهن ، ولا يأتين بأي معصية مهما كانت ، لأنهن لسن كأحد من النساء ، لشدة قربهن ، وعلو منزلتهن ، ورفعة مكانتهن ،... رضي الله تعالى عنهن وأرضاهن .

وهذا هو المشاهد في مُجالِسي الزعماء من الناس ، فإنهم يؤاخَذون على الخطأ البسيط ، بخلاف غيرهم ، وقد وضع موظف خاص لإرشاد الجديد كيف تكون مجالسة هؤلاء ، ومحادثتهم ومخاطبتهم ،... ويؤاخذ هؤلاء الملازمون أكثرَ من غيرهم ، مع أنهم يجالسون بشراً مثلهم .

بل إن هؤلاء العظماء الذين ارتفعت مكانتهم ، ومنزلتهم ،... إذا أخطؤوا ، فإن خطأهم قد يشمل معرّتُه غيرَهم ممن بعدهم ، خاصةً إذا كانوا بحضرة من هم محسوبون عليه ، ومن نالوا المنزلةَ والمكانةَ بسببه ، وفي المكان المعظَّم .

وهذا ما حصل مع الصحابة الكرام رضي الله عنهم ؛ حيث أخفى الله تعالى معرفةَ ليلة القدر بسبب ملاحاة صحابيين كريمين رضي الله تعالى عنهما في المسجد النبوي الشريف ، فكان عظم الخطأ ؛ للمكان ، والزمان ، وعند من نالوا المنزلة بسببه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « خرجتُ لأخبركم بليلة القدر ؛ فتلاحىٰ فلانٌ وفلانٌ ، فرُفعت ، وعسى أن يكون خيراً لكم ،... ». الحديث بطوله ، رواه البخاري[1].

وروىٰ مسلم[2] نحوَه ، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر ، وكتاب فضل ليلة القدر : باب رفع ليلة القدر لتلاحي الناس ، وكتاب الأدب : باب ما ينهىٰ من السباب واللعن .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الصيام : باب فضيلة ليلة القدر والحث على طلبها ، رقم (٢١٧).

فأي خسارة أفدح من رفع معرفة ليلة القدر ؛ بسبب الملاحاة بين هذين الصحابيين الجليلين رضي الله عنهما ، ورفعِ أصواتهما ؟ وأرجو أن يكون في ذلك خير .

ولهذا أَمَر الله عز وجل الحاجَّ إذا أحرم ودخل مكة : ألَّا يرفث ، ولا يفسق ، ولا يجادل ،... تكريماً وتعظيماً لما هو فيه ، لتلاقي المكان والزمان ، والأشخاص ، والله تعالى أعلم .

قال الله عز وجل : ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ﴾[1] .

لذا كانت المسؤولية كبيرةً على ساكني مكة ، والله تعالى أعلم .

أنواع المسؤولية :

والمسؤولية نوعان : مسؤولية شرعية ، ومسؤولية رسمية أو دنيوية .

أما **المسؤولية الدنيوية** : فلست بصدد الحديث عنها ، فهي تقابل ما يأخذه الإنسان من أجر (راتب) لأن من أخذ الأجرَ حاسبه الله عز وجل على العمل ، على وفق ذلك الأجر ، وهو مسؤول أمام من عيَّنه في ذلك العمل ، ويَجب أن يؤدي عملَه بطيب قلب ، وصفاء نفس ، وإخلاص نية ،... مقابل الأجر الذي أخذه .

وهذه المسؤولية : قد يُؤجر عليها المرءُ ؛ إذا أخلص لله جل وعز ، وقصد بعمله مرضاةَ الله عز وجل ، وليس في عمله معصيةٌ أو مخالفةٌ ، وقَصَد إعفافَ نفسه ، وكفَّها عن المسألة ، أو إعانة والديه أو أحدهما ، أو إعانة أطفاله وزوجه ،...إلخ.

خاصة ؛ إذا علمنا أن حياة الإنسان يجب أن تكون كلها عبادة ، لأن الله جل وعز خلق الإنسان كذلك ، كما قال جل شأنه : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا

(١) سورة البقرة (١٩٧).

لِيَعۡبُدُونِ ﴾[1].

ومفهومُ العبادة : شاملٌ لكل جزئيات الحياة ، وليس هي الصلاة والصيام والزكاة والحج والذكر وقراءة القرآن الكريم ،... كما يتصوره كثيرٌ من الناس .

وأما **المسؤولية الشرعية** : فهي المقصودة في حديثنا هنا ، ولهذه المسؤولية مظاهر متعددة ، وأشكال مختلفة ، وهي كثيرةٌ جداً ، لكني سأذكر بعضَها على حسب ما يسعنا الوقتُ .

وهي قسمان : مسؤوليةٌ تجاه مكة المكرمة وسُكّانِها ،... ومسؤوليةٌ تجاه القادمين إليها ؛ من حجّاج وعمّار وزوّار ،... وأسأله تعالى الحفظ والإعانة والتيسير .

أما **المسؤولية تجاه مكة وسكانها** ؛ فلها مظاهر كثيرةٌ ، أذكر بعضاً منها ، للتدليل على الباقي ، والله تعالى هو المعين والميسر والحافظ .

ـ حمد الله تعالى وشكره على ما أنعم وأكرم على ساكن مكة ، حيث إن الله تعالى خصه من بين ملايين المسلمين بهذا الجوار ، والتنعم بهذه الميزات ، والإكرام بهذه الفضائل والمبرات .

وهذا الشكر : يستدعي القيامَ بطاعة الله جل وعز ، والقيام بحق العبودية له جل شأنه ، والقيام بالأوامر ، وأداء الطاعات والعبادات ،... والابتعاد عن كل ما يسخط الله تعالى ، وتقديم المحامد ، والإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى وشكره وحمده ،... لأن في ذلك تحقيقاً لقول إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[2].

---

(١) سورة الذاريات (٥٦).

(٢) سورة إبراهيم (٣٧).

والشكرُ عمل ، والحمدُ قول ، والجمع بينهما مطلوبٌ شرعاً ، وقد أُمِرنا بهما جميعاً ، فلا أدل أن يُشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة حتى تدوم .

ـ القيام بمحبة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وطاعته واتباعه ، والتخلق بأخلاقه ، والتحلي بصفاته ، والاقتداء بأحواله ، والاهتداء بهديه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وكثرة الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وذلك لأن بإيمان ساكن مكة به صلوات الله عليه وآله وسلَّم وطاعتِه واتباعِه ومحبته ،... صار مسلماً ، وحل له سكنىٰ هذه البلدة المباركة ، فَنَعِم بهذه المكرمات ، وحظي بهذه الميزات ، وسعد بهذه الخصائص والفضائل ، لذا يلزم من ساكن مكة أن يُكثر من طاعته واتباعه لرسوله النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ومحبته والصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وآله وسلَّم .

لذا عليه بقراءة سيرته وشمائله وأخلاقه ومعرفة أحواله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، حتى يتحقق الساكنُ في هذه البلدة المباركة بتلك الصفات والأخلاق ،... فيكون صورةً مصغَّرَةً عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم في الاتباع والطاعة والتحقق في الأخلاق والأحوال ، خاصة في هذا الزمان ، الذي جهل فيه كثيرٌ من الناس كثيراً من سيرته وأحواله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، مع الأسف الشديد ، والله تعالى أعلم .

وإذا كان هذا مطلوباً من كل مسلم ، فهو من ساكن الحرمين أشد وآكد ، خاصة والدواعي على تذكره صلى الله عليه وآله وسلَّم قائمة في كل مكان فيهما .

ـ الشعور دائماً بالعجز عن القيام بواجب الشكر لله تعالى ، والقيام بالواجب المطلوب ، لأن المنةَ هي دائماً لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولأن أداء الواجب على الوجه المطلوب متعذر ، والمنة قائمة على العبد دائماً .

فعن معاوية رضي الله عنه ـ في قصة خروجه صلى الله عليه وآله وسلَّم على حلقة من أصحابه رضي الله عنهم ـ قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما أجلسكم ؟ ». قالوا : جلسنا نذكر الله ، ونحمده على ما هدانا لدينه ، ومَنَّ علينا بك . الحديث . رواه أحمد والنسائي والطبراني ، وهذا لفظهم[1] ورواه مسلم بنحوه .

فإذا كانت المِنَّةُ لله سبحانه وتعالى ولرسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فإن المرء عاجز عن أن يؤدي جزءاً من الحق الواجب عليه ، فهو في التقصير دائماً ، وإن كان الله سبحانه وتعالى قد رضي منا القليل ، والله تعالى أعلم .

ـ أن يكون حريصاً على محبة مكة ، موافقةً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم في محبته لها ، فمن كان مُتّبِعاً له صلى الله عليه وآله وسلَّم لزمه محبَّتُها وتقديمها ، لأن من شأن الـمُحِبِّ الصادق أن يحب ما يُحِبُّه محبوبه ، هذا في المباحات ، فكيف إذا كان الأمرُ مطلوباً .

ـ وقد بيَّن رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم مدىٰ محبته لمكة المكرمة يوم خروجه منها :

فقد سبق ذكرُ حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لمكة : « ما أطيبك من بلد ، وأحبك إلي ، ولولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك ». رواه الترمذي وابن حبان والحاكم وصححوه وأقره الذهبي ، والطبراني وأبو يعلى برجال ثقات .

---

(١) مسند أحمد (٤ : ٩٢) وسنن النسائي : كتاب أدب القاضي : باب كيف يستحلف الحاكم (٨ : ٢٤٩) والمعجم الكبير (١٩ : ٣١١) وصحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن ، وعلى الذكر ، رقم (٤٠).

ورواه أحمد والنسائي وابن ماجه ، والدارمي ، وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم وابن خزيمة ، في آخرين ، من حديث عبد الله بن عدي بن حمراء رضي الله عنه بنحوه ، وقد سبق ذكره أيضاً[1].

ـ **أن يشعر أن وجوده في هذه البلدة المباركة هو امتحان من الله تعالى** ، وابتلاء منه عز وجل ، ليشكر هذه النعمةَ فيُكرم ويَسعد ، ويزيده الله جل شأنه ، أم يكفر هذه النعمة ـ التي خصّه الله تعالى بها بدون اختياره ـ ويجحدها ؛ فيخسر في الدنيا وفي الآخرة .

لأن الإنسان في ابتلاء مستمر ، في الخير والشر ، وعلى العاقل من البشر أن يكون شاكراً لنعم ربه تعالى .

كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾[2].

والذي يشكر ربه جل شأنه : فإنما يشكر لنفسه ، ومن يكفر : فالله سبحانه وتعالى غني عنه .

كما قال الله تعالى عن سليمان عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾[3].

ولكل من الشكر والكفر ـ لنعمة وجوده في هذه البلدة المباركة ـ مظاهرُ متعددةٌ .

---

(١) وقد سبق ذكر الحديثين وتخريجهما في المبحث الثاني من الفصل الأول (٧٧ – ٧٨) فانظرهما .

(٢) سورة الأنبياء (٣٥).

(٣) سورة النمل (٤٠).

لذا عليه أن يكون قائماً بِحق هذه البلدة المباركة ، وحقِّ أهلها ، معترفاً بفضل الله تعالى عليه ، ولا يكون كافراً لهذه النعمة ، جاحداً لفضله تعالى عليه ، مقصِّراً بحقها وحق أهلها ، أو مفرِّطاً في ذلك .

ـ **الدعاء لمن كان السببَ في وجوده في هذه البلدة المباركة** من الآباء والأجداد والأمهات وغيرهم ،... لينال هذه المنزلةَ الرفيعة ،... ويحظى بهذه المكانة السامية ، والثواب الكبير المضاعف ، ويسعد بهذه المكرمات ، والمزايا التي لا توجد في غيرها ،... وهذا من أولىٰ الواجبات على الساكن فيها ، كيف وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بالدعاء لمن أسدىٰ إلينا معروفاً .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئونه ، فادعوا له ، حتى تروا أن قد كافأتموه ». رواه أحمد والطيالسي وعبد بن حُمَيد والبخاري ـ في الأدب المفرد ـ وأبو داود والنسائي والبيهقي ، وصححه ابن حبان والحاكم والنووي[1].

ـ **الحرص على تمثل حال الصحابة رضي الله عنهم (المهاجرين) في الإيمان والصبر**

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٦٨ ، ٩٥ – ٩٦ ، ٩٩ ، ١٢٧) ومسند الطيالسي (٢٥٧ رقم ١٨٩٥) والأدب المفرد (٨٧ رقم ٢١٦) وسنن أبي داود : كتاب الزكاة : باب عطية من سأل بالله ، وكتاب الأدب : باب في الرجل يستعيذ من الرجل ، رقم (١٦٧٢ ، ٥١٠٩) وسنن النسائي : كتاب الزكاة : باب من سأل بالله عز وجل (٥ : ٨٢) وفي السنن الكبرى (٢ : ٤٣ رقم ٢٣٤٨) ومسند عبد بن حُميد (٢٥٦ – ٢٥٧ رقم ٨٠٦) والمستدرك (١ : ٤١٢) (٢ : ٦٣ – ٦٤) وصحيح ابن حبان (٨ : ١٩٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٤ : ١٩٩) والآداب له (١٦١ – ١٦٢ رقم ٢٥٦) ومسند الشهاب (١ : ٢٦٠ – ٢٦١) وحلية الأولياء (٩ : ٥٦) وتاريخ جرجان (١٨٠ رقم ٢٣٥) والأذكار (٥١٧ رقم ٩٧١).

والتحمل ، والإخلاص والطاعة ، والأخلاق والعبادة والأحوال ، والدفاع ،... حتى يعطي المرءُ صورةً صادقة عمن حلَّ في ديارهم وبيوتهم ، ويزداد محبة لهم ، فيبقى الصلاح والإصلاح موجوداً في هذه البلدة المباركة .

إضافة إلى حرصه الشديد على حبهم رضي الله تعالى عنهم ليكون معهم في الآخرة ، ويعمل على التحقق بصفاتهم وأخلاقهم وأحوالهم ، كما يسعىٰ جاهداً ألا يخالفهم في أحوالهم وأخلاقهم وصفاتهم ،... لأن المرء مع من أحب ، ويحشر معه .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أنت مع من أحببت ». كما في حديث أنس رضي الله تعالى عنه ، وقال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « المرء مع من أحب ». كما في حديثي عبد الله ابن مسعود وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما ، المتفق عليها[1].

ـ الحرص على تعظيم حرمة الحرم ، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، سواء في المعتقد أو الفعل أو القول ، لأن تعظيمه نابع من القلب ، وهو تعظيمٌ لمحرِّم هذا البلد .

ولهذا التعظيم مظاهر متعدِّدَةٌ متنوِّعةٌ ،... ومن تلك المظاهر : عدم الصيد ، والتعرُّضِ له ، وعدمُ قطع الشجرِ ، والكلأ ، والتقاطِ اللقطة ، وعدمُ الاعتداء على الناس وأموالهم وأعراضهم ، وعدم المشاجرة فيه ، كما لا يجوز إخراج ترابها

---

(١) صحيح البخاري : فضائل الصحابة : باب مناقب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، وكتاب الأدب : باب علامة الحب في الله . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب المرء مع من أحب ، رقم (١٦١ – ١٦٥ ، ٢٦٤١).

وحجارتها منها ،... وذلك كله تطبيقاً لما بيّنه الله تعالى في كتابه : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾[1] وقد تكرر ذكر لفظ (المسجد الحرام) في القرآن الكريم (١٥) مرة ، وَ (البيت الحرام) (٢) مرتين ، كما مر بيانه من قبل .

فإذا حصل التهاون في حُرمة الحرم ؛ فإنه يؤدّي إلى الضعف في الطاعة ، وإلى عدم الامتثال ، والعياذ بالله تعالى .

ولا يكون حال الساكن أدنى من حال العرب في الجاهلية ؛ حيث يمشي القاتلُ فيه مع وليِّ المقتول ، ويقف السبُعُ عن الظبي ونحوه من الصيد إذا دخل الحرم .

ـ **الحرص على بقاءِ لاعجِ الشوق متقداً وحرقةِ القلب** وجذوتِه مشتعلةً ، وأن يبقى قلبُه دائمَ الهُوي لمكة ، وليحقق مطلب إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾[2] ويدأب دائماً ألّا تَخفَّ حُرمةُ الحرم في قلبه ، ولا تكون سكناه فيها لمجرد الدنيا ، أو المصلحة ، وليحاسب نفسه ، وليتفقدها دائماً ،... فإن شعر بضعف الشوق ، وخفة الحرمة : شَحَنَه في نفسه ، وعمل على إيقاده ، لأن به تقع حُرمةُ الحرم ، واستمرارُ القيام بأداء الأعمال ، والدأب على العبادة ، خاصةً ؛ وهذه البلدةُ المباركةُ مكانُ عبادة ، وتفرغٍ لله تعالى ، وإقبالٍ عليه ، قبل أن تكون موضعَ تجارة ودنيا ، كما قال الله جل وعز على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[3].

---

(١) سورة العنكبوت (٦٧).

(٢) سورة إبراهيم (٣٧).

(٣) سورة إبراهيم (٣٧).

ولهذا كان الصحابةُ الكرامُ رضي الله عنهم وأرضاهم ، والسلفُ الصالح رحمهم الله تعالى يحاسبون أنفسهم ، ويتفقدون إيمانهم ، ولهذا قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا ،...)[1]، والله تعالى أعلم .

ـ الحرص على أن يكون على قدرِ المسؤولية التي نيطت به ، وأكرمه الله تعالى بها ، وخصَّه دون كثير من خلقه ، فصار من أهل الله تعالى ، واختير ليكون من سكان هذه البلدة المباركة ومجاوري بيته العتيق ، فينعم بالمنافع العظيمة ،... وكل ذلك يقتضي منه الشعورَ بهذه النعمة ، والقيامَ بواجبها تجاه المولىٰ عز وجل الذي خصه بها ، ويشكره عليها .

خاصة ؛ إذا تذكرنا كم من المسلمين في العالم من يتمنى أن يحظى بساعة ، وتكتحل عيناه بما يراه ، ويعيشه ساكنُ هذه البلدة المباركة ، ويسعد برؤية الكعبة المشرفة ، والمشاعر العظام ،...إلخ.

ـ إن المهمةَ الأساسيةَ من إسكان إبراهيم لولده إسماعيل عليهما السلام في مكة ؛ هي العبادة والطاعة ، كما قال الله تعالى على لسانه عليه السلام : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[2].

لذا على أحفاده ومن سكن ديارَه أن يكون دائمَ الطاعة ، حريصاً على الآخرة ، متجنباً كل معصية أو مخالفة ، بعيداً عن كلِّ ما يسخط المولىٰ جل شأنه ؛ سواء كان

---

(١) الزهد لابن المبارك (١٠٣) والزهد لأحمد بن حنبل (١٢٠) ومحاسبة النفس لابن أبي الدنيا ، رقم (٢) وحلية الأولياء (١ : ٥٢) وكنز العمال (١٦ : ١٩٥).

(٢) سورة إبراهيم (٣٧).

ذلك في المعتقد أو العبادة ، أو غيرها ، ليحقق مطلب إبراهيم عليه السلام .

كما قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾(١).

وقال تعالى على لسانه عليه السلام أيضاً : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾(٢).

وليحقق أمنيةَ إبراهيم عليه السلام ، فيكون في معيته يوم القيامة ، كما قال الله سبحانه وتعالى على لسانه عليه السلام : ﴿ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي ﴾(٣).

وهذه هي صفة ساكني هذه البلدة ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴾(٤).

ـ **الحرص على الإكثار من الطاعات ، والعبادات** ، والتعرض للرحمات ، وذلك لأن الأعمالَ الصالحةَ مضاعفةٌ في مكة ، فمن صلى أربعةَ أيام فيها كان كمن صلّى (١١٢٧) سنة ، فيما سواها من المدن ، وهكذا سائر العبادات ، ثم إن كل يوم تنزل (١٢٠) رحمة على الكعبة المشرَّفة ينالها أهلُ الحرم ، لذا فليتعرض الساكن لذلك كله ، ولا يضيِّع ذلك ، ولا يفرط فيه ، ولا يجعله يفوت عليه .

كما عليه أن يكون جاهداً على عدم ارتكاب الخطايا والذنوب ـ صغيرها وكبيرها ـ لأن ذلك يورث مقتَ الله تعالى ، لشرف الموضع والمكان ، إذ رب معصية تورث طرد العاصي من الحرم ، بل قد تكون سبباً في غضب الله تعالى ،

---

(١) سورة إبراهيم (٣٥).

(٢) سورة البقرة (١٢٨).

(٣) سورة إبراهيم (٣٦).

(٤) سورة قريش (٣).

لأن الله تعالى يغار على حرماته ، ولا أدلَّ على ذلك من كتابة الإرادة ممن يريدها بظلم ، مع أنها معفوٌّ عنها في غيرها من المدن .

وإذا كان الله تعالى قد حرَّم (الرفث والفسوق والجدال في الحج) حُرمةً للعبادة والإحرام ، فلا أدل على تَحريم ارتكاب الخطايا والآثام حرمةً للحَرَم ، لأنه يحرم فيه كلُّ باطل ، والله تعالى أعلم .

ـ أن يكون حريصاً على أن يبقى صافي الإيمان ، سليم المعتقد ، تامَّ الطاعة والاتباع ، خالياً من الشوائب ، بعيداً عن المكدرات ، وعن كل ما يخدش إيمانه أو معتقده أو عبادته ، فلا تقع منه بدعة ، أو مخالفة في العقيدة أو السلوك أو العبادة ، أو المعاملة أو الأخلاق ،... لأن هذه هي دعوة إبراهيم عليه السلام له ولذريته ، وهو ما تَخَوَّف من وقوعه فيهم .

فقد قال الله تعالى على لسانه عليه السلام : ﴿ وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[1] .

كيف ما يمنع ذلك كله وقد حرَّم الله تعالى كلَّ ما يخدش الحج .

فقال الله عز وجل : ﴿ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ ﴾[2] حرمةً للمكان والزمان والأشخاص والعبادة ، وحتى يبقى الشيطان في يأسه من عبادة الناس له في هذه البلدة الطيبة المباركة ، والله تعالى أعلم .

ـ الحرص على عدم الوقوع في المخالفات في المعاملات ، سواء كانت ماليةً ، أو غيرَها ، لأن فعلَ تلك المخالفات خطيرٌ جداً .

---

(١) سورة إبراهيم (٣٥ – ٣٦).

(٢) سورة البقرة (١٩٧).

ـ وقد مر أن من صفات أهل مكة أنهم لا يأكلون الربا ، كما مر أن الاحتكار في الحرم إلحاد فيه ، والعياذ بالله تعالى . لذا ينسحب ذلك على جميع المعاملات ؛ من كيلٍ ووزنٍ ، وغشٍّ وغبنٍ في ربحٍ ، وغلاءٍ في سعرٍ ، ورشوةٍ في معاملة ، وخديعة في تصرف ، وخيانةٍ في عقدٍ ، وتنقيصٍ في ميزانٍ ، وربا في مال ، واحتكار في رزقٍ أو طعامٍ ،...إلخ.

فكل ما هو حرامٌ في غيرها فهو فيها أشدُّ ، حرمةً للمكان وشرفه ، فيدخل في ذلك كلٌّ من : التاجر ، والصانع ، والعامل ، والموظف ، والأجير ، والكبير والصغير ، لأنه من واجب النصيحة للمسلمين ، كما قال عز وجل على لسان بنت صاحب مدين في طلبها استئجار موسى عليه السلام وهي لا تعرفه : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾[1].

إضافة لما ورد من الثناء على : التاجر الأمين ، والخازن الأمين ،... والمتقن في عمله ،...إلخ، والله تعالى أعلم .

ـ الحرص على ألّا يكون سبباً في تجرئة الناس على إهانة حُرمة الحرَم ، أو تخفيفِ هيبتِه في نفوسهم ، وذلك بعدم استحلاله ، لأن الحرمَ لن تُنتهك حُرمتُه إلا من قِبل أهله ، فإذا انتهكوه هان في أعين الناس .

وذلك لأن الساكن إذا ارتكب فاحشةً ، أو محظوراً ، وهانت عليه نفسه ، ورآه غيره ؛ فإن ذلك يجرئه على ما هو أكبر ، لذا إذا هانت حُرمةُ الحرم على أهله هان على الناس ، وتطاولت أعناقهم ، لذا حذَّر النبيُّ المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم من انتهاك حرمة الحرم ، وأن ذلك لا يكون إلا من قِبل أهله .

(١) سورة القصص (٢٦).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...ولن يستحل البيتَ إلا أهلُه ، فإذا استحلوه فلا يُسأل عن هلكة العرب ، ثم تأتي الحبشة فيُخرِّبونه خراباً لا يُعمر بعده أبداً ،... ». الحديث ، رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وابن أبي الجعد ، وصححه ابن حبان والحاكم ، في آخرين[1].

لذا فإني أُعيذ ساكنَ مكة أن يكونَ أولَ من يستحل الحرم .

ـ **الحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** ، والأخذ على يد السفيه ، والحرص على أن يكون المجتمع مثاليّاً ؛ في دينه ، وخُلقه ، ومعاملته ، وأخلاقه ،... لأن هذه هي صفةُ الجد الأكبر إسماعيل عليه السلام ، حيث وصفه الله جلت قدرته بقوله : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾[2].

فقد وصفه عز وجل بصدق الوعد ، وأنه يأمر بالصلاة وبالزكاة ، إضافة إلى أنه نبي ، ورسول ، وأنه مرضي عند الله تعالى .

ـ **الحرص على أن يكون مثالاً للمسلم الحقيقي** ؛ في دينه وخلقه وعبادته وصلاحه وأدبه ومعاملته وأحواله وتصرفاته ، وأن يكون قدوةً لغيره ، بأن يكون المؤمنَ التقيَّ ، والمسلمَ النقيَّ ، الصالحَ القانتَ ، الملتزمَ بالعبادة ، والمعاملة الصادقة الصالحة ؛ ظاهراً وباطناً ، وأن يكون حاضرَ الإيمان ، لأن مستحضره لا يقع في معصية أو

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٢٩١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥١) ومسند الطيالسي ، رقم (٢٣٧٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥ : ٥٢ – ٥٣) ومسند علي بن الجعد (٢ : ١٠٠٥) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٢٣٩) والمستدرك (٤ : ٤٥٢ – ٤٥٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٩٨) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ٦) (١٠ : ٢٥٠) وانظر تعليقي على هذا الحديث في (مكانة الحرمين الشريفين).

(٢) سورة مريم (٥٤ – ٥٥).

مخالفة ، إلا إذا غفل عن إيمانه ، كما قال الله جل شأنه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ ﴾[1].

وأن يكون عفيفَ النفس ، غيوراً على المحرمات ، أميناً تقياً نقياً ، صالحاً قانتاً ، طاهر الذيل ، راعياً للذمام ، حافظاً للجوار ، كريماً شهماً ، حصيناً ، غاضّاً بصره وطرفه ، سليم الصدر من الخيانة والغدر ، رحيماً بمن نزل به ، عطوفاً عليه ، شفوقاً به ، صبوراً قنوعاً ، راضياً بما قسمه الله تعالى له ، بعيداً عن الطمع والجشع ،...إلخ.

لأن هذه هي صفات (**أهل الله**) فمن حرص على أن يكون من أهل هذا الوصف ؛ يلزمه أن يحقق صفاته .

كيف وهو يجاور هذا البيت ، ويشاهد ما يذكِّرُه بصاحب الشريعة صلى الله عليه وآله وسلَّم من بيته ومربع صباه ، وبناء البيت ، والأزقة والحارات ، والآبار ، والشِّعاب ،...إلخ.

ـ الحرص على الأمن الذي خص الله تعالى به هذه البلدة الطيبة المباركة ، وجعله مِنَّةً امتن بها على أهلها ، فلا يكون سبباً في إخلاله ، ولا يعمل على تقويضه ، وليتذكر دائماً عقوبة الله تعالى لمن أخل بهذا الأمن ، سواء من سكانها الذين عبثوا به ، أو من خارجها الذين أرادوا الإضرار بها وبأهلها ، وما حلَّ بإساف ونائلة ، وليتذكر دائما ما حلَّ بأبرهة وجيشه ، وما حلَّ بتُبَّعٍ وغيرِه من الجبابرة الأقدمين ،...إلخ.

قال الله عز وجل : ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ ﴾[2].

---

(١) سورة الأعراف (٢٠١).

(٢) سورة العنكبوت (٦٧).

وقال الله جل شأنه : ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾[1].

ولهذا كثرت الآيات التي ورد فيها ذكر : الأمن والأمان ، والحرم والحرام ، والمسجد الحرام ، بما يزيد على عشرين آية ، كل ذلك للتنبيه والاتعاظ ، والله تعالى أعلم .

ـ الحرص على المحافظة على الأرزاق التي ساقها الله تعالى لأهل هذا البلد ، خاصة وهو في الأصل ليس فيه زرع ولا نبات ، كما قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾[2].

لذا دعا إبراهيم عليه السلام ربه عز وجل ؛ أن يرزقهم من ثمرات الأرض ، فقال الله سبحانه وتعالى على لسانه عليه السلام : ﴿ وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[3].

وقال تعالى أيضاً : ﴿ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[4].

فامتن الله سبحانه وتعالى على أهلها بجباية ثمرات كل شيء .

فقال الله تعالى : ﴿ يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾[5].

وإذا كان الإيمان والتقوىٰ والطاعة ،... من أهم أسباب الرزق ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[6]

---

(١) سورة القصص (٥٧).

(٢) سورة إبراهيم (٣٧).

(٣) سورة البقرة (١٢٦).

(٤) سورة إبراهيم (٣٧).

(٥) سورة القصص (٥٧).

(٦) سورة الأعراف (٩٦).

فإن المعصية هي أهم أسباب زوال النعمة .

ولهذا حذرنا النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم من مغبة المعصية ، وخطرها ، وإزالتها للنعمة ، وأنه لولا البهائم لم ينزل المطر . ولكن رحمة الله أوسع من فعل العباد .

ـ الحرص على ألّا يكون سبباً في زوال البركة عنها ، وعن أهلها وأرزاقها ، لأن الله عز وجل جعل البيت مباركاً ، ودعا إبراهيم عليه السلام لها بالبركة .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾[1] .

وأما دعاء إبراهيم عليه السلام لها بالبركة .

فعن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم إن إبراهيم كان عبدَك ، وخليلَك ، ودعاك لأهل مكة بالبركة ،... » الحديث بطوله ، رواه أحمد والنسائي والطبراني برجال ثقات ، وصححه الترمذي وابن حبان وابن خزيمة[2].

ومن ذلك دعاؤه عليه السلام لهم بالبركة في اللحم والماء ، والطعام والشراب .

ففي حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ـ في قصة مجيء إبراهيم بإسماعيل وأمه عليهم السلام إلى مكة وتفقده لهم بين كل حين وآخر ، وفي آخره ـ : فلبث عنهم إبراهيم ما شاء الله ، ثم أتاهم ، فلم يجده [يعني : لم يجد إسماعيل] فدخل على امرأته ، فسألها عنه ، فقالت : خرج يبتغي لنا ،... فقال : ما طعامكم ؟

---

(١) سورة آل عمران (٩٦).

(٢) مسند أحمد (١ : ١١٥ – ١١٦) وسنن الترمذي : كتاب المناقب : باب في فضل المدينة ، رقم (٣٩١٤) والسنن الكبرى للنسائي : كتاب الحج : باب مكيال أهل المدينة (٢ : ٤٨٤) وصحيح ابن حبان (٩ : ٦١ – ٦٢) وصحيح ابن خزيمة (١ : ١٠٥ – ١٠٦) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠٥).

قالت : اللحم . قال : فما شرابكم ؟ قالت : الماء . قال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ولم يكن لهم يومئذ حَبٌّ ، ولو كان لهم دعا لهم فيه ، قال : فهما لا يخلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه ».

وفي رواية أخرى ، فقال أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلَّم : « بركة بدعوة إبراهيم ». رواهما البخاري[1] لكن جاء في غير هذه الرواية : اللهم بارك لهم في طعامهم وشرابهم .

إضافة إلى الأحاديث التي وردت في المفاضلة بينها وبين المدينة في البركة ، وهي كثيرة ذكرتُ جملة منها في فضائل المدينة المنورة ، منها :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « اللهم اجعل بالمدينة ضِعْفَي ما بمكة من البركة ». متفق عليه[2].

ـ أن يكون حريصاً عليها ، محافظاً على نظافتها ، وطهارتها ، ومعتنياً بها ، وببيوتها ، وشوارعها ، وأسواقها ، ومحلاتها ، إضافة إلى نظافة البدن والثياب ، والقلب والنفس ، فيجمع بين طهارتي الظاهر والباطن .

وهكذا أمر الله تعالى نبيَّيْه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، فقال عز وجل : ﴿ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[3].

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إذا دخلها اغتسل قبل أن يدخلها .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأنبياء : باب يزفون : النسلان في الشيء .

(٢) صحيح البخاري : كتاب فضائل المدينة : باب حدثنا عبد الله بن محمد ، وهو عقب باب المدينة تنفي الخبث . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب فضائل المدينة ، رقم (٤٦٦) وانظر فضائل المدينة المنورة ، للاطلاع على روايات الحديث .

(٣) سورة البقرة (١٢٥).

لذا على الساكن المحافظة على نظافتها ، فلا يلقي قمائم ومخلفات بيته في شوارعها ، فيوسخها ، وكذا ما يلقيه بعضُ الناس أثناء سيرهم في سياراتهم ، فقد يضر بالصحة العامة والخاصة ، وكذا ما يفعله بعض الأولاد من الكتابة على الجدران ،...إلخ.

ـ إن حرمة الكعبة كبيرة عند الله تعالى ، ولكن حرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وآله وسلَّم من حرمتها ، ولهذا أمر النبيُّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بقتل ابنِ خطل ، ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة ، لشدة جرائمه . كما أهدر صلوات الله عليه وآله وسلَّم دماء عدد آخر من المشركين يوم الفتح ، فقُتِل بعضهم ، وعفا صلى الله عليه وآله وسلَّم عن بعضهم بعد أن أجارهم بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : رأيتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يطوف بالكعبة ، ويقول : « ما أطيبك ، وأطيب ريحك ، ما أعظمك ، وما أعظم حرمتك ، والذي نفسي بيده لحرمةُ المؤمن أعظمُ عند الله حرمةً منكِ ». رواه الترمذي ـ وحسنه ـ وابن ماجه[1]. وقد ورد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

وأما الكفار فلا حرمة لهم ، لذا أمر صلوات الله عليه وآله وسلَّم بقتل ابن خطل ، مع أنهم قالوا : إنه متعلِّقٌ بأستار الكعبة ـ لشدة جرائمه ـ فقُتل كذلك .

(١) سنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في تعظيم المؤمن ، رقم (٢٠٣٠) وسنن ابن ماجه : كتاب الفتن : باب حرمة دم المؤمن وماله ، و رقم (٣٩٣٢) وفيه خطأ . وانظر فضائل المدينة المنورة ، والأصل لبيان الروايات فيه .

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه الـمِغْفَر ، فلما نزعه جاءه رجل فقال : ابنُ خطَل متعلِّقٌ بأستار الكعبة ، فقال : « اقتلوه ». متفق عليه[1] وقد قتلوه .

بينما أجار صلى الله عليه وآله وسلَّم ما أَجارت أُمُّ هانئ رضي الله عنها من المؤمنين .

فعنها رضي الله عنها ـ في صلاته صلى الله عليه وآله وسلَّم يوم فتح مكة وفيه ـ قالت : فلما انصرف [يعني : من صلاته] قلت : يا رسول الله زعم ابنُ أمي عليٌّ بنُ أبي طالب أنه قاتلٌ رجلاً قد أجرته ـ فلان ابن هُبيرة ـ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ ». متفق عليه[2].

لذا فليحرص ساكن مكة على حفظ حرمات المؤمنين ، ودمائهم ، وأعراضهم ، لأن ذلك من تعظيم الحرم ، والله تعالى أعلم .

ـ الحرص على عدم التعرض لعقوبة الله تعالى وسخطه ، وذلك بارتكاب المعاصي التي تُخل بحرمة الحرم ، لأن الله عز وجل يغار على حَرَمه (إن للبيت ربّاً يحميه) ولهذا عاقب جيشَ أبرهة أصحابَ الفيل ، بالذي ذكر في القرآن الكريم ، وعاقب قائدَ الفيل وسائسَه ، كما مسخ إسافاً ونائلة ، لارتكابهما الفاحشة في جوف الكعبة ، وأشل يدَ الرجل الذي مدها يريد امرأتَه ؛ وقد استجارت

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب قتل الأسير وقتل الصبر ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحج : باب جواز دخول مكة بغير إحرام ، رقم (٤٥٠).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الصلاة : باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفاً به ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب استحباب صلاة الضحى ، وأن أقلها ركعتان ، وأكملها ثمان ركعات ،... رقم (٨٢).

بالبيت ، وكل ذلك كان في الجاهلية ، وسيخسف بالجيش الذي يريد غزوَها في آخر الزمان ، كما تواتر ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ،...إلخ.

فلا يكن الساكنُ شرّاً من هؤلاء فيُعاقب ، ولا يُسبق بالخير فيفوته .

- **إن الهم والإرادةَ والعزم ،... لا يُكتب خارج الحرمين** ، بل قد يؤجر الإنسان عليه ، إن لم يفعله ، أما في الحرمين ؛ فإذا وصل إلى حد التصميم والتأكيد على الفعل ؛ فإنه يُكتب على صاحبه ، سواء كان مضرّاً بأهلهما ، أو كان في معتقد ونفس صاحبه ، وسواء كان الهامُّ حاضراً فيهما ، أم كان بعيداً عنهما ، طالما يريد الإيذاء بأهلهما ، والله تعالى أعلم .

فمن همَّ بمعصيةٍ أو ظلمٍ أو إلحادٍ ،... في مكة ؛ فإنه يُكتب عليه ، ويعاقب عليه ، حتى لو كان الهامُّ بعيداً عنها حال همِّه .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1].

فقد رتب العقوبةَ بالعذاب على إرادة الإلحاد والظلم في الحرم .

وذلك يُكتب على الإنسان ولو كان بعَدَنِ أَبْيَن .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - في قوله تعالى - : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ قال : لو أن رجلاً همَّ بخطيئةٍ - يعني ما لم يعملها - لم يُكتب عليه ، ولو أن رجلاً همَّ بقتل رجلٍ عند البيت ، وهو بعَدَن أَبْين ؛ أذاقه الله عذاباً أليماً .

وفي رواية عنه رضي الله عنه ، رفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « لو أن رجلاً همَّ بإلحادٍ وهو بعَدَن أَبْيَن ، لأذاقه الله عذاباً ». رواه أحمد وأبو يعلى

(١) سورة الحج (٢٥).

والبزار والثوري في تفسيره ، وصححها الحاكم وأقره الذهبي ، وصححه ابنُ كثير والهيثمي والحافظ ، وقال شُعْبة : ورد مرفوعاً عن السُّدي ـ وورد موقوفاً ـ والذي رفعه ثقة[1].

ـ الحرص على العناية بكتاب الله عز وجل ، وكتب التفسير ، وكتب الحديث ، واحترامها ، وتقديرها ،... لأن القرآن الكريم والسنة النبوية كلاهما وحي ـ لكن السنة النبوية وحي غير متلو ، ولا معجز ـ ولأن تعظيمها من تعظيم الله عز وجل ورسوله النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وقد أوجب الله تعالى تعظيمَ البُدن التي تنحر في الحج ، وأن ذلك من تعظيم الله تعالى ، لأنها من شعائره .

قال عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[2].

فمنطوق الآية : أن من كان في قلبه تقوىٰ ؛ فإنه يُعظِّم شعائر الله تعالى ، ومفهوم ذلك : أن من لا يُعظِّم شعائر الله تعالى فليس في قلبه تقوىٰ ، والعياذ بالله تعالى .

وقد نهىٰ النبي المصطفى الكريم الأمين صلى الله عليه وآله وسلَّم أن توضع التوراة على الأرض مع أن الذي وضعها هم اليهود ، فرفعها صلى الله عليه وآله

---

(١) مسند أحمد (١ : ٤٢٨ ، ٤٥١) والمستدرك (٢ : ٣٨٧ – ٣٨٨) ومسند أبي يعلى (٩ : ٢٦٢ – ٢٦٣) وتفسير الثوري (٢٠٩ – ٢١٠) وتفسير ابن كثير (٣ : ٢١٤ – ٢١٥) ومجمع الزوائد (٧ : ٧٠) وفتح الباري (١٢ : ٢١٠) وعزاه في الدر المنثور (٤ : ٣٥١) أيضاً لإسحٰق بن راهويه وسعيد بن منصور والفريابي وعبد بن حُميد والبزار والطبري وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه ، وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى على مسند أحمد (٦ : ٦٥ – ٦٦).

(٢) سورة الحج (٣٢).

وسلَّم ، ووضعها فوق الوسادة ، مع أن التوراةَ محرَّفةٌ ، كما نص عليه القرآن الكريم ، وهي دونه منزلة ومكانة ، ومع هذا فقد أبىٰ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو المهيمن والأمين عليه ـ أن توضع على الأرض .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : أتىٰ نفر من اليهود ، فدعوا رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى القف ، فأتاهم إلى بيت الـمِدراس ، فقالوا : يا أبا القاسم إن رجلاً منا زنىٰ بامرأة ، فاحكم بينهم ، فوضعوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وسادةً ، فجلس عليها ، ثم قال : « ائتوني بالتوراة » فأُتي بها ، فنزع الوسادة من تحته ، ووضع التوراة عليها ،... الحديث بطوله ، في قصة رجم اليهوديين . رواه البخاري ومسلم ، وأبو داود واللفظ له[1].

فقد رفض صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ بأبي وأمي ـ أن تُوضع التوراة على الأرض ، مع أنها مُحَرَّفةٌ .

ومع هذا فإنا نجد بعض المسلمين يضعون المصاحف الشريفة على الأرض ؛ وذلك عند سجود التلاوة ، أو عند قيامهم للصلاة ، أو عند انتهائه من القراءة ، أو عند ملله منها ،... وغير ذلك . فبدلاً من أن يضع المصحف الشريف على الحوامل والرفوف ـ مع أنها بجواره ، ولا تبعد عنه إلا قليلاً ـ إلا أنه يتكاسل ، فيضعه في الأرض .

ولا أظن أن المسلم يفعل ذلك بقصد الإهانة للقرآن الكريم ، لأن إهانةَ

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الحدود : باب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الحدود : باب رجم اليهود وأهل الذمة في الزنىٰ ، رقم (٢٦ ، ٢٧) وسنن أبي داود : كتاب الحدود : باب في رجم اليهوديين ، رقم (٤٤٤٦ ، ٤٤٤٩).

القرآن الكريم كفرٌ ، ولو وضعه فوق الرؤوس ، إنما هو التكريمُ والتعظيمُ .

كما قد يظن بعضُ الناس أنه إذا وضعه فوق السجادة في المسجد جاز ، لأن سجادَ المسجد طاهر ويُصلى عليه ، وهذا خطأ ، لأن القصدَ ليس هو الطهارة والنجاسة ، لأن وضع المصحف في موضع نجس عمداً حرام ، وهو ردةٌ ، والعياذ بالله عز وجل ، ولا أتصور وجودَ مسلم في مسجدٍ وهو يتلو كتاب الله عز وجل ويقصد إهانته . إنما هو التعظيم والتكريم ، ألا ترىٰ أن الأرضَ طاهرةٌ ؛ تصح الصلاة عليها من غير حائل ، كما ثبت عنه صلى الله عليه وآله وسلَّم من وجوهٍ كثيرةٍ ، في الصحيحين وغيرهما ، ومنها :

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « أُعطيتُ خمسا لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلي ،... الحديث ، وفيه : وجُعِلت لي الأرض طيِّبَةً ؛ طَهوراً ومسجداً ، فأيما رجل أدركته الصلاةُ صلَّى حيث كان... ». الحديث بطوله ، متفق عليه[1].

وكيف يجوز التيمم بها : إذا كانت غير طاهرة ؟ إنما هو التكريم والتعظيم .

ألا ترىٰ أن الله تعالى لم يُجز مَسَّ القرآن الكريم إلا لطاهر مطهَّر .

قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[2].

ففي الآية الكريمة أمور :

ـ الأول : إن قوله تعالى : ﴿ كَرِيمٌ ﴾ هي على صيغة فعيل ، بمعنى مفعول ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التيمم : الباب الأول . وصحيح مسلم : كتاب المساجد : رقم (٣).

(٢) سورة الواقعة (٧٧ – ٧٩).

أي مكرَّم ، ومن أُوْلىٰ التكريم : احترامُه ، ووضعُه في مكان لائق ،... وعدمُ امتهانه ، ووضعِه في مكان لا يليق ، ولا شك أن وضعَه في الأرض ، والإنسان فوقه ، أو يعلوه ،... أو وضعه عند القدم ، أو في مكان قريب من النعال ، أو ... كل ذلك ليس من التكريم ، والله تعالى أعلم .

ـ الثاني : ظاهر الآية يدل على أنه لا يمس المصحفَ الشريفَ إلا طاهر متطهر من البشر ، وهذا ما ذهب إليه جمهور الفقهاء ، من أنه لا يجوز أن يَمَسَّ المصحف أو يحمله إلا متوضئ .

ـ الثالث : إن كان المراد هو ما في اللوح المحفوظ ، فلا يمسه إلا الملائكة .

وفي الحالات الثلاث دلالة على عظم مكانة هذا الكتاب الكريم ، ووجوب الاعتناء به ، وتعظيمه ، فإذا كان الله تعالى لم يسمح إلا لنفر من الخلق ـ وهم نفر من الملائكة ـ بمسه ، فكيف يعظمه المسلمون؟؟؟ وإذا لم يجز لغير المتوضئ مسُّه أو حمله ـ مع أن المسلم لا ينجس كما بينه صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ فكيف يعظمه المسلمون ؟؟؟ وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعله مكرَّماً عنده أفلا يكون معظَّماً كذلك عند المسلمين ؟؟؟ ومن صفات المؤمن أن يحب ما يحبه مولاه ، ويكره ما يكرهه مولاه .

لذا ليس من تعظيمه وتكريمه وضعُه في الأرض ، والمصلِّي يعلوه في قيامه وسجوده وجلوسه ، وحاملُ المصاحف بجواره .

وقد رأيت من غفلة المسلمين ما يندىٰ له الجبين من كثرة القصص المؤلمة ، والحوادث المزعجة ، وكل ذلك مما لا ينبغي . أسأل الله تعالى أن يلهم المسلمين ـ خاصة طلبة العلم ـ احترامَ هذا الكتاب الكريم ، وتعظيمَه ، وتبجيلَه .

ومثل ذلك كتب الحديث والفقه والأصول ونحوها ، وإن كانت كتبُ الفقه وما سواها دون ذلك ، والله تعالى أعلم .

ـ **الحرص على العلم في الحرم** ، لأن هذه هي صفة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ التي دعا إبراهيم عليه السلام بها ؛ وسأل اللهَ تعالى أن يرسله في ذريته .

فقال الله عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] .

فمن مهام النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ التي دعا بها إبراهيم عليه السلام : تلاوة الآيات ، وتعليم الكتاب ، وتعليم الحكمة ـ وهي السنة ـ بالإضافة إلى التزكية لهم ، والله تعالى أعلم .

ـ **على طالب العلم التأدب مع العلماء ، وعلى العامي التأدب مع أهل العلم** ، فلا يتسرع أحدهم بالإفتاء بحضرة من هو أعلم منه أو من هو أكبر منه ، لأن هذا هو دأب الصحابة الكرام رضي الله عنهم .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن من الشجر شجرةً لا يسقطُ ورقُها ، وإنها مثل المسلم ، فحدِّثوني ما هي؟ ». قال : فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبد الله : ووقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ، ثم قالوا : حدِّثْنا ما هي يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هي النخلة ».

زاد في رواية : فلما خرجت قلت لعمر : والله لقد وقع في قلبي أنها النخلة .

---

(١) سورة البقرة (١٢٩).

فقال عمر : لِمَ لَمْ تذكرها ؟ فقلت : نظرت فإذا في القوم أبو بكر وعمر ، فاستحييتُ أن أتكلم . فقال : والله لو قلتَ لهو أحبُّ إليَّ من كذا وكذا .

زاد البخاري في رواية : فأردتُ أن أقول هي النخلة فإذا أنا أصغرُ القوم فسكتُّ .

وزاد في أخرى أيضاً : ثم التفتُّ فإذا أنا عاشرُ عشرة ، أنا أحدثُهم فسكتُّ . متفق عليه[1].

وعن أبي المنهال رحمه الله تعالى قال : سألتُ البراءَ بن عازب عن الصرف ؟ فقال : سل زيدَ بنَ أرقمَ فهو أعلمُ . فسألت زيداً فقال : سل البراءَ ، فإنه أعلمُ . ثم قالا : نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن بيع الذهب بالوَرِقِ دَيْناً . متفق عليه ، واللفظ لمسلم[2].

ولفظ البخاري : فكل واحد منهما يقول : هذا خيرٌ مني .

وهناك نصوص كثيرة في مثل هذا المعنى فيها بيان الصحابة رضي الله عنهم ، وكيف كانوا يحيلون على بعضهم في الفتيا ، ولا يتسرعون فيها ، والله تعالى أعلم .

وهذا ما عليه سلفُ هذه الأمة ، لا يُحدِّثُ المحدِّثُ بحضرة من هو أكبر منه ، أو أعلم ، أذكر بعضَ النصوص للعظة والاعتبار .

عن سمرة بن جندب رضي الله تعالى عنه قال : كنتُ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم غلاماً ، فكنتُ أحفظ عنه ، وما يمنعني من القول إلا

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب يقول المحدِّثُ : حدَّثنا أو أخبَرنا أو أنبأنا ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صفات المنافقين : باب مثل المؤمن مثل النخلة ، رقم (٦٣ ، ٦٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب بيع الوَرِق بالذهب نسيئة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب المساقاة : باب النهي عن بيع الوَرِق بالذهب دَيناً ، رقم (٨٦ ، ٨٧).

أن هٰهنا رجالاً هم أسنُّ مني[1].

وقال عبيدُ الله بنُ عُمر رحمه الله : كان يحيى بنُ سعيد [الأنصاري] يحدِّثُنا ، فيسحُّ علينا مثل اللؤلؤ ، فإذا طلع ربيعةُ [المعروف بربيعة الرأي] قطع يحيى حديثَه إجلالاً لربيعة ، وإعظاماً له .

وقال الحسن بنُ عليٍّ الخلّالُ رحمه الله تعالى : كنا عند المعتمِر بن سليمان يحدِّثُنا ، إذ أقبل ابنُ المبارك ، فقطع معتمر حديثَه ، فقيل له : حدِّثْنا . فقال : إنّا لا نتكلَّم عند كبرائنا .

وعن سلمةَ بنِ كُهَيل رحمه الله تعالى قال : كان إبراهيم [النخعي] والشعبيُّ إذا اجتمعا ، لم يتكلم إبراهيم بشيءٍ لسنِّه .

وقال سفيانُ الثوريُّ لسفيان بن عُيينة رحمهما الله تعالى : ما لك لا تحدِّث ؟ فقال : أما وأنت حيٌّ فلا[2] إلى غير ذلك من النقول الكثيرة .

هذا هو أدب العلماء مع بعضهم ، وورعهم وتقواهم ، وهذه هي ثقتهم بعلم إخوانهم من أهل العلم ،... بالإضافة لما يَجب على طالب العلم من التخوف والتورع عن الفتيا ، وإحالته على من يكفيه إياها ، لا التسرع فيها ، من غير طلب ولا تعيين ، والله تعالى أعلم .

ـ الصبر على ما يلاقيه الساكن من البلاء في هذه البلدة المباركة الطَّيِّبة ، وذلك لأنه لا يُعلم بلدٌ جرى محاولةُ ذبح الولد فيها سواها .

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١ : ٣١٨) وتاريخ أبي زرعة (١ : ٥٥٤ – ٥٥٥) والاستيعاب (٢ : ٢١٥) وتهذيب الكمال (١٢ : ١٣٤).

(٢) ذكر هذه الأقوال وغيرها الخطيبُ البغدادي رحمه الله تعالى في كتابه : الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (١ : ٣١٨ – ٣٢١).

فقد جرت محاولةُ ذبح إسماعيل ، من قِبَل والده إبراهيم على نبينا وعليهما الصلاة والسلام ، للرؤيا التي رآها حتى فداه الله تعالى بذبح عظيم .

قال الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ قَالَ يَبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾[1] .

كما جرت محاولة ذبح عبد الله والدِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من قِبَل والده عبد المطلب ، بسبب النذر الذي صدر منه ، حتى فداه عبد المطلب بمائة من الإبل ، في قصة معروفة ، ذكرتها عامةُ كتب السير[2].

فإذا كان هذا في النفس ، فما دونها من ضيقِ عيشٍ وشدةِ حياةٍ ، وشظفِ مجاورةٍ ، وشدةِ حرارةٍ ، وضغط ،... فهو دون ذلك بكثير ، خاصة ، والغُرْمُ بالغُنْم ، والله تعالى أعلم .

ـ الحرص على عدم الاعتداء على الآخرين ، بأي وجه كان ، خاصة في الأمور المالية ؛ التي يغفل عنها كثير من الناس .

عن الحارث بن البرصاء رضي الله عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ في الحج ، بين الجمرتين ـ يقول : « من اقتطع مال أخيه المسلم بيمين فاجرة : فليتبوأ مقعدَه من النار ». رواه ابن حبان والحاكم وصححاه ، وأقره الذهبي ، والحميدي والطبراني برجال الصحيح[3].

---

(١) سورة الصافات (١٠٢ – ١٠٧).

(٢) انظر كتب السيرة النبوية .

(٣) صحيح ابن حبان (١١ : ٥٦٩ – ٥٧٠) والمستدرك (٤ : ٢٩٤ – ٢٩٥) ومسند الحميدي (١ : ٢٦٠) والمعجم الكبير (٣ : ٢٩٠) ومجمع الزوائد (٤ : ١٨١) وانظر كنز العمال (٦ : ٣٩٣ ، ٣٩٤).

فكيف بالاعتداء على الأعراض والدماء والأنفس ونحوها ،... ؟

ـ **الحرص على ألا يعامل الساكنُ مَن تحت يده بالشدة والغلظة** والفظاظة والقسوة ، فينال دعوةَ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عليه . بل عليه أن يكون رفيقاً شفوقاً رحيماً عطوفاً ،... بالمسلمين ، لينال دعوةَ النبي المصطفى الكريم الرحيم صلى الله عليه وآله وسلَّم له .

فالأستاذُ مع طلابه ، والمديرُ مع الأساتذة عنده ،... ومديرُ الدائرة مع موظفيه ، والموظفُ مع مراجعيه ، ومديرُ المصنع والمعمل مع عماله ، والحاكمُ مع محكوميه ، والإمامُ في مسجده ، والقاضي مع مراجعيه ،... كلهم يلزمهم أن يكونوا غاية الرفق والشفقة والرحمة والإحسان ،... ولا يكونوا شدةً وغلظةً وتنفيراً .

فعن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول في بيتي هذا : « اللهم مَن وَلِيَ مِن أمر المسلمين شيئاً فشقَّ عليهم ؛ فاشقق عليه ، ومَن وَلِيَ مِن أَمر أُمَّتي شيئاً فرفق بهم ؛ فارفق به ». رواه مسلم[1].

وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لم يرض أن يطيل الإمام في الصلاة ، حتى لا ينفِّر الناسَ ، واعتبَرَهم منفِّرين عن دين الله تعالى ، فمن باب أولىٰ من وَلِيَ أمراً ينفع به المسلمين أو يضرهم .

فعن أَبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أيها الناس ؛ إن منكم منفِّرين ، فأَيُّكم أَمَّ الناسَ فليوجز ، فإن مِن ورائه الكبيرَ والضعيفَ وذا الحاجة ». متفق عليه[2].

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ،... رقم (١٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب من شكا إمامَه إذا طوَّل ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الصلاة : باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ، رقم (١٨٢).

ولهذا كان رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم إذا دخل في الصلاة وهو يريد تطويلها ، فسمع بكاء الصبي ، فإنه يتجوَّز في صلاته ، رأفة بالصبي وأمه ، كما في حديث أنس رضي الله عنه ، المتفق عليه[1].

فإذا كان هذا من رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وهو الرحمة المهداة ، وفي عبادة هي أجل العبادات ، فما عداها من المعاملات من باب أولىٰ . فكيف يكون غيره صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟؟؟

لذا فليحرص المسلم الساكنُ ـ أيّاً كان حاله ـ أن تناله دعوةُ النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم له بأن يرفق الله تعالى به ، ولا تناله الدعوةُ عليه بالشدة ، والله تعالى أعلم .

ـ **الحرص على الأموال العامة والخاصة** ، سواء كان موظفاً ، أو عاملاً في أي جهة كان . فإن كان موظفاً فلا يأخذ مما تحت يده ، ولا يستعمل ما عنده إلا ضمن المصلحة العامة ، ولا يأخذ أكثر من حقه ، كما لا يجوز أن يقبل هديةً أو رشوةً ،... أو نحو ذلك مقابل عمله ، إذا كان يأخذ أجرةً على عمله .

فكل ما يأخذه العامل أو الموظف من هدايا ونحوها ، محاباةً وتخفيفاً فهو حرام ، لأنه خيانة ، وبخس للحق الواجب عليه استيفاؤه لأهله ، وهو غُلولٌ ، يأت به يوم القيامة ، يحمله على كتفه .

بل كلُّ ما يتدرع به الآخذُ إلى محظور أو يوصل إليه : فهو محظور عليه ؛ ولو كان قرضاً يجر منفعةً ، اللهم إلا أن يكون ممن كان بينهما مهاداة ، أو ممن يقبل ذلك

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأذان : باب من أخفَّ الصلاةَ عند بكاء الصبي . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (١٩١ ، ١٩٢).

قبل عمله ، لكن لابد أن يكون ذلك على الحالة السابقة من غير زيادة أو مصلحة .

فعن بُرَيدة بن الحُصَيْب رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من استعملناه على عمل ؛ فرزقناه رزقاً فما أخذه بعد ذلك فهو غُلولٌ ». رواه أبو داود بإسناد صحيح ، وصححه ابنُ خزيمة والحاكم ، وأقره الذهبي ، ورواه البغوي والبيهقي[1].

وعن أبي حُميد الساعدي رضي الله عنه ـ في قصة ابن اللُّتْبِيَّة ـ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم على المنبر ، فحمد الله وأثنىٰ عليه ، وقال : « ما بال عاملٍ أبعثه فيقول : هذا لكم ، وهذا أهدي لي ، أفلا قعد في بيت أبيه ، أو في بيت أمه ، حتى ينظرَ أيُهدى له أم لا ، والذي نفسُ محمدٍ بيده ؛ لا ينال أحدٌ منكم منها شيئاً ؛ إلا جاء به يوم القيامة ، يحملُه على عنقه ؛ بعيرٌ له رُغاءٌ ، أو بقرةٌ لها خُوارٌ ، أو شاةٌ تيعر ». ثم رفع يديه حتى رأينا عُفْرَتَيْ إبطيه ، ثم قال : « اللهم هل بلَّغتُ ؟ ». الحديث ، متفق عليه[2].

وهذا الحديث ؛ وإن كان في الولاة والسعاة ونحوهم ، لكنه شامل لجميع العمال العامّين والخاصّين ، والله تعالى أعلم .

وقد مر قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ولا تلتقط لقطتها إلا لمنشد ،... ».

كما مر قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « احتكار الطعام في الحرم إلحاد ».

كما مر أن الملحد في الحرم هو أبغض الناس إلى الله تعالى .

---

(١) سنن أبي داود : كتاب الخراج والإمارة : باب في رزق العمال ، رقم (٢٩٤٣) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ٧٠) والمستدرك (١ : ٤٠٦) وشرح السنة (١٠ : ٨٩) والسنن الكبرى (٦ : ٣٥٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الهبة : باب من لم يقبل الهدية لعلة ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب تحريم هدايا العمال ، رقم (٢٦ – ٢٩).

لذا على المسلم الساكن في هذه البلدة المباركة : الاحتياطُ لدينه ، وعرضه ، ولا يُوقع نفسَه لغضب الله تعالى ونقمته وعذابه ، فلا يأكل مالَ غيره ، ولا يظلم أحداً ، ولا يعتدي عليه ، والله تعالى أعلم .

ـ وكذا يلزم كل من يقوم بعمل ـ مهما كان ـ أن يؤديه على المطلوب الوجه المتفق عليه ، من غير نقصان ، ولا تقصير ، وأن يبذل قصارى جهده في أداء عمله من غير توان ولا تكاسل ولا تباطؤ ، ولا يدخر وسعاً في قيامه بعمله ، لأن ذلك من الأمانة التي حُمِّلها الإنسان ، وهذا ما قالته ابنة صاحب مدين لأبيها ؛ عن موسى عليهم السلام ، كما قال الله تعالى على لسانها : ﴿ يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴾[1].

لذا لا يُسند العمل إلا للقوي الأمين ، لقدرته على تحمل الأمانة ، ولأن ذلك من النصيحة لعامة المسلمين .

لذا عليه أن يكون غايةَ الأمانة في الأداء والعطاء ، فلا كتمان ، ولا نقصان ، ولا تقصير .

فعن عدي بن عَمِيرة الكندي رضي الله تعالى عنه قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « من استعملناه على عمل ؛ فكتَمَنا مِخْيَطاً [الإبرة] فما فوقه ، كان غُلولاً [الخيانة] يأتي به يوم القيامة ،... ». رواه مسلم[2].

لذا فليحذر المسلم من التقصير في أداء عمله ، حتى لا يأكل راتبه وهو غير حلال عليه ، لأنه يصير سحتاً ، وكل لحم نبت من سحت ؛ فالنارُ أولىٰ به ، والعياذ بالله تعالى .

---

(١) سورة القصص (٢٦).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الإمارة : باب تحريم هدايا العمال ، رقم (٣٠).

ـ الحرص على عدم إيذاء الجار ، بأي نوع من أنواع الأذىٰ ، وعلى معاملته معاملة كريمة ، والإحسانِ إليه .

والأمرُ بإكرامه يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، فقد يكون فرضَ عين ، وقد يكون فرض كفاية ، وقد يكون مستحباً ، ويجمع ذلك كلَّه : أنه من مكارم الأخلاق .

ومظاهرُ إكرام الجار كثيرة ، منها : إذا استقرضك أقرضتَه ، وإذا استعانك أعنتَه ، وإذا مرض عدتَه ، وإن احتاج أعطيتَه ،... وإن افتقر عدتَ عليه ، وإن أصابه خيرٌ هنَّيتَه ، وإن أصابته مصيبةٌ عزَّيتَه وواسيتَه ، وإذا جهل عليك حلمتَ وصبرتَ ، وإذا مات اتبعتَ جنازتَه ، وإذا أراد وضعَ خشبة على جدارك أذنتَ له وسامحتَه ، وإن اشتريت فاكهةً فاهد له منها ، فإن لم تفعل فأَدخلها سرّاً ، ولا يَخرج بها ولدُك ليغيظ بها ولدَه ، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريحَ إلا بإذنه ، ولا تؤذيه بريح قِدْرِك إلا أن تغرفَ له ، ولا تؤذيه بصوتك ، ولا صوت مذياعك ومزمارك ، ولا بالضرب على سطحه ـ إن كنت تسكن فوقه ـ وتحيَّن ساعةَ نومه وراحته فلا تزعجه ،...إلخ.

وقد وردت الأحاديثُ الكثيرةُ عن النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم بعدم الإيذاء ، وبالإكرام ، والإحسان ، والطمأنينة إلى الجار :

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ،... ». متفق عليه[1].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الحث على إكرام الجار والضيف ،... رقم (٧٥).

وعنه وعن أبي شريح رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن » قيل : مَن يا رسول الله ؟ قال : « الذي لا يأمن جارُه بوائقَه ». رواه البخاري[1].

والبوائق : الدواهي والشرور ، واحدتها بائقة ، وهي الداهية ، والشيء المهلك ، والأمر الشديد الذي يوافي بغتة .

وعن أبي شُريح العدوي رضي الله تعالى عنه قال : سمعتْ أذنايَ ، وأبصرت عينايَ ، حين تكلَّم النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ فقال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ،... ». متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة وأبي شريح رضي الله تعالى عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر : فليحسن إلى جاره ». رواه مسلم[3].

فهذه أربع حالات : عدم إيذائه ، ثم اطمئنانه من شرور جاره ، ودواهيه المهلكة ، ثم طلب إكرامه ، ثم طلب الإحسان إليه ،... فكيف بالمزعجات المقلقات في هذه الأيام ؛ من رفع صوت ، وتفحيط سيارة ، وإغاظة في ملاهي ، وإزعاج في نوم ،...إلخ، والمشتكىٰ إلى الله تعالى .

ـ الحرص على حسن معاملة الأجير والعامل الضعيف والخادم ، والرقيق والعبد ـ إن وُجدا ـ فلا يلعن ، ولا يسب ، ولا يُقَبِّح ،... ولا يضرب ، ولا يحمِّلْه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه .

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٧٧) وبرقم (٧٤) عن أبي شريح رضي الله عنه .

(٣) صحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٧٦ ، ٧٧).

ما لا يطيق ، ولا يشق عليه ، فإن حمَّلَه ما لا يطيق أعانه ،... وإذا كانت هذه الأعمال لا تجوز مع العبد المملوك ، فالأجير الحرُّ من باب أولىٰ ،

وقد كثرت النصوص في ذلك ، أقتصر على ذكر بعضها للتقريب والتنبيه ، وتوضيح خطورة الموضوع .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم شيئاً قط بيده ، ولا امرأةً ، ولا خادماً ، إلا أن يجاهدَ في سبيل الله ، وما نيل منه شيءٌ قط فينتقمَ من صاحبه ؛ إلا أن يُنتهكَ شيءٌ من محارم الله ، فينتقمَ لله عز وجل . رواه مسلم[1].

وهذا في الخادم عامة ، والأُمَّةُ تبع لرسولها صلى الله عليه وآله وسلَّم ، أما المملوك :

عن المعرور بن سويد رحمه الله تعالى قال : لقيتُ أبا ذرٍّ رضي الله تعالى عنه بالرَّبَذة ، وعليه حُلَّةٌ ، وعلى غلامه حُلَّةٌ ، فسألته عن ذلك ، فقال : إني ساببتُ رجلاً فعيَّرتُه بأُمِّه ، فقال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا أبا ذر ؛ أَعَيَّرته بأمِّه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خَوَلُكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ؛ فليُطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم ، فإن كلَّفتموهم : فأعينوهم ». متفق عليه[2].

فالحديث صريح في بابه ، وقد سمىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب مباعدته ﷺ للآثام ،... رقم (٧٩).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب المعاصي من أمر الجاهلية ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب إطعام المملوك مما أكل وإلباسه مما يلبس ،... رقم (٣٨ - ٤٠).

العبيدَ إخواناً ، ساقتهم الأقدار ليكونوا كذلك ، فكيف بالأحرار المسلمين ؟؟؟ فإذا كان هذا لا يجوز بالنسبة للعبد المملوك ، فالأجير الحر المسلم من باب أولىٰ ، والله تعالى أعلم .

وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال : كنتُ أضرب غلاماً [عبداً] لي بالسوط ، فسمعتُ مِن خلفي صوتاً : « اعلم أبا مسعود ؛ للهُ أَقْدرُ عليكَ منك عليه ». فالتفتُّ ، فإذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقلت : يا رسول الله ؛ هو حُرٌّ لوجه الله ، فقال : « أما لو لم تفعل ؛ لَلَفَحَتْكَ النارُ ، أو لـمَسَّتْكَ النار ». رواه مسلم[1].

والحديث صريح في بابه ، لو لم يعتقه للفحته نار جهنم ، فأين دعاة حقوق الإنسان من هذا الخلق الرفيع ؟؟؟

وأما الإحسان إلى الأجير ، وإعطاؤه أجره ، قبل أن يجف عرقُه ، مع عدم تأخيرها ، أو منعها وتحريم ذلك على المستأجِر ، فأقتصر على حديث واحد ؛ يغني إن شاء الله تعالى لوضوحه وبيانه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « قال الله تعالى : ثلاثةٌ أنا خصمُهم يوم القيامة ؛ رجلٌ أَعطىٰ بي ثم غدر ، ورجلٌ باع حرّاً ؛ فأكل ثمنَه ، ورجلٌ استأجر أجيراً ؛ فاستوفى منه ولم يعطه أجره ». رواه البخاري[2].

ومن كان الله تعالى خصمَه يوم القيامة لا شك كان من الهالكين ، والعياذ

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الأيمان : باب صحبة المماليك ، وكفارة من لطم عبده ، رقم (٣٤ - ٣٦).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب إثم من باع حرّاً ، ورواه في كتاب الإجارة أيضاً .

بالله تعالى ، لذا فليحذر المسلم من الاعتداء على حقوق العباد ، خاصة الضعفاء منهم والمساكين ، ولا يظنَّنَّ أن لا مدافع عنهم ، فإن الله تعالى هو الذي سيتولى أخذ حقوقهم والدفاع عنهم ، وردها إليهم يوم الحاجة إليها ؛ في يوم القيامة ، والله تعالى أعلم .

ـ أن يكون ساكن مكة المكرمة في غاية الاتباع للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم في معاملته للجفاة من الأعراب والجاهلين ،... وأخذهم بالشفقة ، واللين والرحمة والحنو والعطف ،... سواء في معاملته لهم ، أو في حال إنكاره عليهم ، وأمره لهم بالمعروف ، أو نهيه عن المنكر .

فالأعرابي الذي جبذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم من ردائه جبذةً شديدةً ، حتى أثَّر ذلك في صفحة عنقه الشريف ، كيف عامله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟

فعن أنس رضي الله عنه قال : كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وعليه بُرْدٌ نجراني غليظُ الحاشية ، فأدركه أعرابيٌّ ، فجبذ بردائه جبذةً شديدةً ـ قال أنس : فنظرتُ إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم وقد أثَّرتْ فيها حاشيةُ الرداء من شدة جبذته ـ ثم قال : يا محمد ؛ مُرْ لي من مال الله الذي عندك . فالتفتَ إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فضحك ، ثم أمر له بعطاء . متفق عليه[1].

فانظر كيف عامله رسولُ الله الرحمةُ المهداة صلى الله عليه وآله وسلَّم **!!!** بأبي هو وأمي .

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب التبسم والضحك . وصحيح مسلم : كتاب الاستسقاء : باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم ، رقم (١٦).

ومثل ذلك في حال إنكاره صلى الله عليه وآله وسلَّم على الجهال الذين لا يعرفون الحكم الشرعي ، فقد كان صلى الله عليه وآله وسلَّم يعاملهم في غاية الرفق والشفقة .

فالأعرابيُّ الذي بال في المسجد ـ جهلاً ـ فثار الناسُ ليقعوا به ، قال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « دعوه ، وأهريقوا على بوله ذَنوباً من ماء ـ أو سَجْلاً من ماء ـ فإنما بُعثتم مبشرين [وفي رواية : ميسِّرين] ولم تبعثوا معسِّرين ». متفق عليه[1].

زاد مسلم في روايته : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم دعاه فقال له : « إن هذه المساجد لا تصلح لشيء مِن هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل ، والصلاة ، وقراءة القرآن الكريم ».

كيف عامله الرحمةُ المهداةُ صلى الله عليه وآله وسلَّم ؟ لقد أنكر على الصحابة رضي الله عنهم شدةَ تعاملهم معه ، ثم دعاه صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فنصحه وبين له خطأه ، كما بيَّن له مكانةَ المسجد ، وحسنَ الاعتناء به ، ووظائفَه .

ومثل ذلك : إنكارُه صلى الله عليه وآله وسلَّم على معاوية بن الحكم السُّلَمي رضي الله تعالى عنه ، عندما تكلم في الصلاة ، وفي آخر الحديث ، قال معاوية رضي الله عنه : فلما صلّى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فبأبي هو وأمي ، ما رأيتُ معلِّماً قبله ولا بعده أحسنَ تعليماً منه ، فوالله ما كهرني ، ولا ضربني ولا شتمني ، قال : « إن هذه الصلاةَ لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس ، إنما

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوضوء : باب صب الماء على البول في المسجد ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الطهارة : باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات ، رقم (٩٨ – ١٠٠).

هو التسبيحُ وقراءةُ القرآن ». رواه مسلم[1].

وهناك نصوصٌ كثيرة فيها : بيان تحمِّل النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وحسن معاملته للجفاة وللجهال ، يتألفهم ، ويرفق بهم ، ويرحمهم .

لذا يلزم العطفُ من العالم على الجاهل ، ومن المتعلم على الجافي ، ومن السهلِ على الحزن ، ومن القويِّ على الضعيف ويرحمه ، والمسؤول على من تحت يده ويشفق عليه ،... والله تعالى أعلم .

ـ الحرص على عدم التعالي بالنسب أو الحسب أو القبيلة أو البلد أو المنصب والمكانة ، ذلك أن الله تعالى ، وإن فضَّل قريشاً على سائر العرب ، وفضَّل بني هاشم على سائر قريش ، فلا يعني ذلك أن يتفاخر من فُضِّل أصلُه على غيره ، ولا يشمخ عليهم ، كما لا يشمخ ساكنُ الحرم على غيره من المسلمين ، بأنه من سكان الحرم ، فقد يكون غيرُه أفضلَ عند الله عز وجل منه ، لذا ما عليه إلا أن يتواضع ، حتى يرفعه الله تعالى .

فعن واثلة بن الأسقع رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله اصطفى كنانةَ من وَلد إسماعيل ، واصطفى قريشاً من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، واصطفاني من بني هاشم ». رواه مسلم[2].

وقد ورد هذا المعنى عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم .

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما قال : مر رجلٌ على رسول الله

---

(١) صحيح مسلم : كتاب المساجد : باب تحريم الكلام في الصلاة ،... رقم (٣٣).

(٢) صحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب فضل نسب النبي ﷺ ، رقم (١).

صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فقال لرجل عنده جالس : « ما رأيك في هذا ؟ ». فقال : رجلٌ من أشراف الناس ، هذا والله حري إن خطب أن يُنكح ، وإن شفَعَ أن يُشفَّع . قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ثم مر رجل ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ما رأيك في هذا؟ ». فقال : يا رسول الله هذا رجلٌ من فقراء المسلمين ، هذا حريٌّ إن خطب ألا يُنكح ، وإن شفّع ألا يُشفَّع ، وإن قال لا يُسمع لقوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « هذا خيرٌ من ملء الأرض من مثل هذا ». رواه البخاري[1].

وعن أبي ذرٍّ رضي الله تعالى عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يا أبا ذرٍّ ، انظر أرفعَ رجل في المسجد » قال : فنظرتُ ، فإذا رجلٌ عليه حُلَّةٌ . قال : قلتُ : هذا . قال : قال لي : « انظر أَوْضَعَ رجل في المسجد ». قال : فنظرتُ ، فإذا رجلٌ عليه أَخْلاقٌ . قال : قلتُ : هذا . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لهذا عند الله أَخْيَرُ يوم القيامة من ملء الأرض مثل هذا ». رواه أحمد وأبن أبي شيبة ووكيع وهناد والبزار والطبراني وابن حبان بأسانيد صحيحة[2].

لذا على المسلم أن يتواضع ، لأن من تواضع لله تعالى رفعه الله عز وجل ، فلا يعتز بنسب أو قبيلة أو بلد ، أو عشيرة ،...إلخ، لأن البلد لا يُقدِّس الإنسان ،

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب فضل الفقر ، وفي غيرهما .

(٢) مسند أحمد (٥ : ١٥٧ ، ١٧٠) والزهد له (٢٧ – ٢٨) والزهد لوكيع (١ : ٣٧٨ – ٣٧٩) والزهد لهناد (٢ : ٤١٦) ومصنف ابن أبي شيبة (١٣ : ٢٢٢) والبحر الزخار (٩ : ٣٩٢ – ٣٩٣ ، ٤١٤ – ٤١٥) وكشف الأستار (٤ : ٢٤٢ ، ٢٤٣) والمعجم الأوسط (٦ : ٨٢) وبغية الباحث (٢ : ٩٨٧ – ٩٨٨) وحلية الأولياء (٨ : ١١٥ – ١١٦) ومجمع الزوائد (١٠ : ٢٥٨ ، ٢٦٥) ومجمع البحرين (٨ : ٢٤٦ – ٢٤٧).

والنسب لا يُقدِّس صاحبَه ـ خلا نسب النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ إضافة إلى أنه لا فرق بين إنسان وآخر ، فكلهم أبناء آدم ، ومولودون من ذكر وأنثى ، إنما العبرة بالعمل ، والتقوىٰ ، والمنزلة عند الله تعالى ، وأن الله جل شأنه لا ينظر إلى الصور والأجساد ، ولكن إلى العمل والقلوب ، لذا فمن أثار نعرةً رُدت عليه .

فعن جابر رضي الله عنه قال : كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم في غزاة ، فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار . وقال المهاجري : يا للمهاجرين . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « دعوها ، فإنها مُنتِنةٌ ». متفق عليه[1].

ويوضح ذلك قوله صلوات الله عليه وآله وسلَّم في خطبة أيام التشريق في منى ، يومَ حجة الوداع : « أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لعجمي على عربي ، ولا لأحمر على أسود ، ولا لأسود على أحمر ، إلا بالتقوىٰ ،... ». رواه أحمد بإسناد صحيح[2].

لذا فليحذر ساكنها التعالي بأي شيء ، إلا بعمله ، إذا عَلِم قبولَه ، وأنّىٰ له ذلك ، لذا عليه التواضع ، وعلى المسلمين الإكرام والتقدير ، والله تعالى أعلم .

ـ على الزوجين معرفة حقوقهما ، وواجباتهما ، فإذا عرف كلٌّ واحد منهما حقوقَه الواجبةَ له ، وواجباته المترتبةَ عليه ،... وطبَّقا ذلك ساد البيتَ جوُّ الهناء والسعادة والسرور ،...

---

(١) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة المنافقين : باب : ﴿ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً ، رقم (٦٢ – ٦٤).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٤١١) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٦٦) وانظر فيه (٨ : ٨٣ – ٨٤).

لذا على الرجل الحرص على مداراة المرأة ، وحسن العشرة معها ، وحسن الإنفاق عليها ، وصيانة عرضها ، وحفظ سرها ، والاعتناء بها ، ووجوب العدل بينها وبين ضرتها ، والصبر عليها ، وحسن الوصية بها ، وعدم ضربها في أماكن ظاهرة كالوجه ، وكذا بأداة جارحة أو حادَّة ، ولا يكون بقوة أو انتقام ،... لأن هذا كله مخالف لأمر الله تعالى وأمر رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، إنما يحق له تأديبُها شريطةَ أن يكون غيرَ مبرِّح ،...إلخ.

وعلى المرأة معرفة عظم حق زوجها عليها ،... ووجوب طاعته في المعروف ، وتحقيق طلباته المشروعة ، وتحريم إيذائه ، ورفع صوتها عليه ، ووجوب إقرارها في البيت ، وعدم خروجها منه إلا بإذنه ، وعدم إذنها لأحد إلا بإذنه ، ووجوب محافظتها على ماله وبيته وأولاده وأسرار بيته ولا تنفق من ماله إلا بإذنه ، ولا تتسرع بطلب الفراق بدون ما بأس ، والخلاصة ؛ عليها أن تعلم أنه هو جنَّتُها ونارها .

وإن حصل خلاف بينهما ـ لا سمح الله ـ فلا يكن ذلك أمام الناس حتى الأولاد ، وليكن في غرفة النوم ، وليتدرج الرجل في معاملة المرأة ، ولا يتسرع إلى المحاكم ، أو التحكيم ، فضلاً عن إيقاع الطلاق .

ولينظر كل واحد منهما كيف كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يعامل زوجاته رضي الله عنهن كزوجات ، وكيف كنَّ رضي الله عنهن يعاملنه صلى الله عليه وآله وسلَّم كزوج ،... وقد استقصيت ذلك في (حقوق الزوجين) فلينظره من أراد ذلك ، والله تعالى المعين .

ـ **أن يكون الآباء في غاية الحرص على أبنائهم** ؛ في صلاحهم ، واستقامتهم وفلاحهم ، ليكونوا معهم يوم القيامة ، لأن الله عز وجل سيرفع الأبناء إلى منزلة

الآباء ، ولا ينزِّل منزلة الآباء إلى منزلة الأبناء ، يعني أن الله تعالى يرفعُ المقصِّرَ إلى مرتبة المرتفع ، لا بالعكس ، بشرط وجود الإيمان منهم .

قال الله جل وعز : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾[1] .

فهو عز وجل يرفع الذُّرِّيةَ لمقام الآباء ، لتقر أعينهم ، ولا ينقص من أعمال الآباء من شيء .

وهذا ما نراه في دعوات إبراهيم ؛ لولده إسماعيل عليهما السلام ، وحرصِه على ذريته من بعده ، سواء في أمر الدنيا أو في الدين :

ففي أمر الدنيا :

قال الله عز وجل على لسان إبراهيم عليه السلام : ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾[2] .

وفي أمر الدين :

لـمّا أخبر الله عز وجل إبراهيم عليه السلام أنه جعله للناس إماماً ؛ يُهتدى به ، ويقتفى أثره ، تحركت في نفسه عليه السلام عاطفةُ الأبوة ، والحرص على الذرية ، لذا سأل الله عز وجل أن يجعل هذه الإمامةَ في ذرِّيته ، لكن الله تعالى أخبره أن الإمامة لا ينالها الظالمون من عباده .

قال الله تعالى : ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3] .

---

(١) سورة الطور (٢١).

(٢) سورة إبراهيم (٣٧).

(٣) سورة البقرة (١٢٤).

لذا تحركت في نفسه على نبينا وعليه الصلاة والسلام من جديد عاطفة الأبوة ، والحرص على الأبناء ، فسأل الله عز وجل أن يجنبهم عبادة الأصنام ، ليكونوا مؤمنين موحدين ، فيُكرَموا من جديد .

فقال جل شأنه على لسانه عليه السلام : ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[1] .

ففي هذه الآيات الكريمة بيانُ حرص الوالد على أولاده في شؤون دينهم ودنياهم ، في معتقدهم وعبادتهم ،... في سلوكهم وحياتهم ، في معاشهم ومعادهم ،... ومَن أولىٰ بذلك من أهل مكة وساكنيها ، وقد كانت هذه الدعوات في بلدهم ؟ والله تعالى أعلم .

ـ **الحرص على تعليم الأولاد الآداب الشرعية الخاصة** ، مبتدئاً بمحبة الله تعالى ، والتوكل عليه ، والثقة به تعالى ، وحمده وشكره ،... ومحبة النبي المصطفى الكريم صلوات الله عليه وآله وسلَّم ، وطاعته ، واتباعه ، ومعرفة مكانته ، ومنزلته ،... ومحبة الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، ومعرفة مآثرهم ، ومفاخرهم ، ومكانتهم ،... وتعظيم القرآن الكريم وتفسيره ، والسنة النبوية الشريفة ، والسيرة النبوية المباركة ، وكتبهما ، وكتب العلم ،...إلخ.

لقد كان الصحابةُ الكرام رضي الله تعالى عنهم يقولون لأبنائهم : علِّموا أولادكم المغازي ، فإنها شرف آبائكم .

حتى ينشأ الولد نقيّاً تقيّاً محبّاً صالحاً ،... وهذا من أولىٰ الواجبات .

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يعتني بالأولاد ، فيعتني بعقيدتهم ، كما يعتني بأجسادهم ، ويعتني بدينهم ، كما يعتني بأوقاتهم ، فيعلمهم التوكلَ على الله تعالى ، والاعتماد عليه ،...

---

(١) سورة إبراهيم (٣٥).

فقد قال صلى الله عليه وآله وسلَّم لعبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما : « يا غلام ؛ إني أعلمك كلمات ؛ احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألتَ فاسأل الله ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله ، واعلم : أن الأمةَ لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيء ؛ لم يضرُّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رُفعت الأقلامُ ، وجَفَّت الصحفُ ». رواه أحمد ، وصححه الترمذي والحاكم ، وأقره الذهبي ، ورواه عبد بنُ حُميد ، والآجري ، والطبراني وابنُ السني ، في آخرين[1].

فقد علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الاعتمادَ على الله تعالى ، والتوكل عليه ، وأن ما في الكون لا يكون إلا على وفق ما أراد الله سبحانه وتعالى .

وقد كان الله عز وجل قد أمر نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم أن يكون كذلك ، ولا يعتمد على أي مخلوق مهما كان ، طالما أن المخلوق يموت ، وإنما عليه أن يعتمد ويتوكل على الحي الذي لا يموت ، وهو الله جل شأنه ، وعلى الأمة أن تكون كذلك ، فقال الله تعالى له : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[2].

ـ وأن يعلمهم الفرائض والواجبات ، والنوافل والمستحبات ، والمحرمات

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢٩٣ ، ٣٠٣ ، ٣٠٧) وسنن الترمذي : كتاب صفة القيامة : باب (٥٩) رقم (٢٥١٦) ومسند عبد بن حُميد (٢١٤ رقم (٦٣٦) ومسند أبي يعلى (٤ : ٤٣٠) والمعجم الكبير (١١ : ١٢٣ ، ١٧٨ ، ٢٢٣) (١٢ : ٢٣٨) وعمل اليوم والليلة (٢٥٤ – ٢٥٥ رقم ٤٢٥) والمستدرك (٣ : ٥٤١ ، ٥٤١ – ٥٤٢) والشريعة للآجري (٢ : رقم ٤١٢ – ٤١٣) وشعب الإيمان (١ : ٢١٦ – ٢١٧) (٢ : ٢٧ – ٢٨) والآداب له (٤٧٣ – ٤٧٤) والأسماء والصفات له (٧٥ – ٧٦) وحلية الأولياء (١ : ٣١٤).

(٢) سورة الفرقان (٥٨).

والمكروهات ،... من العبادات والمعاملات والأخلاق ،... حتى لو خالفوا سنّةً نبههم ، أو مندوباً عرَّفهم ، وإذا ارتكبوا مكروها أرشدهم ، أو خِلافَ الأولىٰ بيَّن لهم ،... فكيف لو تركوا واجباً ، أو فعلوا محرَّماً أو كبيراً ؟؟؟

لما قام عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يصلي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم قيامَ الليل في بيت خالته ميمونة ـ أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها ـ وقام عن يسار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ أخذ صلى الله عليه وآله وسلَّم بأذنه ، وأقامه عن يمينه ، كما في حديثه رضي الله عنهما ، المتفق عليه[1].

ولما أكل عُمرُ بن أبي سلمة رضي الله عنهما ـ ربيبُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم وهو يومئذ صغير ـ مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وطاشت يدُه في الصحفة ، أخذ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم بيده ، وقال له : « يا غلام ؛ سمِّ الله ، وكُلْ بيمينك ، وكُلْ مما يليك ». كما في حديثه رضي الله عنهما ، المتفق عليه[2].

وهناك نصوص كثيرة فيها تنبيه النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم الأولاد ، والأطفال عما صدر منهم من أخطاء ، وتنبيهات على ما وقع منهم من مخالفات ، ذكرتُ كثيراً منها في غير هذا الكتاب ، والله تعالى المعين .

ـ أن يعلمهم الآدابَ الشرعيةَ العامةَ المتعلقةَ بالناس ؛ من الحب في الله ، والبغض في الله ، وتوقير الكبير ، وذي الشيبة المسلم ، ورحمة الصغير ، وإجلال

---

(١) صحيح البخاري : كتاب العلم : باب السمر في العلم ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب صلاة المسافرين : باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، رقم (١٨١ – ١٩٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأطعمة : باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب آداب الطعام والشراب ، وأحكامهما ، رقم (١٠٨).

العالم ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، والوفاء بالعهد ، وإكرام الضيف ، وحسن الجوار ،... وحفظ اللسان ، وغض البصر ، وستر العورة ، والغيرة ، وقبض اليد عن المحرمات ، والزهد في الدنيا ، والاقتصاد في المأكل والمشرب ، وحسن الاستئذان ، وعيادة المريض ، وتشميت العاطس ، وإماطة الأذىٰ ، وحفظ السر ، والتعاون على البر والتقوىٰ ، والابتعاد عن الإثم والعدوان ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وموادَّة المسلمين ، وحسن التعامل معهم ، والعطف عليهم ، وعدم النيل من أعراضهم ، وعدم التعالي عليهم ، وكراهية الكفار والمشركين ، ومن شايعهم ،...إلخ.

ويعلمهم آداب النوم المبكر ، وأنه لا سهر إلا في طاعة الله تعالى ، أو أمر مباح ، ويعلمهم آداب الطعام والشراب ، سواء أكلوا بمفردهم أو مع الآخرين ، وما هو المحبوب ، وما هو المكروه ، من المطعومات ، والمشروبات ، وما هي عادات أهل مكة الاجتماعية المحمودة في ذلك ، والتي بدأت بالانقراض ،...إلخ.

ـ **الحرص على ترسيخ حُرمة الحرم في أذهان الناشئة** ، وتعليمهم حرمة مكة ، ومنزلتَها ، ومكانتَها ، والواجب نحوها ، والأخذ بآداب العيش فيها ، وتعليمهم المآثر الموجودة فيها ، وفضائلَها ومناقبها ، وما ورد في كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم فيها ، والتحذير من مخالفة ذلك ،... والوعيد على العصيان فيها ، وخطورة المعصية ، وحسن معاملة الناس فيها ،...إلخ.

ويتوجب على هذا أن يكون الكبار أنفسهم عارفين بذلك كله ، وما يتوجب عليهم من القيام بحق هذه المسؤولية عليهم ، ولقد رأيت كثيراً من الكبار ـ مع الأسف الشديد ـ لا يعرفون شيئاً عن مآثر هذه البلدة المباركة ، ومعالمها ،... وواجباتهم نحوها .

ولغفلة كثير من الكبار عن ذلك ؛ شط كثيرٌ من الأولاد ، ووقعوا في كثير من المخالفات الشرعية ، ابتداء من صيد حمام الحرم ،... إلى انتهاك الحرمات ، مروراً بكثير من المزعجات ، كعدم احترام كبير ، أو امرأة ، أو عدم تبجيل عالم ، أو رحمة صغير ،... أو رفع صوت إذاعة ؛ سواء في بيت أو سيارة ، أو سرعة بها ، أو رفع صوتٍ بغناءٍ ونحوه ، خاصةً في ساعات الليل المتأخرة ، أو القيام بحركات مريبة ،...إلخ.

ـ حرص النساء فيها على مساعدة الرجال في تربية الأولاد ، وحنوهن عليهم ، وتعليمهم آداب البيوت ، والسلام ، والجوار ، وحفظ العورات ، وحفظ الأسرار العائلية ،... خاصة في حال صغر ، إضافة إلى حسن رعاية الزوج ، والتبعل له ،...إلخ. لأن هذا هو شأن نساء قريش .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « خيرُ نساءٍ رَكِبْن الإبلَ صالحُ نساء قريش ، أحناه على ولد في صغره ، وأرعاه على زوج في ذات يده ». متفق عليه[1].

ففي هذا الحديث الشريف أمران :

ـ الحنو على الولد في حال الصغر ، خاصة بعد اليُتم ، فلا تتزوَّج .

ـ مراعاة حقوق الزوج ، فهي أمينةٌ مؤتمنةٌ ،... تحفظه وترعاه ، وتصون عرضه وماله ، ولا تبذِّر فيه ، ولا تنفق منه إلا بقدر الحاجة .

ـ على نساء مكة أن يكنَّ أسرعَ النساء تطبيقاً لشرع الله عز وجل ، وتنفيذاً

---

(١) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب إلى من ينكح ، وأي النساء خير ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب فضائل الصحابة : باب فضائل نساء قريش ، رقم (٢٠٠ – ٢٠٢).

لأحكامه ، وأخذ أنفسهن بالحشمة والتطبيق ،... لأن هذه هي صفة المهاجرات القرشيات الأول رضي الله عنهن .

فعن السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : يرحم الله نساء المهاجرات الأول ، لما أنزل الله : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾[1] شققن مروطهن ، فاختمرن بها .

وفي رواية عنها رضي الله عنها قالت : أخذن أُزُرَهُنَّ ؛ فشققنها مِن قِبَل الحواشي ، فاختمرن بها . رواهما البخاري[2].

ـ **الحرص على خيرات مكة** ، وخاصة المياه فيها ، لأنها بلدٌ غيرُ ذي زرع ، قليلةُ المطر ، قليلةُ الماء ، ولأن مياهها جلب ، وليس فيها نهر ، إنما هي مياه جوفية ، اللهم إلا زمزم ، وبعض الآبار التي حفرها الناس .

وإذا كان لا يجوز الإسراف في الماء في أي مكان ، وعلى أي وجه كان ، فلا يجوز الإسراف في المياه فيها من باب أولىٰ .

وإذا جاء التحذيرُ الشديد من الإسراف والتبذير في استعمال المياه في الوضوء والطهارة ـ وهما واجبان شرعاً ـ فما ليس بواجب فمن باب أولىٰ ، كالإسراف في غسل السيارات ، والبيوت ،... والسلالم [الدرج] ونحو ذلك .

إضافة إلى أن الذنوب والمعاصي والآثام ،... هي من أهم أسباب ضياع الخير ، وإزالة النعم .

وقد حذر الله تعالى الأمة بثلاث عقوبات ؛ إما بحبس القطر من السماء ،

---

(١) سورة النور (٣١).

(٢) صحيح البخاري : كتاب التفسير : سورة النور : باب : ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ .

وهذا ظاهر في هذا الزمان ، وإما بتغويره وإذهابه في جوف الأرض ، وهذا مشاهد الآن أيضاً ، إذ جفت كثير من الآبار والعيون ، وإما بتغيير طبيعة الماء ، سواء بتملح أو مرارة ونحو ذلك ، وقد وقع في بعض البلاد ، لكنه لم يكن عامّاً ، ولله الحمد .

والعالَم مقبِلٌ على جفاف ، ونسمع كثيراً الحديثَ في البحث عن مصادر للمياه ،... ويتخوف الناس من قيام حروب بسبب المياه ، لذا يجب على ساكنها ألا يكون سبباً في زوال هذه النعمة ، أو إنقاصها ، والعياذ بالله تعالى .

ـ **العمل على تعمير مكة وبنائها ، واستصلاح أراضيها** ، وزراعة بساتينها المحيطة بها ، وإيجاد المنافع والمصانع والمعامل بها ،... والعمل على صرف أموال أهلها بها ، لا أن تُصرف خارجها إلا لمصلحة ، لذا على الأغنياء فيها استغلالُ أموالهم في مشاريع يعود نفعها على أهلها بالخير والسعادة والرفاهية والهناء ، كبناء المدارس والكليات والمعاهد والمستشفيات ، ونحو ذلك ، لأن في ذلك تحقيقاً لدعوة إبراهيم عليه السلام .

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا ﴾[1].

فقد سأل الله تعالى لمكة أن تكون بلداً ، وأن تكون آمناً ، والبلد لا يكون إلا بعمرانه بكل وجوه العمران ، والله تعالى أعلم .

ـ **الحرص على عدم الخروج منها ، للسكنىٰ في غيرها** ، وذلك لفضل السكنىٰ في مكة ، ولفضل الموت فيها ، اللهم إلا المدينة المنورة ، لأن الإيمان يأرز بينهما ،... ولأن من مات فيهما بُعث من الآمنين يوم القيامة ، إضافة إلى ما جُبل عليه الإنسان ، من حرصه على بلده الذي وُلد ونشأ فيه ، فكيف إذا كان كالحرمين .

---

(١) سورة البقرة (١٢٦).

ولهذا لما قال ورقة بن نوفل رضي الله عنه للنبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم عند نزول الوحي عليه ما قال ، لم يتأثر صلى الله عليه وآله وسلَّم بادئ الأمر ولم يظهر عليه شيء ، ولم يستنكر صلى الله عليه وآله وسلَّم ، فلما ذَكر له إخراجَه من مكة ، تعجب من ذلك واستنكره .

فعن عائشة رضي الله تعالى عنها ـ في قصة نزول الوحي على النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم وذهابه إلى ورقة ، وفي آخره : قال ورقة : هذا الناموس الذي نزل على موسى ، يا ليتني فيها جذعاً ، ليتني أكون حيّاً إذ يُخرجك قومُك . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « أوَ مُخرِجِيَّ هم ؟ ». متفق عليه[1].

ففي الحديث دلالةٌ على حب الوطن ، وعدم مغادرته إلا لمصلحة ، خاصة إذا كان كالحرمين .

وقد سبق ذكرُ قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم لمكة : « ما أطيبك من بلد ، وأحبك إليَّ ، ولولا أن قومَك أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك ». بروايتيه .

ـ الحرص على آثار مكة ، منقولة كانت ، أو غير منقولة ، ذلك لأن كثيراً من معالم السيرة النبوية الشريفة ـ خاصة في العهد المكي ـ لا تُعرف ، ولا تُعلم حقيقتها ؛ إلا إذا عُلم موقعها ، والأمم ـ على مر العصور ـ حريصةٌ على آثارها ،... مع أن آثارها لا تعادل شيئاً بالنسبة للآثار الإسلامية ، وأغلب الآثار الإسلامية في الحجاز ، والأغلب منها في الحرمين ، وقد خفيت معرفةُ كثيرٍ منها على كثير

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الوحي : باب (٣) حدثنا يحيى بن بكير ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، رقم (٢٥٢ – ٢٥٤).

من أهلهما ، فضلاً عن غيرهما ، وقد سألتُ كثيراً من أهل العلم والفضل عن بعض قضايا وردت في الحديث وفي السيرة ؛ فلم يعرفوها ، أما غيرُهم فهم أبعد من ذلك ، إذ لا يعرفون كثيراً من البدهيات في مواقع السيرة ، وقد عرفتُ هذا من طلابي في الجامعة ، فإذا كان طلابُ الجامعة لا يعرفون ذلك ، فمن سواهم من باب أولىٰ .

وهذا والله : عقوق ـ بل لعله أدنى مراتب العقوق ـ وإلا فكيف بمسلم لا يعرف أين وُلد النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأين مكان قبره ، وكم بينه وبينه من الزمن ، والأمم تحرص على بقايا من آثار أجدادها ، وتجعل لها المتاحف .

علماً بأن الله سبحانه وتعالى قد شرع لنا المحافظةَ على الآثار ، وذكرها تعالى في كتابه الكريم ، بل شرع كثيراً من العبادات ، وربطها بأماكن وأزمنةٍ لها سابقة في الذكر لأمم سابقة .

فقد جعل الله تعالى مقام إبراهيم عليه السلام مصلى ، فقال تعالى : ﴿ وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[1] .

وجعل الصفا والمروة من شعائره عز شأنه ، وأمر بالسعي بينهما ، تذكيراً بما فعلته هاجَرُ ؛ أمُّ إسماعيل عليه السلام ، يوم نفد الماء منها ، وصارت تبحث عن غواث ، فقال الله تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾[2]. إضافة إلى الرَّمَل ، الرَّجْم ، وغيرها كثير ،...إلخ.

---

(١) سورة البقرة (١٢٥).

(٢) سورة البقرة (١٥٨).

وقد حث النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم على المحافظة على الآثار ، ما لم يكن مُخِلّاً بحكم شرعي .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما قال : نهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم عن آطام المدينة أن تُهدم .

وفي رواية عنه رضي الله عنهما : قال صلى الله عليه وآله وسلَّم : « لا تهدموا الآطام ؛ فإنها زينة المدينة ». رواهما الطحاوي ، من طريقين ، والبزار ، ورجالهما رجال الصحيح ، وحسنه الحافظ في مختصر زوائد البزار[1].

والأُطُم : هو الحصن المبني بالحجارة ،... ويشمل كل بناء مرتفع ، وقيل : كل بيت مربع مسطح ، فكل ما هو زينة لها فلا يحسن هدمه .

خاصة وأن هناك كثير من معالم السيرة النبوية لا تعرف السيرة إلا بها ، وقد بدأت هذه المعالم بالاندثار . لذا ازداد الجهل بالسيرة النبوية كثيراً ، والمشتكىٰ إلى الله تعالى .

ثم إن الله جل شأنه أخبرنا عما حصل في الأمم السابقة ، وكيف حفظ الله تعالى آثار موسى وهٰرون على نبينا وعليهم الصلاة والسلام أتت بها الملائكة .

فقال الله تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[2].

---

(١) شرح معاني الآثار (٤ : ١٩٤) وكشف الأستار (٢ : ٥٤) ومجمع الزوائد (٣ : ٣٠١) ومختصر زوائد مسند البزار (١ : ٤٧٨) وانظر التعليق على كشف الأستار .

(٢) سورة البقرة (٢٤٨).

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى[1] : ﴿ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَـٰرُونَ ﴾ فيه الشيء الباقي من تركة آل موسى وآل هٰرون ، كعصا موسى ، ونَعْليه ، وبعض الألواح.اهـ.

فإذا حفظ الله تعالى آثار موسى وهٰرون على نبينا وعليهم الصلاة والسلام ألا نحافظ على آثار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهو صلى الله عليه وآله وسلَّم أولىٰ منهما ؟!!

ثم إن الله جل شأنه أمرنا بالسير في الأرض لننظر آثار المشركين ، فنعتبر بها ، ولا نقع فيما وقعوا فيه من الكفر والعصيان ، حتى لا يصيبنا ما أصابهم ، كعاد وثمود ،... كما علينا أن نعتبر بأفعال المسلمين لنعمل مثل ما عملوا ، ونصنع مثل ما صنعوا ، حتى تصح نسبتنا إليهم ، ونقتفي آثارهم ، ولا نقول : أولئك آبائي فجئني بمثلهم ،... بل نقول : نفعل مثل ما فعلوا ، والله تعالى أعلم .

قال الله جل شأنه : ﴿ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[2].

وقال الله تعالى : ﴿ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ... ﴾[3].

فإذا كان هذا في آثار السابقين ، فكيف بآثار الإسلام الأولىٰ ؟؟؟

لذا فإني أقترح ثلاثة أمور ، كما اقترحت في ساكن المدينة المنورة :

١ ـ إنشاء متحف ؛ يضم كل ما يُعتبر من الآثار ، فإن كان يسهل حمله

---

(١) انظر تفسير الطبري (٥ : ٣٣٠ – ٣٣٤) وهو قول عامة المفسرين .

(٢) سورة آل عمران (١٣٧).

(٣) سورة غافر (٢١).

ونقله ، نُقل ، وإلا رُسم له ، على أن يُكتب عند كل أثر مكانته ، ومنزلته ووضعه في تاريخنا ،...إلخ.

٢ ـ وضع مجسَّم لمكة المكرمة ؛ توضع فيه جميعُ الأماكن الأثرية ، وبيوت الصحابة الكرام رضي الله عنهم فيها ، والمعالم المهمة .

٣ ـ رسم صورة كبيرة لمكة المكرمة ، يوضح فيها المعالم القديمة ، التي نسيها الناس ، لما فيها وسابقتها من تأثير كبير في معرفة كثير من قضايا السيرة النبوية الشريفة .

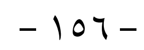
خاصة ؛ والأممُ تسعى جاهدةً في تعريف أبنائها بمعالم تواريخها ، وعلى الأخص ما كان فيه لها فخر واعتزاز ، لذا فإنها تنشئ المتاحف المختلفة ، كالمتحف الحربي ، والمتحف الوطني ، وَ وَ... وتنفق الأموال الطائلة ، لتعريف الحاضر بالماضي ، وليس لبلد أو أمة من تاريخها ما تفخر به ما لهذه الأمة ، مع أن كثيراً من آثارها في متاحف العالم ، مع أن الواجب أن تكون في موقع الأحداث لا خارجه ، والله تعالى أعلم .

أرجو الله تعالى أن يحقق الآمال ، إنه نعم المولىٰ ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

والحمد لله رب العالمين .





المبحث الثاني

مسؤوليته تجاه القادمين إليها

لما دعا إبراهيم عليه السلام بأن يجعل الله جلت قدرته أفئدةً من الناس تهوي إلى مكة المكرمة ، وأوجب الله عز وجل الحجَّ على جميع المسلمين القادرين ، ممن ملكوا الزاد والراحلة ، وأوجب النبيُّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم العمرةَ على المسلمين القادرين أيضاً ، ولم يُحدِّد لها زماناً لا تصح إلا به - كما هو الحال في الحج - لذا فإنه سيفد إلى هذه البلدة المباركة جموعٌ كثيرة ، إما للحج أو للعمرة أو لهما معاً ، أو لغير ذلك ، فكيف يعاملهم أهلُ مكة ، وهم قد حلّوا في ديارهم ، وصاروا ضيوفاً عليهم ؟؟؟

وأهلُ مكة هم أهلُ الله تعالى ، ويسكنون في حرم الله عز وجل ، ويجاورون بيت الله تعالى ، وهم يستقبلون وفدَ الله تعالى وضيوفَه .

خاصة وقد أوجب الشرعُ الكريمُ إكرامَ الضيف ، وحسن معاملته والإحسان إليه ، وعدم الإساءة إليه ، إضافة إلى إكرام المؤمن ، وعدم الاعتداء عليه ، ونصرته ، وإيثاره على النفس ،...إلخ الحقوق المترتبة للمسلم على المسلم .

علماً بأن أغلب ما مَرَّ في المسؤولية تجاه مكة وأهلها ؛ مطلوب هو الآخر نحو القادمين إليها ، وكذا العكس ، لكن فصلت بينهما للتقريب ، والله تعالى الموفق والمعين .

لذا سأذكر بعضَ ما يترتب على ساكني مكة من واجبات نحو إخوانهم القادمين إليها ، للذكرى وليس للاستيعاب ، والله المعين .

فمن ذلك :

ـ **القيام بشكر هذه النعمة** ؛ حيث خصهم الله جل شأنه بالقيام بخدمة وفده وحجاج بيته ، وزوار مسجده ، من بين ملايين المسلمين ؛ بهذه المكرمة الجليلة ، كما أكرمهم الله تعالى بزيادة الثواب ، بما لم ينله سواهم ، لذا فمن لازِم ذلك ؛ أن ينعكس هذا الفضل بحسن استقبال القادمين ، وحسن معاملتهم ، وصادق ودِّهم ، مع شعور الساكن بعِظَم هذه المسؤولية ، وقيامه بها .

وشكرُ الله تعالى على ما أنعم لا يُحافظ على النعمة فحسب ، بل يزيدها ، كما قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[1] .

والشكرُ عمل ، وليس قولاً ، بينما الحمدُ قولٌ ، وقد يتداخلان ، كما قال الله عز وجل عن الشكر : ﴿ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾[2] .

والشكرُ شكران : شكر المنعم ، وشكر النعمة .

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ ﴾[3] .

وأما شكر المنعم فهو أعلى وأغلى . ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ ﴾[4] ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى ﴾[5] .

---

(١) سورة إبراهيم (٧).

(٢) سورة سبأ (١٣).

(٣) سورة الأحقاف (١٥) وسورة النمل (١٩).

(٤) سورة لقمان (١٢).

(٥) سورة لقمان (١٤).

ومردودُ الشكر راجع إلى الإنسان الشاكر نفسه ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ﴾(١) حيث تكرر هذا المعنى في عدد من السور الكريمة . أسأله سبحانه وتعالى أن يكرمنا بما خص به عباده الصالحين .

ـ الغرم بالغنم :

ذلك أن أهل مكة : خُصّوا من بين الخلائق بهذه المنزلة الرفيعة ، وهذه المكانة السامية ،... وأنهم يقابلون هذه الوفود ؛ المدعوةَ من قِبَل الله تعالى ، وبمناداة إبراهيم عليه السلام ، والممتثلة أمر رسولها المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

كما قال الله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَـٰفِعَ لَهُمْ ﴾(٢).

وذلك عندما بنى إبراهيم عليه السلام البيت ؛ أمره تعالى أن ينادي في الخلق : إن الله بنى لكم بيتاً ، وأمركم أن تحجوه ، فحُجُّوا . فكل من لبىٰ سيحج .

وقد أقام الله عز وجل سكان الحرم بهذا المقام الجليل ، فكما أنهم يغنمون ، ويسعدون بهذه المزايا العظام ؛ عليهم أن يؤدوا ما يقابل ذلك (ضريبة المنزل).

ـ هؤلاء القادمون هم وفد الله سبحانه وتعالى ، ومجيبو دعوته ، وممتثلو أمر رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأنتم أهلُ الله تعالى ، وسكان حرمه ، ونزلاء بيته ، ومجاورو مسجده ،... والقائمون على مائدته ؛... فكيف تستقبلونهم ؟ وليكن في حسبانكم أن : أهلَ الله يستقبلون وفدَ الله تعالى ومدعوّيه .

(١) سورة لقمان (١٢).

(٢) سورة الحج (٢٧) والراجح أن الخطاب لإبراهيم عليه السلام .

فبقدر إجلالكم وتقديركم ،... لمن خصكم وأكرمكم بهذه المنزلة الرفيعة : تستقبلون ضيوفَه ومدعُوِّيه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « وفدُ الله ثلاثةٌ ؛ الغازي ، والحاجُّ ، والمعتمرُ ». رواه النسائي ، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي(1).

وقد ورد في غير هذه الرواية بلفظ « الحجاج والعمار ،... ».

ـ أن يكون على قدر المسؤولية التي نيطت به ، حيث خصه الله عز وجل بهذا المكان الكريم ، الذي يتمنى ملايين المسلمين رؤيته ولو لحظات ، وبهذه المنزلة الرفيعة التي يتطلع إليها الكثيرون ، وبهذه المكانة السامية التي يغبطكم عليها الملايين ، فكيف تكون يا ساكن الحرم ؟؟؟

ـ أن يعمل ألا يكون أهلُ الجاهلية خيراً منه ،... حيث كانوا في غاية الأدب والاحترام والإعانة لمن يقدم هذا البيت . كانوا يعطون من لم يُحضر معه لباساً للإحرام : لباساً ليُحرم به ، ويُجيرون العدوَّ حتى ينتهي من نسكه ، ومن رأىٰ قاتلَ أبيه أو أخيه أو قريبه لا يتعرض له ، لقد كانوا يعينون الضعيفَ والمظلومَ ؛ حتى يأخذَ حقَّه وظلامته ، وكانوا يطعمون الحجيج ويسقونهم من لذيذ الطعام

---

(1) سنن النسائي : كتاب الحج : باب فضل الحج (٥ : ١١٣) والسنن الكبرى له كتاب الحج : باب فضل الحج (٢ : ٣٢١) وكتاب الجهاد : باب فضل روحة في سبيل الله (٣ : ١٢) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ١٣٠) والمستدرك (١ : ٤٤١) وصحيح ابن حبان (٩ : ٥) والسنن الكبرى للبيهقي (٥ : ٢٦٢) وحلية الأولياء (٨ : ٣٢٧).

وانظر مجمع الزوائد (٣ : ٢١١) وكنز العمال (٥ : ٨ - ٩) فقد ورد عن ابن عمر وأنس وجابر ،... رضي الله تعالى عنه برجال ثقات .

والشراب ، مع أن مكة لا ماء فيها ولا زرع ،...إلخ.

- **إكرام هؤلاء القادمين من بلاد بعيدة** ، وحسن التعامل معهم ، لأنهم ضيوف ، وقد أمرنا أن نكرمَ الضيفَ - كما سيأتي ذكرُ ذلك في الفقرة التالية - ألا ترىٰ كيف فعل الصحابي الأنصاري الجليل ؛ حين قال لزوجته رضي الله تعالى عنهما : أكرمي ضيف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم . والحديث متفق عليه[1] كما مر ، فكيف يكون إكرام ضيف الله تعالى ووفده ؟

- **حسن استقبال هؤلاء الضيوف** ، وحسن التعامل معهم ، لأن هذا من سمة الإيمان التي يجب أن يتصف بها كلُّ مسلم ، ونحن مطالبون بإكرام الضيف عموماً .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم ضيفه ،... ». متفق عليه[2].

وعن أبي شُريح الخزاعي رضي الله تعالى عنه قال : سمعت أذناي ، وأبصرت عيناي [ووعاه قلبي] حين تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فقال : « ...من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ؛ فليكرم ضيفه جائزته ». قالوا : وما جائزته يا رسول الله ؟ قال : « يومُه وليلتُه ، والضيافة ثلاثة أيام ، فما كان وراء ذلك فهو

---

(١) صحيح البخاري : كتاب مناقب الأنصار : باب : ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الأشربة : باب إكرام الضيف ، وفضل إيثاره ، رقم (١٧٢ – ١٧٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره »، وباب إكرام الضيف وخدمته بنفسه ، وفي غيرها . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الحث على إكرام الجار والضيف ،... رقم (٧٤ – ٧٦).

صدقة عليه ». متفق عليه[1].

وعلى قدر منزلة الضيف ـ أو الداعي ـ يكون الاهتمام والإكرام ، وهؤلاء : هم ضيوف الله عز وجل ، لأنه جل شأنه هو الذي دعاهم ، فاستجابوا لدعوته ، وسكان الحرم الذين يستقبلون الضيوف .

ـ العناية بهؤلاء القادمين ؛ في نفوسهم ، وأموالهم ، وأعراضهم ، فلا يرون منه ما يكرهون ، وأن يريهم ما تطمئن نفوسهم ، تحقيقاً لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ ﴾[2].

ـ أن يكون مُتحقِّقاً بما أوجبه الشرع عليه ، وذلك أن يحب لهم مثل ما يحب لنفسه ، وليتذكر ساكنُها أن لو حل في أي بلد من بلاد المسلمين ، وعلموا أنه من أهل الحرم ، فكيف يعامَل ؟؟؟

لذا وجب على الساكن ؛ أن يعامِل أخاه المسلم بمثل ما يُحب أن يُعامَل به ، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه ،... كما عليه أن يكون حَسَن الاستقبال لهم ، متواضعاً ، باشّاً في وجوههم ، مُؤْثِراً لهم ،... مقدِّماً حاجتهم على حاجته ، ولا يبخل بمودةٍ ، ولا بتحية ، ولا بسلام ، ولا بعطف ، ولا بابتسامة ،... لأن ذلك كله من مستلزمات الإيمان .

فعن أنس رضي الله تعالى عنه ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم أنه قال : « لا يؤمن أحدُكم حتى يحب لأخيه ما يحبُّ لنفسه ». متفق عليه[3].

---

(١) صحيح البخاري : في الكتب والأبواب السابقة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٧٧) وكتاب اللقطة : باب الضيافة ونحوها ، رقم (١٤ – ١٦).

(٢) سورة آل عمران (٩٧).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب من الإيمان أن يُحب لأخيه ما يُحب لنفسه . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه ، رقم (٧١).

ـ أن يكون رفيقاً بهم ، شفوقاً عليهم ، عطوفاً بهم ، رحيماً بهم ، محسناً إليهم ،...إلخ، لأنهم قَدِموا من أماكن بعيدة ، وأنفقوا كثيراً مما يملكون ، وتحمَّلوا من المشاق ما الله به عليم ،... حتى وصلوا إلى هذه البلاد المباركة ، يحدوهم الشوق والحب والأمل ،... ليروا هذه البلادَ الغاليةَ على نفوسهم ، ويتنعَّموا فيها لحظات ، ويسعدوا برؤية ما فيها من معالم ، ويؤدوا العبادةَ الغالية على نفوسهم باطمئنان وسعادة .

كما عليه أن يكون رحمةً عليهم ، لأن هذه هي صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم الكريم ، فهو رحمة للعالمين ، وبالمؤمنين رؤوف رحيم ، وقد حثنا صلى الله عليه وآله وسلَّم على التراحم بيننا ، وحذَّرنا من عدمها ، فالذي يَرحم يُرحم ، والذي لا يَرحم لا يُرحم ، ومن حُرم الرفق حُرم الخير كلَّه .

فعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله يحب الرفقَ في الأمر كله ». متفق عليه[1].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « مَن يُحرم الرفقَ يُحرم الخيرَ ». رواه مسلم[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ جواباً للأقرع بن حابس ـ : « من لا يَرحم لا يُرحم ». متفق عليه[3].

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب الرفق في الأمر كله ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب السلام : باب النهي عن ابتداء أهل الكلام بالسلام ،... رقم (١٠).

(٢) صحيح مسلم : كتاب البر : باب فضل الرفق ، رقم (٧٤ – ٧٦).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال ، رقم (٦٥).

وآله وسلَّم : « من لا يرحم الناسَ لا يرحمْه الله عز وجل ». متفق عليه[1].

وإذا علمنا أن الشقيَّ : هو الذي لا يعرف الرحمةَ ؛ لأنها نُزعت منه ، لذا فإنه لا يُرحم ، والعياذ بالله تعالى .

فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ـ وهو الصادق المصدوق ـ يقول : « إن الرحمةَ لا تُنزع إلا من الشقي ». رواه أحمد والطيالسي والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود ، وحسنه الترمذي (وفي بعضها : حسن صحيح) وابن أبي شيبة والبغوي ، وصححه ابن حبان والحاكم ، وأقره الذهبي ، والبيهقي ، في آخرين[2].

ـ إن العالم الإسلامي يعتقد في أهل الحرمين كل خير ؛ ولهم من التجلة والاحترام الشيء الكثير ، ويُكنّون لهم من المودة والتقدير والمحبة الشيء الكثير ، لأنهم أهل الحرم ، اختصهم الله تعالى بذلك ، فيا ساكن الحرم لا تُخيِّب ظنهم فيك ، وإذا صدر منهم شيء ؛ فاعذرهم ، ولا تَشقَّنَّ عليهم .

إضافة إلى أن تكون لهم قدوةً حسنة في كل شيء ؛ في العقيدة والعبادة ،

(١) صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تبارك وتعالى : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٦٦).

(٢) مسند أحمد (٢ : ٣٠١ ، ٤٤٢ ، ٤٦١ ، ٥٣٩) ومسند الطيالسي (٣٣٠ رقم ٢٥٢٩) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٢٧) والأدب المفرد (١٣٦ رقم ٣٧٦) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب ما جاء في الرحمة ، رقم (٤٩٤٢) وسنن الترمذي : كتاب البر : باب ما جاء في رحمة المسلمين ، رقم (١٩٢٣) وصحيح ابن حبان (٢ : ٢٠٩ ، ٢١٣) والمستدرك (٤ : ٢٤٨ – ٢٤٩) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ١٦١) وشعب الإيمان (٧ : ٤٧٦) والآداب (٥١ – ٥٢) وشرح السنة (١٣ : ٣٧ – ٣٨) ومسند أبي يعلى (١٠ : ٥٢٦) (١٢ : ٧) وتاريخ بغداد (٧ : ١٨٣) ومسند الشهاب (٢ : ٦) والترغيب والترهيب (٤ : ٢٥١ – ٢٥٢) وفيض القدير (٦ : ٤٢٢).

والمعاملة ، والأخلاق ، والأحوال ،...إلخ. فتعطي صورةً حسنةً عن أهل الحرم ، الذين خصهم الله تعالى بهذا الجوار .

ـ إن الله جلت قدرته قد أوجب على جميع المسلمين القادرين المجيءَ إليكم ، للحج والعمرة ، كما قال الله عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ ﴾(1).

وجعل ذلك من شعائر دينهم ، وجعله النبي المصطفى الكريمُ صلى الله عليه وآله وسلَّم أحدَ أركان الإسلام .

فعن ابن عُمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « بُني الإسلامُ على خمس : شهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان ». متفق عليه(2).

كما أن جميع المسلمين يرون محبةَ ساكن الحرم عليهم واجبة ، لذا كان لاعجُ الشوق يدعوهم للمجيء إليكم ، فكيف تستقبلونهم ؟؟؟.

ـ عدم التبرم والانزعاج والتضايق مما يصدر من هؤلاء القادمين لأنهم مسافرون ، تركوا الأهل والوطن ،... والسفرُ له منغصات ، لذا فليتَحَلَّ ساكنُ مكة بالصبر عما يلاقيه ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وامتثالاً لما يقع في جنب الله عز وجل ، وليتذكر أن أكثر من مائة آية في كتاب الله تعالى جاءت في الصبر .

---

(1) سورة آل عمران (٩٧).

(2) صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب قول النبي ﷺ : « بُني الإسلام على خمس ». وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب أركان الإسلام ودعائمه العظام ، رقم (١٩ – ٢٢).

ـ **أن يكون مُحبّاً لهم ، مسروراً بقدومهم** ، فرحاً بحضورهم ،... لأنهم استجابة دعوة إبراهيم عليه السلام ، كما قال تعالى على لسانه : ﴿ فَٱجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾[1] لذا فإن أعداداً كبيرة تفد إلى مكة على مدار العام ؛ للحج أو العمرة ،... أو غير ذلك ، إضافة إلى أنهم أخوة مؤمنون محبون لكم ، وكيف يستقبل المؤمن أخاه إذا حضر بعد طول غياب؟ ثم لما جُبلت عليه قلوبُهم من الحب والتقدير والمودة والإخاء ،... لكم يا أهل حرمين .

إضافة إلى أن هذه هي صفة أهل مكة قديماً .

ـ **تعظيم حرمة هذا الحرم أمام هؤلاء القادمين** ، سواء كان ذلك في المعتقد أو الفعل أو القول ،... لأن تعظيمه نابع من تعظيم مُحرِّمه ، ولهذا التعظيم مظاهر متعددة .

ـ **الحرص ألا يجرئ الناسَ على انتهاك حرمة هذا الحرم ، وعلى إهانته** ، وذلك بارتكاب المخالفات والمحظورات والمنكرات ، لأن ذلك يخفف من حرمة الحرم في نفوس الناس ، ويُذهب ما في نفوسهم له من التعظيم والتبجيل ، إذ طالما أن المهابةَ موجودةٌ في نفوس أهله له ؛ تكون موجودةً في نفوس الآخرين ، ولن يستحل هذا البيتَ إلا أهله .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « يبايَعُ لرجل ما بين الركن والمقام ، ولن يستحل البيتَ إلا أهله ، فإذا استحلوه فلا يُسأل عن هلكة العرب ، ثم تأتي الحبشةُ فيُخَرِّبونه ؛ خراباً لا يُعمر بعده أبداً ، وهم الذين يستخرجون كنزَه » . رواه أحمد والطيالسي وابن أبي شيبة وابن الجعد ،

---

(١) سورة إبراهيم (٣٧).

وصححه ابن حبان والحاكم وغيرهم ، وعزاه البوصيري لأبي يعلى ، ورجاله ثقات[1].

لذا فإني أعيذ ساكنَ مكة أن يكون أولَ من يستحل حرمةَ البيت

ـ **الحرص على ألا يكَرِّه الناسَ بهذا البيت** ، ويصدهم عنه ، بأي لون من ألوان الصد ، لأن ذلك ـ وإن كان في غاية الخطر على فاعله ، فهو ـ من صفات الكفار ، الذين يصدون عن سبيل الله تعالى ، ويمنعون الناس عن هذا البيت ، كما بينه الله جل شأنه بقوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2] فقد جعله الله تعالى قياماً ، للمقيم فيه والقادم إليه ، والله تعالى أعلم .

ـ الحرص على إظهار محبته لمكة ؛ وذلك بتعظيمها ، واحترامها وتنزيهها وتطهيرها ، والمحافظة على نظافتها ، خاصة المسجد الحرام ، لأنها والمدينة أفضل المدن ، وتحقيقاً لعهد الله جل شأنه لنَبِيَّيْه الكريمين إبراهيم وإسماعيل على نبينا وعليهما الصلاة والسلام .

قال الله عز وجل : ﴿ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[3].

---

(١) مسند أحمد (٢ : ٢٩١ ، ٣١٢ ، ٣٢٨ ، ٣٥١) ومسند الطيالسي ، رقم (٢٣٧٣) ومصنف ابن أبي شيبة (١٥ : ٥٢ – ٥٣) ومسند علي بن الجعد (٢ : ١٠٠٥) وصحيح ابن حبان (١٥ : ٢٣٩) والمستدرك (٤ : ٤٥٢ – ٤٥٣) ومجمع الزوائد (٣ : ٢٩٨) وإتحاف الخيرة المهرة (٤ : ٦) (١٠ : ٢٥٠) وانظر تعليقي على هذا الحديث في (مكانة الحرمين الشريفين).

(٢) سورة الحج (٢٥).

(٣) سورة البقرة (١٢٥).

وبذلك أمر الله تعالى خليلَه الكريم عليه السلام ، فقال عز وجل : ﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾[1].

فقد أمر الله تعالى وعهد إلى نَبِيَّيْه الكريمين عليهما السلام بتطهير هذا البيت للطائفين والعاكفين والمصلين ، فلا يليق بساكن مكة إلا أن يتبع الأثر ، ويعمل على تحقيق هذا المطلب ، والله تعالى أعلم .

ـ **الحرص على أن يكون قدوةً حسنةً لغيره من المسلمين** ، سواء في العقيدة ، أو العبادة ، أو الخلق ، أو الدين ، أو المعاملة ،... لأن أهلَ الحرمين هم أولىٰ الناس بذلك ، لما اختصهم الله سبحانه وتعالى به المكرمات والميزات والخصائص ، ولما جعل الله جل شأنه تبعية الناس لهم ، فصاروا مرجعاً عند الكثيرين ، والنفوس تميل إلى ذلك ، وكم من عمل فعله أهلُ مكة فتبعهم الناس عليه ، وقد يكون عن غير أصل ، إنما هو الاجتهاد ، والله تعالى أعلم .

وقد ذكرتُ نماذج لتلك الأعمال ، في خاتمة الفصل الأول ، تحت عنوان (منزلة أهل مكة عند المسلمين).

ـ كالدعاء بعد ختم القرآن الكريم ، في نهاية صلاة التراويح ، في رمضان ورفع اليد فيه .

ـ وزيادةُ ركعات التراويح على عشرين ركعة ، فعله أهلُ المدينة ، ليعَوِّضوا ما فاتهم من طواف أهل مكة بعد كل ترويحة .

ـ والإطالةُ في دعاء الوتر في رمضان في زماننا ، وقد تبعهم بعض الناس .

ـ والقبض بعد القيام من الركوع ، والله تعالى أعلم .

---

(١) سورة الحج (٢٦).

ومثل ذلك كثير ، لذا فليحرص ساكن مكة أن يكون قدوةً صالحةً يُؤخذ عنه الحق ، الموافق للثابت في الشرع ، والله تعالى أعلم .

كما عليه أن يعطي صورةً صادقةً على مجاور الحرم ، وأهل الله عز شأنه الذين خصهم الله جل وعز بهذه المنزلة الرفيعة ، وأن يكون فعلاً كذلك ، فلا باطن يخالف الظاهر ، ولا ظاهر يُخالف الباطن ،... لأن ذلك هو سمة أهل مكة ، إذ لا يُعرف فيهم منافق بعد إسلامهم ، ولله الحمد والمنة .

ـ **الحرص على أن يكون داعيةً بفعله وعمله وخُلقه وحاله** قبل قوله ، لأن كل شيء عنده في مكة يحثه على اقتفاء أثر النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وصحابته الكرام رضي الله عنهم ، وهو من المفروض أن يكون أعلمَ الناس بذلك .

ـ **أن يكون ناصحاً أميناً ،... لهؤلاء القادمين ، يعلمهم ما خفي عليهم** من أحكام الحج والعمرة ، ويَحثهم على العبادة والطاعة ، وعلى عدم الانشغال بما لا يعني ، وإذا قادهم أو ذهب معهم لأداء نسك أداه على الوجه المطلوب ، بلا تنقيص ، ولا شطط ، ولا مخالفات ، لأن الحجاج ـ خاصة الذين لا يعرفون العربية ـ هم في ذمة من يقتدون به ، لذا فليتق الله تعالى فيهم .

وأذكر قصةً طريفةً ، تعطينا صورةً عن ذلك ، وهي وإن كانت مؤلمةً ، لكنها تعطينا مدىٰ طاعة وامتثال واستسلام الحجاج لأهل مكة .

حدثني معالي الأخ الدكتور محمد عبده يَماني ـ ونحن في عرفات عام (١٤٠٩ هـ) ـ أنه كان هو والأخ صالح كامل ـ وهما شابان ـ يُدَعِّيان بعضَ الحجاج ـ وأظنهم من ـ الأفارقة في السعي [وهم عند الأخ الشيخ عبد الله كامل ، وكان مطوِّفاً]

فانقطع شسعُ نعل الأخ صالح ، فلما مر بدُكان حلاق كانوا يَحلقون عنده ، خلع نعلَه ، وألقاه إلى الحلاق ، قائلاً : يا عم فلان (وسمّاه لنا) أبقه عندك حتى أنتهي ، فما كان من الحجاج إلا أن خلعوا نعالهم ، ورجموا بها الحلاق ، ظنّاً منهم أن ذلك من النسك .

فهذه القصة وإن كانت تدل على مدىٰ جهل المسلمين بمناسكهم إلا أنها تعطينا صورة أخرى ، وهي عظم المسؤولية على أعناق سكان مكة المكرمة ، خاصة الذين يباشرون خدمةَ هؤلاء الحجيج ، ويقومون بمعاونتهم على أداء أنساكهم ، ولأن ذلك واجب النصيحة .

فعن أبي تَميم الداري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « الدين النصيحة ». قلنا : لمن ؟ قال : « لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامَّتهم ». رواه مسلم[1].

ـ أن يكون عفيفاً ، غيوراً على الحرمات ، غاضّاً الطرف ، صارفاً البصر ، محافظاً على المحرَّمات ، راعياً للذمام ، معتنياً بالغريب ،... حريصاً على ألا يكون أهلُ الجاهلية خيراً منه ، في غيرتهم ، وعفتهم ، وحفاظهم على الذمام ،... ذلك أن إحرام النساء في وجوههن ، كما أن إحرام الرجال قابل للانكشاف ، ولأن غض البصر من حق الطريق ، شأنه في ذلك شأن كف الأذىٰ عن المسلمين ، والله تعالى أعلم .

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إياكم والجلوس في الطرقات ،... ـ الحديث بطوله ، وفيه ـ فإذا

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان أن الدِّينَ النصيحة ، رقم (٩٥ ، ٩٦).

أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريقَ حقَّه ». قالوا : وما حقُّه ؟ قال : « غضُّ البصر ، وكفُّ الأذىٰ ، وردُّ السلام ، والأمرُ بالمعروف ، والنهيُ عن المنكر ». متفق عليه[1].

وقد ورد عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله عنهم .

وقد جمع الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى حقوق الطريق ، فبلغت (١٤) أربعة عشر حقّاً ، نظمها في أربعة أبيات هي[2] :

جَمَعتُ آدابَ مَنْ رامَ الجُلوسَ على الطَّ ريقِ مِن قَوْلِ خَيْرِ الخَلْقِ إِنْساناً
أَفْشِ السَّلامَ ، وَأَحْسِن في الكَلام وَشَمِّتْ عاطِساً وسَلاماً رُدَّ إِحْساناً
في الحَمْلِ عاوِن ومَظْلوماً أَعِنْ وأَغِثْ لَهْفانَ اهْدِ السبيلَ وَاهْدِ حَيْرانا
بِالعُرفِ مُرْ وَانْهَ عَنْ نُكرٍ وَكُفَّ أَذىٰ وَغُضَّ طَرْفاً وَأَكْثِرْ ذِكْرَ مَوْلانا

ـ الحرص على عدم التعرض لعقوبة الله جل وعز ؛ بسبب ظُلم الحجاج ، أو بهتهم ، أو الغدر بهم ، أو أكل أموالهم ،...إلخ، لأن هذا يتنافى مع الإيمان والأخوة والمحبة ، وعقوبة الظلم وخيمة ، لأنه ظلمات يوم القيامة ، ولأن دعوة المظلوم لا تُرد ، وليس بينها وبين الله حجاب .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « اتقوا الظلم ، فإن الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة ،... ». رواه مسلم[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المظالم : باب أفنية الدور ، والجلوس فيها ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب اللباس : باب النهي عن الجلوس في الطرقات ، رقم (١١٤) وكتاب السلام : باب من حق الجلوس على الطريق رد السلام ، رقم (٣).

(٢) فتح الباري (١١ : ١١) وذكر أدلةَ كل واحد من هذه الحقوق الأربعة عشر .

(٣) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم الظلم ، رقم (٥٦).

ورواه الشيخان[1] من حديث عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما .

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم لما بعث معاذاً إلى اليمن ، قال : « ...واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب ». متفق عليه[2].

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ثلاثةٌ لا تُردُّ دعوتُهم : الإمامُ العادلُ ، والصائمُ حتى يُفطر ، ودعوةُ المظلوم ، يرفعها الله فوقَ الغمام ، ويفتح لها أبوابَ السماء ، ويقول الربُّ عز وجل : وعزتي ، لأنصرنك ولو بعد حين ». رواه أحمد وابن المبارك والطيالسي والترمذي وحسنه ، وابن ماجه وعبد بن حُميد وابن خزيمة وابن حبان والطبراني والبيهقي وللحديث شواهد متعددة ، وحسنه الحافظ ، كما قال ابن علان في شرح الأذكار[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب المظالم : باب الظلم ظلمات يوم القيامة . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٧).

(٢) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب أخذ الصدقة من الأغنياء ، وترد في الفقراء حيث كانوا ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، رقم (٢٩ – ٣١).

(٣) مسند أحمد (٢ : ٣٠٤ – ٣٠٥ ، ٤٤٥) ومسند الطيالسي (٣٣٧ رقم ٢٥٨٤) وسنن الترمذي : كتاب صفة الجنة : باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها ، وكتاب الدعوات : باب في العفو والعافية ، رقم (٢٥٢٦ ، ٣٥٩٨) وسنن ابن ماجه : كتاب الصيام : باب في الصائم لا ترد دعوته ، رقم (١٧٥٢) ومسند عبد بن حُميد (٤١٥ – ٤١٦) والزهد لابن المبارك (٣٨٠ – ٣٨١) وصحيح ابن خزيمة (٣ : ١٩٩) وصحيح ابن حبان (٣ : ١٥٨ مختصرا على الأخير) (٨ : ٢١٤ – ٢١٥) والدعاء للطبراني (٣ : ١٤١٤) وشرح السنة (٥ : ١٩٦ – ١٩٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٣ : ٣٤٥ – ٣٤٦) (٨ : ١٦٢) (١٠ : ٨٨) وشعب الإيمان (٥ : ٤٠٩ – ٤١٠) والأذكار (٢٦٥ رقم ٤٨١).

والظَّلَمَةُ هم أول من يُخسف بهم . وإن الله تعالى يُعجِّل العقوبةَ للظالم ، وإذا أخذه فلن يفلت .

وإذا كان الظُّلمُ مُحَرَّماً في أي مكان كان ، فهو في الحرم أشد . لأن عقوبته وخيمة ، وهدَّد الله تعالى من أراده ، والعياذ بالله تعالى .

فقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[1] .

ـ الحرص على السماحة في البيع والشراء ، وحسن التقاضي ، والأخذِ ، والعطاءِ ، وعلى عدم رفع السلع ، واستغلال جهل الحجاج بالأسعار ، واحتكار الأرزاق ، وغيرها ، لأن احتكار الطعام في مكة إلحاد فيه ، كما مر ، والله تعالى أعلم .

عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع ، وإذا اشترىٰ ، وإذا اقتضىٰ ». رواه البخاري[2].

ففي الحديث : حثٌّ على السماحة في المعاملة ، في البيع والشراء ، واستعمال معالي الأخلاق ، وترك المشاحة ، والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة ، وأخذ العفو عنهم ،...إلخ.

ـ حسن المعاملة مع الحجاج ، فلا يمنعهم من الطواف ، أو الصلاة في أي وقت في الحرم ، لأن ذلك جائز ومشروع ، كما نبه عليه النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

فعن جُبير بن مطعِم رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة الحج (٢٥).

(٢) صحيح البخاري : كتاب البيوع : باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع .

وسلَّم قال : « يا بني عبد مناف ، من وَلِي منكم مِن أَمر الناس شيئاً ، فلا يمنعن أحداً طاف بهذا البيت ، وصلَّى ؛ في أي ساعة شاء من ليل أو نهار ». رواه الشافعي وعبد الرزاق وأحمد والحميدي والدارمي والأربعة والطحاوي والدارقطني ، وصححه الترمذي وابنا خزيمة وحبان والحاكم[1].

وورد نحوه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما .

ـ الحرص من الساكن على اتقاء دعوة الحجاج عليه ، والعمل على الدعاء له ، لأن دعاءَ الحاج ، واستغفارَه مستجابٌ ، لذا لا يكن الساكنُ سبباً في دعائهم عليه ، بأن يزعجهم ، أو يأكل أموالهم ،... أو ينال منهم ، أو يسيء إليهم ، أو يقصِّر في مناسكهم ،... أو يفعل ما يدفعهم على الدعاء عليه .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج ». رواه البزار وابن خزيمة ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، والطبراني والبيهقي ، وحسنه الحافظ[2].

(١) الأم (١ : ١٣١) واختلاف الحديث (١١٧) والمسند (١٦٧) ومختصر المزني (١ : ١٠٠ولم يذكر السند) ومسند أحمد (٤ : ٨٠ – ٨٤) ومصنف عبد الرزاق (٥ : ٦١ – ٦٢) ومسند الحميدي (١ : ٢٥٥) وسنن الدارمي (١ : ٣٩٦) وسنن أبي داود : كتاب المناسك : باب الطواف بعد العصر ، رقم (١٨٩٤) وسنن الترمذي : كتاب الحج : باب ما جاء في الصلاة بعد العصر وبعد الصبح لمن يطوف ، رقم (٨٦٨) وسنن النسائي : كتاب المواقيت : باب إباحة الصلاة في الساعات كلها بمكة ، وكتاب المناسك : باب إباحة الطواف في كل الأوقات (١ : ٢٨٤) (٥ : ٢٢٣) والسنن الكبرى له (١ : ٤٨٧) (٢ : ٤٠٧) وسنن ابن ماجه : كتاب إقامة الصلاة : باب ما جاء في الرخصة في الصلاة بمكة في كل وقت ، رقم (١٢٥٤) وشرح معاني الآثار (٢ : ١٨٦) وسنن الدارقطني (١ : ٤٢٣ – ٤٢٥ من طرق) والمعجم الكبير (٢ : ١٤٠ ، ١٤٩ – ١٥٠) ومسند أبي يعلى (١٣ : ٣٩٠ ، ٤١٢) وصحيح ابن خزيمة (٢ : ٢٦٣) والمستدرك (١ : ٤٤٨) وصحيح ابن حبان (٤ : ٤٢٠ ، ٤٢١) وشرح السنة (٣ : ٣٣١) والسنن الكبرى للبيهقي (٢ : ٤٦١) (٥ : ٩٢) وغيرها .

(٢) مختصر زوائد مسند البزار (١ : ٤٣٩) وكشف الأستار (٢ : ٤٠) وصحيح ابن خزيمة (٤ : ١٣٢) =

ـ ويلزم ساكن مكة أن يكون حسنَ الخُلق مع هؤلاء القادمين ، فلا يرفع صوته ، ولا يتضجر ، ولا يسب ، ولا يلعن ،... بل يكون باشّاً ضاحكاً مستبشراً ،... لأن ذلك من صفات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وهي من صفات المؤمن الحق .

فعن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فاحشاً ، ولا مُتَفَحِّشاً . وكان يقول : « إن من خياركم أحاسنكم أخلاقاً ». متفق عليه[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم فاحشاً ، ولا لعّاناً ، ولا سبّاباً ،... الحديث رواه البخاري[2].

لأن هذه الصفات السيئة البغيضة ليست من صفات المؤمن الحق ، ولأن صاحبَها فاسقٌ ، إلا أن يتوب .

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « سبابُ المسلم فسوقٌ ، وقتالُه كفرٌ ». متفق عليه[3].

ـ وأشد من ذلك تبديعه وتفسيقه ، ولعنه وتكفيره ؛ فكل ذلك حرام ، وإن

= والمستدرك (١ : ٤٤١) والمعجم الصغير (٢ : ٢٣٦) والسنن الكبرى (٥ : ٢٦١) وشعب الإيمان (٣ : ٤٧٧) وتاريخ بغداد (١٣ : ٢٦٩) ومجمع الزوائد (٣ : ٢١١) والترغيب والترهيب (٣ : ٩).

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب حسن الخلق والسخاء ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الفضائل : باب كثرة حيائه ﷺ ، رقم (٦٨).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

(٣) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب قول النبي ﷺ : « سباب المسلم فسوق ، وقتاله كفر »، رقم (١١٦ ، ١١٧).

كان التكفير واللعن أشد ، وأن ذلك يعود على قائله ، لذا فليحذر المسلم من التسرع في اتهام الآخرين بالتبديع والتفسيق واللعن والتكفير ، لمجرد اختلافٍ في وجهةِ نظرٍ ، أو في حكمٍ فقهيٍّ ، أو لجهلٍ في معرفة الحكم ، أو لضيقٍ في الأفقِ ،... أو لعدم التفريق بين الحكم العقديِّ والحكمِ الفقهيِّ ،...إلخ. وكلُّ ذلك ليس بالأمر السهل ، فمن كفَّر مسلماً وهو لا يستحق التكفير ، رجع التكفير على قائله ، والعياذ بالله تعالى ، ومثلُه التفسيق والتبديع واللعن .

لذا فليحذر المسلم من تلك التسرعات والتشنجات ، فإنما المرء من وراء لسانه ، وليتق الله تعالى في المسلمين ، والحرم الذي هو فيه .

فعن عبد الله بن عُمر رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « أيما رجل قال لأخيه : يا كافر ؛ فقد باء بها أحدُهما ». متفق عليه[1].

زاد عند مسلم : « إن كان كما قال ، وإلا رجعت عليه ».

ورواه البخاري[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله تعالى عنه ، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلَّم يقول : « لا يرمي رجلٌ رجلاً بالفسوق ، ولا يرميه بالكفر ؛ إلا ارتدت عليه ، إن لم يكن صاحبه كذلك ». رواه البخاري ورواه مسلم بمعناه[3].

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان حال من قال لأخيه المسلم : يا كافر ، رقم (١١١).

(٢) صحيح البخاري : في الكتاب والباب السابقين .

(٣) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب ما ينهىٰ عن السباب واللعن . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم ، رقم (١١٢).

وعن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...ولعن المؤمن كقتله ،... ». متفق عليه[1].

والنصوص في هذا الباب كثيرة .

وإذا علمنا أن أصعبَ شيء على المرء أن يُنال : معتقدُه ، وأنَّ مثلَ ذلك قد يُحدث فتنةً ، والمسلمون في غنىً عنها ، خاصة في هذا الزمان ، وأنه يكفيهم ما هم فيه من الانشقاق والاختلاف ،... عرفنا خطورة الإقدام على مثل هذه التصرفات غير المسؤولة .

كنت في الحرم المكي في (١٩رمضان عام ١٣٨٦ ﻫ بعد العصر) فرأيت معتمراً يسأل آخر : أين باب بني شيبة[2]؟ فأخذ بيده ، فظننتُ أنه سيدله عليه ، ثم قال : من أين أنت ؟ فقال المحرم : من البلد الفلاني (وسمّاه) فقال : أنتم تعبدون النبي فلاناً ، وتعبدون كذا وكذا ؟ فقال المحرمُ : يا هذا أنا سألتك عن باب بني شيبة ، فإن كنتَ تعرفه أخبرني ، وإلا فدعني فأنا الآن مُحْرِم . فما كان من الآخر إلا أن قال : هو ذا ، اذهب أخزاك الله . فوقفتُ متعجباً للموقفين ، وأن هذا المتكلِّمَ قد قطع الحبال ، وقال قولاً فظيعاً ، وهو لا يدري ، والله تعالى المستعان .

- **وعلى ساكن مكة أن يكون واسع الصدر عند رؤيته ما يخالفه خاصة في الأمور الفقهية** ، ولا يتسرع بالإنكار بمجرد رؤيته ما يخالف وجهة نظره ، إذ قد

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب من كفَّر أخاه بغير تأويل فهو كما قال ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الإيمان : باب غلظ تحريم قتل المسلم نفسه ، رقم (١٧٦).

(٢) وقد كان موجوداً في ذلك الوقت ، ثم أزيل بعد ذلك بسنوات .

يكون المنكِر مخطئاً في إنكاره ، والحقُّ مع القادم ، وقد يكون العكس .

وإذا علمنا أن تنازل المرء عن آرائه التي نشأ وترعرع عليها : ليس بالأمر السهل ، وأن ذلك يحتاج إلى إدراك عميق ، وإخلاص قوي ، وأن نقدَ الآراء واستهجانها يورث فتناً خطيرة ، والمسلمون في غنىٰ عنها ، لذا فعلى العاقل أن يحسن التصرفَ عند بيان الحكم ، وأن يكون ذلك من غير تشنج ولا تشهير ولا طعن أو غمز .

إذ من المعلوم : أن أهل السنة في العالم الإسلامي : تعتورهم أربعةُ مذاهب ، وليس الحق منحصراً في واحد ، فضلاً عن غيرهم ، كما يوجد غيرهم ، ولا شك أن الخلافات الفقهية موجودةٌ بين هذه المذاهب [وهي : الشافعية والحنفية ـ وهما أكثر المسلمين في العالم ـ والمالكية ـ ويأتون بعدهم ـ ثم الحنابلة] كما أن عامة المسلمين ليسوا فقهاء ، بل إن كثيراً من أهل العلم غيرُ مُلمّين بهذه الخلافات ، وأن كثيراً من المسلمين مقلدون لأحد هذه المذاهب المعتبرة ، وهم يتعبدون على حسب ما سمعوا من علمائهم في بلادهم ، لذا فليس من السهل زحزحتهم عن ذلك ، إنما يقع التشكيك وإثارة الفتن ، والمسلمون في غنىٰ عنها .

كما أن كثيراً من المسلمين اليوم لا يعلمون الضروريات فضلاً عن دقائق الأحكام ، وقد سمعت من الحجاج أسئلةً ، والله لولا أنّي أنا المسؤول لصعب عليَّ التصديق بمثل تلك الأسئلة لو نُقلت إِلَيَّ ، والمشتكىٰ إلى الله تعالى .

لقد اختلف الصحابة رضي الله عنهم في كثيرٍ من المسائل الفرعية ، ورجع بعضُهم إلى قول بعض ، ومع هذا فلم يُفسد الخلافُ بينهم الودَّ الموجودَ بينهم ، لذا فقد يكون لمن تنكر عليه : العذرُ ، وأنت تلوم .

ـ **والقادمون إلى هذه البلدة المباركة أقسام** ؛ منهم العلماء ، ومنهم الكبار ، والصغار ، والنساء ، والشيوخ ،... والضعفاء والمساكين ، والفقراء ، ومنهم المرضىٰ ،... فكيف تتعامل يا ساكن الحرم مع هؤلاء جميعاً ؟؟؟

ـ **احترام شعور العلماء ، وتوقيرهم ، وتقديرهم ، وتبجيلهم** ، وقضاء حوائجهم ، ومساعدتهم ، لأنه واجب شرعاً . وما جعل الله تعالى العلمَ في صدورهم إلا ليكونوا مناراً للحق ، يهدون الناس بإذن الله إلى الحق ، ويعلمونهم أحكام الله تعالى ، وسنة رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم .

وقد رفع الله جل شأنه مكانتهم ، وأعلى شأنهم ، فجعلهم الله تعالى بعد الملائكة في الشهادة على وحدانيته ، كما بيَّن النبيُّ المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم منزلتَهم ، وجعل فضلَ العالِمِ على الناس كفضله صلى الله عليه وآله وسلَّم على أدنى الناس ،... وأن العلماءَ ورثةُ الأنبياء ، وأن الملائكةَ لتضع أجنحتَها لطالب العلم رضى بما يصنع ،...إلخ.

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[1]، والنصوص القرآنية كثيرة .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « ليس من أمتي مَن لم يُجِلَّ كبيرنا ، ويرحم صغيرَنا ، ويعرف لعالِمِنا حقه ». رواه أحمد والطحاوي والطبراني ، وصححه الحاكم وعبد الحق ، وحسنه الهيثمي[2].

---

(١) سورة المجادلة (١١).

(٢) مسند أحمد (٥ : ٣٢٣) ومشكل الآثار (٣ : ٣٦٥ رقم ١٣٢٨) والمستدرك (١ : ١٢٢) ومجمع الزوائد (١ : ١٢٧) (٨ : ١٤) وإتحاف المهرة (٦ : ٤٣١) وكنز العمال (٣ : ١٧٩).

فإذا كانت هذه هي منزلة العالم عند الله تعالى وعند نبيِّه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ؛ فكيف تكون عند المسلمين؟؟؟ لذا يلزمنا أن نجله ونحترمه ونقدِّره ،... والله تعالى أعلم .

هذا وقد حاول أعداءُ الإسلام ـ جاهدين ـ تشويهَ سمعة العلماء عند المسلمين ، وإيقاع الفرقة بين المسلمين وبين علمائهم ، بل بين العلماء أنفسهم ، كما أوقعوا بين المسلمين أيضاً ،... فلا تكن عوناً لأعداء الله تعالى وأعداء دينه ، وتقع في حبائلهم ، وتكره علماءَك الذين أحوج ما تكون إليهم في معرفة دينك وشرعك ، والله الهادي إلى سواء السبيل .

ـ إجلال ذي الشيبة المسلم ، وتوقيره ، واحترامه ، والشفقة عليه ، لأن هذا واجب شرعاً ، لما لذي الشيبة المسلم من منزلة عند الله تعالى وعند رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولأن الدنيا دول ، فإذا كنتَ اليوم شابّاً فغداً أنت شيخ وهرم ، ويأتيك ذلك ـ إن مدَّ الله تعالى في عمرك ـ من غير ثمن ، ومثلما تدين تدان ، والله المستعان .

فعن عبد الله بن عَمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ليس منا من لم يَعرف حقَّ كبيرنا ، ويرحم صغيرَنا ،... » . رواه ابن أبي شيبة وأحمد والحميدي والبخاري ـ في الأدب المفرد ـ وأبو داود ، وصححه الترمذي والحاكم والنووي وأقره الذهبي ، وحسنه العراقي[1] .

---

(١) مسند أحمد (٢ : ١٨٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٢) ومسند الحميدي ، رقم (٥٨٦) ومصنف ابن أبي شيبة (٨ : ٥٢٧) والأدب المفرد ، رقم (٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠) وسنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في الرحمة ، رقم (٤٩٤٣) وسنن الترمذي : كتاب البر والصلة : باب ما جاء في رحمة الصغار ، رقم (١٩٢٠) والمستدرك =

وقد ورد هذا المعنى عن عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم .

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن من إجلال الله تعالى ؛ إكرامَ ذي الشيبة المسلم ،... ». رواه أبو داود ، وحسنه النووي والذهبي والعراقي وابن حجر والسيوطي[1].

وورد نحوه كثيراً .

- احترامُ الضعفاء ، والمنكسرين الذين لا يُؤبه بهم ، والإحسانُ إليهم ، وإقالةُ عثراتهم ، ومساعدتهم ،... لأنك لا تدري ما حالهم عند الله تعالى ، فقد يكونوا من كبار الأولياء والصالحين ، أو ممن لهم مكانة ومنزلة عند الله عز وجل ، أو مِن مستجابي الدعوة ؛ الذين لو أقسموا على الله تعالى لأَبَرَّهم ، ولو حرَّك أحدُهم شفتيه استجاب الله تعالى دعوتَه ، وتغيرت الأحوالُ والمعالم .

كما على الإنسان ألا يغتر بشبابه وقوته وصحته ، فقد تأتيه أيام وساعات كوالح ، يحتاج فيها إلى مساعدة ويرجوها ، والله المستعان .

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « إن الله قال : مَن عادىٰ لي وليّاً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيءٍ أحب إليَّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يبصر به ، ويدَه التي يبطش

= (١ : ٦٢) والآداب ، رقم (٤٩ ، ٥٠) وشعب الإيمان (٧ : ٤٥٧ - ٤٥٨) ورياض الصالحين (١٧٣ رقم ٣٥٣) والمغني عن حمل الأسفار (١ : ٤٩١).

(١) سنن أبي داود : كتاب الأدب : باب في تنزيل الناس منازلهم ، رقم (٤٨٤٣) وشرح السنة (١٣ : ٤٢) وميزان الاعتدال (٤ : ٥٦٥) والمغني عن حمل الأسفار (١ : ٤٩١) ورياض الصالحين (١٧٣ رقم ٣٥٢) والجامع الصغير (١ : ٣٧٧ رقم ٢٤٦٩) وفيض القدير (٢ : ٥٢٩).

بها ، ورجلَه التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينَّه ، ولئن استعاذني لأُعيذنه ،... ». الحديث رواه البخاري[1].

وعنه رضي الله تعالى عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبر مدفوعٍ بالأبواب ؛ لو أقسم على الله لأبره ». رواه مسلم[2].

زاد غيره [ذي طمرين ، تنبو عنه أعين الناس].

وقد يكون هؤلاء الضعفاء الذين لا يؤبه بهم : مِمن له منزلة عالية عند الله تعالى ، وأنهم محلُّ نظره جل جلاله ، وموضعُ الاستجابة من دعائهم بالنصر والرحمة والرزق ،... إضافة إلى أنهم عامة أهل الجنة .

فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم ». رواه البخاري[3].

وقد ورد هذا المعنى عن عدد من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم .

ـ العناية بالفقراء والمعوزين والمساكين ،... لأن هؤلاء أحوج إلى المساعدة والعناية ، لما يشعرون به من ضعف وعوز ، وانكسار خاطر ، ولما لهم من منزلة عند الله عز وجل ، حيث إنهم أولُ من يدخل الجنة ، وهم أكثر أهلها ،...إلخ.

فعن عمران بن حصين رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « اطلعتُ في الجنة فرأيت أكثرَ أهلها الفقراء ،... ». رواه البخاري[4].

(١) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب التواضع .

(٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة والآداب : باب فضل الضعفاء والخاملين ، رقم (١٣٨) وكتاب الجنة : باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، رقم (٤٨).

(٣) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب من استعان بالضغفاء والمساكين في الحرب ، وفي غيرهما .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الرقاق : باب فضل الفقر ، وفي غيرهما .

ورواه مسلم[1] ابن عباس رضي الله عنهما .

ورواه الشيخان[2] عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما بنحوه .

وكيف لا ، وهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بـ (٥٠٠) عام ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، الذي رواه أحمد وابن أبي شيبة ، والنسائي وابن ماجه ، وصححه الترمذي وابن حبان[3].

- **العناية بالملهوف ، وذي الحاجة** ،... فهما من أحوج الناس إلى العون والمساعدة ، وردُّ لهفة الملهوف تردُّ إليه نفسَه ،... وقضاءُ حاجة المحتاج من أهم الأعمال الخيرية التي ينال بها الأجر والمثوبة ، إضافة إلى أن ذلك يغني عن الصدقة عند فقدها .

فعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « على كل مسلم صدقة » قالوا : يا نبي الله ؛ فإن لم يجد؟ قال : « ...يعين ذا الحاجة الملهوف ،... ». الحديث ، متفق عليه[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « كلُ سُلامى من الناس عليه صدقة ؛ كلَّ يوم تطلع فيه الشمسُ ؛ تعدل بين

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ،... رقم (٩٤).

(٢) صحيح البخاري : كتاب النكاح : باب (٨٧) حدثنا مسدد . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٩٣).

(٣) مسند أحمد (٢ : ٢٩٦ ، ٣٤٣ ، ٤٥١ ، ٥١٣ ، ٥١٩) ومصنف ابن أبي شيبة (١٣ : ٤٦) وسنن الترمذي : كتاب الزهد : باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم ، رقم (٢٣٥٣ ، ٢٣٥٤) والسنن الكبرى للنسائي (٦ : ٤١٢) وسنن ابن ماجه : كتاب الزهد : باب منزلة الفقراء ، رقم (٤١٢٢) وصحيح ابن حبان (٢ : ٤٥١) وغيرهم .

(٤) صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب على كل مسلم صدقة ، فمن لم يجد فليعمل بالمعروف ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، رقم (٥٥).

الإثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها ، أو ترفع له عليها متاعه صدقة ،... ». الحديث ، متفق عليه[1].

ـ **العطف على الصغار ، ورحمتهم ، وممازحتهم** ، والملاطفة بهم ، لأن ذلك واجب شرعاً ، وهو ما كان يفعله النبي المصطفى الرحيم صلوات الله عليه وآله وسلَّم مع الصغار ، من حملهم ، وممازحتهم ،... والسلام عليهم ، ومداعبتهم ، والإحسان إليهم ، والعطف عليهم ، والصبر على ما يصدر منهم ،...إلخ.

وقد مر قولُه صلى الله عليه وآله وسلَّم قبل قليل : « ...ويرحم صغيرنا » وهو وارد عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم .

وقد توسعت ـ في غير هذا الكتاب من كتبي ـ في بيان معاملة النبي المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم مع الصغار ، سواء مَن كان مِن ذويه ، أو من غيرهم .

ـ **العناية بمريضهم ، وإسعافه ، وتطبيبه ، ومعالجته** ،... لأن عائدَ المريض له فضل كبير ، فكيف بمن يُمَرِّضه ، ويساعده ويعتني به ؟ علماً بأن ذلك من واجبات المسلم ، ومن الرحمة الموجودة في قلبه .

فعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من عاد مريضاً لَم يزل في خُرْفة الجنة حتى يرجع ». رواه مسلم[2].

زاد في الرواية الثانية ، قيل : يا رسول الله ، وما خُرْفة الجنة؟ قال : « جناها ».

---

(١) صحيح البخاري : كتاب الجهاد : باب من أخذ بالركاب ونحوه ، وفي غيرهما . وصحيح مسلم : في الكتاب والباب السابقين ، رقم (٥٦).

(٢) صحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب فضل عيادة المريض ، رقم (٣٩ - ٤٠).

ـ العمل على مساعدة الأعمى ، والضائع ، وكذا كل من كان محتاجاً لمعرفة الطريق ، ولا يجوز بحال أن يضلهم عن الطريق ، أو يعمِّيه عليهم ، لأن من أضل محتاجاً ـ كالأعمى ـ عن السبيل فهو ملعون .

فعن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « لُعن من كمه أعمى عن السبيل » . رواه أحمد والبخاري ـ في الأدب المفرد ـ وعبد بن حُميد وأبو يعلى والطبراني ، وصححه ابن حبان والحاكم[1] .

ـ العمل على تفريج كربة المكروب ، وقضاء حوائجهم ، وإزالة همومهم ،... لما في ذلك من الفوائد الكبيرة ، حيث إن الله تعالى يفرِّج كربتَه يوم القيامة ، ويقضي له حوائجَه في الدنيا والآخرة .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « المسلم أخو المسلم ؛ لا يَظلمه ، ولا يُسلِمه ، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرَّج عن مسلم كربةً ؛ فرَّج الله عنه بها كربةً من كُرَب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة » . متفق عليه[2] .

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « من نفَّس عن مؤمن كربةً من كُرب الدنيا ؛ نفَّس الله عنه كربةً من كُرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على معسر ؛ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن

---

(١) مسند أحمد (١ : ٢١٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٧) ومسند عبد بن حُميد (٢٠٣ رقم ٥٨٩) والأدب المفرد (٢٩٨ رقم ٨٩٥) ومسند أبي يعلى (٤ : ٤١٤ - ٤١٥) والمعجم الكبير (١١ : ٢١٨) وصحيح ابن حبان (١٠ : ٢٦٥) والمستدرك (٤ : ٣٥٦) والسنن الكبرى (٨ : ٢٣١) ومجمع الزوائد (١ : ١٠٣).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المظالم : باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه . وصحيح مسلم : كتاب البر والصلة : باب تحريم الظلم ، رقم (٥٨).

ستر مسلماً ؛ ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه ،... ». رواه مسلم[1].

ـ **إذا رأىٰ منهم ما يكره ، فعليه أن يستر** ، ما لم يكن في السكوت خطر على الأمة ، والمقصود ما كان خاصاً ، ولا يتتبع عورات المسلمين ليفسدها ، لأنّا نُهينا عن ذلك ، ومن فعل ذلك فضحه الله تعالى ولو في عقر داره .

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم قال : « المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يُسلِمه ـ الحديث ، وفيه ـ ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة ». متفق عليه ، وقد مر ذكره قبل قليل .

كما مر حديثُ أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، والذي فيه قوله صلى الله عليه وآله وسلَّم : « ...ومن ستر مسلماً ؛ ستره الله في الدنيا والآخرة ». رواه مسلم .

لذا أقول : يا ساكن مكة ؛ لا يذهب الحجاجُ بالمغفرة والشفاعة ، والرحمة ، وتذهب أنت بالدنيا .

يا ساكن مكة ؛ تذكر قولَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم للأنصار رضي الله عنهم وأرضاهم يوم حنين : « ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا [وفي رواية بالشاة ، والبعير ، بالأموال] وتذهبون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم إلى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به ». متفق عليه[2].

وأقول أيضاً : لو علم ساكن مكة ماله من الثواب والجزاء ، لعجز عن

---

(١) صحيح مسلم : كتاب الذكر والدعاء : باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ، رقم (٣٨).

(٢) صحيح البخاري : كتاب المغازي : باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان . وصحيح مسلم : كتاب الزكاة : باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام ،... رقم (١٣٩) وفي غيرها .

شكر الله تعالى ، والله تعالى أعلم .

أسأل الله تعالى أن يكرمنا جميعاً بفضله ورضاه ، ويرزقنا القوة في الأعضاء والإيمان ، والصحة والعافية في الأبدان ، ويجعل خير أعمالنا خواتيمها ، وخير أعمارنا أواخرها ، وخير أيامنا يوم نلقاه ، ويكرمنا بالأمانة فيما استودعنا في الباطن والظاهر ، إنه نعم المولىٰ ونعم النصير .

وصلى الله على سيدنا ومولانا وحبيبنا محمد ، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين . آمين ، آمين ، آمين .





الخاتمة ، أحسن الله ختامنا جميعًا

وفي ختام ذكري لهذا المختصر : أرجو الله تعالى أن أكون قد وُفِّقتُ في إظهار منزلة ساكن هذه المدينة المكرمة المباركة ، وبيان مسؤوليته ، ولو بشكل مختصر ، لأن إعطاء الصورة الحقيقة الكاملة لها يحتاج إلى جهد أكبر ، ووقت أطول ، لكن حسبي ما ذكرت ، راجياً منه تعالى قبوله ، وأن ينفع به من قرأه أو سمعه ، وأن يكون ما ذكرتُ دالّاً على المقصود .

كما أسأله عز وجل المبتدئ لنا بنعمه قبل استحقاقها ، المديمها علينا بإفضاله مع تقصيرنا ، الجاعلنا في خير أمة أُخرجت للناس ، أن يأخذ بأسماعنا وأبصارنا وألسنتنا وقلوبنا إلى طاعته ، وأن يملك لنا أنفسَنا وألسنتَنا وجميعَ جوارحنا عما يخالف طاعتَه تعالى ، وطاعة ومتابعة نبيه المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، وأن لا يكلنا إلى أنفسنا طرفةَ عين ، ولا أقلَّ من ذلك ، فإنه إذا وَكَلَنا إليها : وَكَلَنا إلى غير كافٍ ، وأن يحضرنا بالعصمة والتوفيق ، وينطق ألسنتنا بالحق الذي لا تخلطه الشبه ، ولا تميل به الأهواء ، ولا تخونه الغفلات .

اللهم ارزقني الصدقَ في القول والقصد ، والإخلاصَ في العمل ، والنجاح في المقصد ، وحققني فيما أدعو إليه ، واجعل سائر أعمالي خالصةً لوجهك الكريم ، واغفر لي ولوالِدَي ولوالد والِدَي ولمشايخي وزوجي وأولادي وأحفادي ، ومن يلوذ بي ، واحفظنا جميعاً بعنايتك ، وتولنا بفضلك ، واكلأنا بعنايتك ، وسدِّد خطانا على منهج حبيبك المصطفى الكريم صلى الله عليه وآله وسلَّم ، ولا تُسلِّط علينا من لا يخافك ولا يرحمنا ، وارزقنا حسن الختام من غير ابتلاء ولا

محنة ، واجمعنا جميعاً ومن نحب في مستقر رحمتك ، بزمرة حبيبك المصطفى الكريم ، ونبيك المجتبى الفخيم ، وصفوة خلقك العظيم ، صلى الله عليه وآله وسلَّم ، برحمتك يا أرحم الراحمين . اللهم آمين ثم آمين .

وصلى الله على سيدنا وحبيبنا ومولانا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلَّم تسليماً كثيراً .

والحمد لله رب العالمين .

وكتب

أبو إبراهيم

خليل إبراهيم مُلّا خاطر العزَّامي

نزيل المدينة المنورة

☆☆☆☆☆

مصادر الرسالة

١ ـ القرآن الكريم .

(أ)

٢ ـ الآداب ، للإمام البيهقي ، ت محمد عبد القادر عطا ، مكتبة عباس الباز ، مكة المكرمة .

٣ـ إتحاف الخيرة المهرة ، للإمام البوصيري ، ت عبد الرحمٰن سعد والسيد محمود إسماعيل ، مكتبة الرشد بالرياض .

٤ ـ إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، لابن فهد . جامعة أم القرى بمكة

٥ ـ إتحاف المهرة ، للحافظ ابن حجر ، نشر مركز خدمة السنة بالجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة .

٦ـ أخبار أصبهان للحافظ أبي نعيم الأصبهاني ، الدار العلمية .

٧ ـ أخبار الدجال ، خليل إبراهيم ملا خاطر .

٨ـ أخبار مكة ، للأزرقي ، ت رشدي ملحس ، مطابع دار الثقافة ، بمكة .

٩ـ أخبار مكة ، للفاكهي ، ت الدكتور عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة بمكة المكرمة .

١٠ ـ اختلاف الحديث ، للإمام الشافعي ، ت عامر أحمد حيدر ، نشر مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

١١ ـ الأدب المفرد ، للإمام البخاري ، ت كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت .

١٢ـ الأذكار ، للإمام النووي ، ت محمد رياض خورشيد ، مكتبة الغزالي ومؤسسة مناهل العرفان .

١٣ـ الاستيعاب ، للحافظ ابن عبد البر ، ت علي معوض وعادل عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٤ ـ أُسْد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير الجزري ، دار الفكر ، بيروت .
١٥ ـ الأسماء والصفات للإمام البيهقي ، ت الشيخ محمد زاهد الكوثري
١٦ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ ابن حجر ، ت البجاوي ، دار نهضة مصر ، القاهرة .
١٧ ـ الإفصاح ، لابن هبيرة ، المؤسسة السعيدية ، الرياض .
١٨ ـ الأم ، للإمام الشافعي ، كتاب الشعب ، مصر .
١٩ ـ الإنصاف للمرداوي ، ت محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية القاهرة .
٢٠ ـ الأوائل ، للإمام الطبراني ، ت محمد السعيد البسيوني ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
٢١ ـ الأوائل ، للإمام أحمد بن عمرو النبيل ، ت محمد ناصر العجمي ، دار الخلفاء ، الكويت .

(ب)

٢٢ ـ البحر الزخار (مسند البزار) ت الدكتور محفوظ الرحمٰن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ، ومكتبة العلوم والحكم .
٢٣ ـ البداية والنهاية ، للإمام ابن كثير ، مكتبة النصر الحديثة ، الرياض ، ومكتبة المعارف ، بيروت .
٢٤ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للحافظ الهيثمي ، ت الدكتور حسين الباكري ، مركز السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

(ت)

٢٥ ـ تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، الخانجي ، مصر .
٢٦ ـ تاريخ جرجان ، لحمزة السهمي ، ت محمد حبيب الله القادري ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .
٢٧ ـ تاريخ أبي زرعة الدمشقي ، ت شكر الله القوجاني ، مجمع اللغة العربية ، بدمشق .
٢٨ ـ التاريخ الكبير ، للإمام البخاري ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند
٢٩ ـ تحفة الأشراف للحافظ المزي ، ت عبد الصمد شرف الدين ، الدار القيمة .

٣٠ ـ الترغيب والترهيب ، للحافظ المنذري ، دار الفكر ، بيروت .

٣١ـ تفسير الثوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٣٢ ـ تفسير الطبري ، نسخة دار المعارف .

٣٣ـ تفسير القرطبي ، دار الكتاب العربي ، القاهرة .

٣٤ـ تفسير ابن كثير ، دار الفكر ، بيروت .

٣٥ ـ تلخيص المستدرك ، للحافظ الذهبي ، بحاشية المستدرك .

٣٦ـ التمهيد ، للحافظ ابن عبد البر ، نشر وزارة الأوقاف ، بالمغرب .

٣٧ ـ تهذيب الكمال ، للحافظ المزي ، ت الدكتور بشار عواد ، مؤسسة الرسالة .

(ث)

٣٨ ـ الثقات ، لابن حبان ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .

(ج)

٣٩ ـ جامع الأحاديث ، ترتيب الشيخ أحمد عبد الجواد ، المدينة المنورة ، دمشق .

٤٠ـ الجامع لأخلاق الراوي ، للإمام الخطيب البغدادي ، ت الدكتور محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، بالرياض .

٤١ـ جامع الأصول ، لابن الأثير ، ت الشيخ عبد القادر الأرناؤوط ، دمشق .

٤٢ ـ الجامع الصغير ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .

٤٣ ـ جزء حديث « ماء زمزم لما شرب له » للحافظ ابن حجر ، ت الدكتور سائد بكداش ، بآخر كتاب (فضل ماء زمزم).

(ح)

٤٤ ـ حاشية المحرر = النكت والفوائد السنية لابن مفلح ، مكتبة المعارف بالرياض .

٤٥ ـ حلية الأولياء ، لأبي نعيم ، مكتبة الخانجي ومطبعة السعادة ، مصر .

(خ)

٤٦ـ الخصائص الكبرى ، للإمام السيوطي ، دار الكتب العلمية .

٤٧ ـ خلق أفعال العباد للإمام البخاري ، ت الدكتور عبد الرحمٰن عميرة ، دار عكاظ بجدة .

(د)

٤٨ ـ الدر المنثور ، للحافظ السيوطي ، دار الفكر ، بيروت .

٤٩ـ الدعاء ، للإمام الطبراني ، ت الدكتور محمد سعيد البخاري ، دار البشائر الإسلامية . بيروت .

٥٠ ـ دلائل النبوة ، لأبي نعيم ، ت الدكتور محمد رواس القلعجي ، المطبعة العربية ، حلب .

٥١ ـ دلائل النبوة ، للإمام البيهقي ، ت الدكتور عبد المعطي القلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٢ دول الإسلام ، للحافظ الذهبي ، ت فهيم شلتوت وآخر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

(ر)

٥٣ ـ روح المعاني ، للعلامة الآلوسي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

٥٤ ـ الروض الأنف ، للإمام السهيلي ، توزيع الباز ، مكة المكرمة .

٥٥ ـ الروضتين ، لأبي شامة ،

٥٦ ـ رياض الصالحين للإمام النووي ، ت عبد العزيز رباح وأحمد الدقاق دار المأمون ، دمشق .

(ز)

٥٧ ـ زاد المسير ، لابن الجوزي ، ت الدكتور محمد عبد الرحمٰن عبد الله ، دار الفكر ، بيروت .

٥٨ـ الزهد ، للإمام أحمد بن حنبل ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٩ ـ الزهد ، للإمام عبد الله بن المبارك ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي .

٦٠ـ الزهد ، للإمام هناد بن السري ، ت الدكتور عبد الرحمٰن الفريوائي ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت .

٦١ـ الزهد ، للإمام وكيع ، ت الدكتور عبد الرحمٰن الفريوائي ، مكتبة الدار ، بالمدينة المنورة .

(س)

٦٢ ـ سبل الهدى والرشاد للإمام الصالحي ، ت عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٦٣ـ السلوك لمعرفة الملوك ، للإمام المقريزي ، دار الكتب العلمية ، بيروت

٦٤ ـ سنن الترمذي ، ت الشيخ أحمد محمد شاكر وآخرين ، المكتبة الإسلامية ، بيروت .

٦٥ـ سنن الدارقطني ، ت السيد عبد الله هاشم يماني . المدينة المنورة .

٦٦ ـ سنن الدارمي ، ت السيد عبد الله هاشم اليماني ، المدينة المنورة

٦٧ ـ سنن أبي داود ، ت الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار إحياء السنة النبوية .

٦٨ ـ السنن الكبرى ، للإمام البيهقي ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند

٦٩ ـ السنن الكبرى ، للإمام النسائي ، ت الدكتور عبد الغفار البنداري وسيد كسروي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٧٠ ـ سنن ابن ماجه ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

٧١ ـ سنن النسائي ، بحاشيتي السيوطي والسندي .

٧٢ ـ السنة ، لابن أبي عاصم ، ت الدكتور باسم الجوابرة ، دار الصميعي ، الرياض .

٧٣ ـ السيرة النبوية ، لابن كثير ، ت مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت .

٧٤ـ السيرة النبوية ، لابن هشام ، بشرح الروض الأنف .

(ش)

٧٥ ـ شرح الزرقاني على الموطأ ، ط عبد الحميد حنفي ، مصر .

٧٦ـ شرح السنة ، للإمام البغوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

٧٧ـ شرح السيوطي على النسائي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت

٧٨ـ شرح معاني الآثار ، للإمام الطحاوي ، ت محمد زهدي النجار

٧٩ ـ الشريعة ، للإمام الآجري ، ت الدكتور عبد الله عمر الدميجي ، دار الوطن بالرياض .

٨٠ ـ شعب الإيمان ، للإمام البيهقي ، ت بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
ورجعت إلى طبعة الدار السلفية ، الهند .
٨١ ـ شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلَّم ، للحافظ ابن كثير ، ت نشر دار القبلة .

(ص)

٨٢ ـ صحيح البخاري ، بشرح فتح الباري ، السلفية ، القاهرة .
٨٣ ـ صحيح ابن حبان ، ت الشيخ شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة .
٨٤ ـ صحيح ابن خزيمة ، ت الدكتور محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي .
٨٥ ـ صحيح مسلم ، ت الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي ، عيسى البابي الحلبي ، القاهرة .

(ع)

٨٦ ـ العقد الثمين في أخبار البلد الأمين ، للإمام الفاسي ، ت فؤاد السيد ، القاهرة .
٨٧ ـ عمدة القاري ، للإمام العيني ، تصوير عن الطبعة المنيرية .
٨٨ ـ عمل اليوم والليلة ، لابن السني ، ت الدكتور عبد الرحمٰن كوثر البرني ، دار الأرقم ، بيروت .

(غ)

٨٩ ـ غريب الحديث ، لأبي عُبيد ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .

(ف)

٩٠ـ فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني ، المطبعة السلفية ، القاهرة
٩١ ـ الفروع ، لابن مفلح الحنبلي ، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة .
٩٢ـ فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل ، ت وصي الله محمد عباس ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ، مكة المكرمة .
٩٣ـ فضائل الصحابة ، للإمام النسائي ، ت الدكتور فاروق حمادة ، المغرب .
٩٤ـ فضائل الصحابة الكرام ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، دار القبلة ، جدة .

٩٥ـ فضائل المدينة المنورة ، خليل إبراهيم ملا خاطر ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٩٦ ـ فضل ماء زمزم ، الدكتور سائد بكداش ، دار البشائر الإسلامية .

٩٧ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للحافظ المناوي ، القاهرة .

(ك)

٩٨ ـ الكامل ، لابن الأثير الجزري ، دار صادر ، بيروت .

٩٩ ـ الكامل ، لابن عدي ، دار الفكر ، بيروت .

٩٩ ـ كشف الأستار بزوائد البزار ، للحافظ الهيثمي ، ت حبيب الرحمٰن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة .

١٠١ ـ كشف الخفاء ، للإمام العجلوني ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

١٠٢ ـ الكنى ، للدولابي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

١٠٣ـ كنز العمال ، للعلامة علي المتقي الهندي ، مكتبة التراث الإسلامي ، حلب

(م)

١٠٤ـ مجمع بحار الأنوار ، للعلامة محمد طاهر الهندي ، دار المعارف العثمانية ، الهند .

١٠٥ـ مجمع البحرين ، للحافظ الهيثمي ، ت عبد القدوس محمد نذير ، مكتبة الرشد ، الرياض .

١٠٦ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، للحافظ الهيثمي ، دار الكتاب ، بيروت .

١٠٧ ـ محاسبة النفس ، لابن أبي الدنيا ، ت مجدي السيد إبراهيم ، مكتبة الساعي .

١٠٨ـ المختارة ، للحافظ الضياء المقدسي ، ت الدكتور عبد الملك بن دهيش ، مكتبة النهضة الحديثة ، مكة المكرمة .

١٠٩ ـ مختصر زوائد مسند البزار ، للحافظ ابن حجر ، ت صبري عبد الخالق ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت .

١١٠ ـ مختصر فضائل مكة المكرمة ، خليل إبراهيم ملا خاطر .

١١١ـ مختصر المزني ، بحاشية الأم .

١١٢ـ المستدرك ، للإمام الحاكم النيسابوري ، تصوير أمين دمج ، بيروت
١١٣ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي ، ودار صادر ، بيروت .
١١٤ـ مسند الحميدي ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، باكستان .
١١٥ـ مسند الشاشي ، ت الدكتور محفوظ الرحمٰن زين الله ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .
١١٦ـ مسند الإمام الشافعي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١١٧ـ مسند الشهاب ، للإمام القضاعي ، ت حمدي السلفي ، مؤسسة الرسالة
١١٨ ـ مسند الطيالسي ، دار الكتاب اللبناني ودار التوفيق ، بيروت .
١١٩ ـ مسند عبد بن حميد ، ت السيد صبحي السامرائي .
١٢٠ـ مسند علي بن الجعد ، ت الدكتور عبد المهدي عبد الهادي ، مكتبة الفلاح ، الكويت .
١٢١ ـ مسند أبي يعلى الموصلي ، ت الأستاذ حسين أسد ، دار المأمون للتراث بدمشق .
١٢٢ـ مشكل الآثار ، للإمام الطحاوي ، دائرة المعارف النظامية ، الهند .
١٢٣ ـ مصابيح السنة ، للإمام البغوي ، ت الدكتور يوسف المرعشلي وجماعة ، دار المعرفة ، بيروت .
١٢٤ـ مصباح الزجاجة على زوائد ابن ماجه ، للإمام البوصيري ، ت محمد المنتقى الكشناوي ، الدار العربية ، بيروت .
١٢٥ـ مصنف ابن أبي شيبة ، الدار السلفية ، الهند .
١٢٦ ـ مصنف عبد الرزاق ، ت الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي ، بيروت .
١٢٧ـ المطالب العالية ، للحافظ ابن حجر ، نسختان : النسخة المسندة ، والأخرى بتحقيق الشيخ حبيب الرحمٰن الأعظمي .
١٢٨ـ المعجم الأوسط ، للإمام الطبراني ، ت طارق عوض الله وآخر ، دار الحرمين بالقاهرة .
١٢٩ـ معجم الشيوخ ، لابن جُميع الصيدلاني ، ت الدكتور عمر التدمري ، مؤسسة الرسالة .

١٣٠ـ المعجم الصغير ، للإمام الطبراني = الروض الداني ، ت محمد شكور إمرير ، المكتب الإسلامي ودار عمار بعمان .
١٣١ ـ المعجم الكبير ، للإمام الطبراني ، ت الأستاذ حمدي السلفي ، بغداد .
١٣٢ـ المغني ، لابن قدامة المقدسي ، ت الدكتورين عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو ، هجر بالقاهرة .
١٣٣ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار ، للحافظ العراقي ، بحاشية إحياء علوم الدين .
١٣٤ـ مفرج الكروب ، لابن واصل .
١٣٥ـ المقاصد الحسنة ، للإمام السخاوي ، ت الشيخ عبد الله بن الصديق مكتبة الخانجي والمثنىٰ .
١٣٦ـ منحة المعبود ، للشيخ البنا الساعاتي ، القاهرة .
١٣٧ ـ موارد الظمآن بزوائد ابن حبان ، للحافظ الهيثمي ، ت الشيخ عبد الرزاق حمزة ، المطبعة السلفية بالقاهرة .
١٣٨ـ الموطأ ، للإمام مالك ، ت محمد فؤاد عبد الباقي ، القاهرة .
١٣٩ ـ ميزان الاعتدال ، للحافظ الذهبي ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة .

☆☆☆☆☆

فهرس الرّسالة

☆☆☆☆☆

قائمة بأسماء كتب المؤلف

أ ـ المدرسة المدنية :

١ ـ الخصائص التي انفرد بها ﷺ عن سائر الأنبياء عليهم السلام .

٢ ـ عظيم قدره ﷺ ورفعة مكانته عند ربه عز وجل ، الطبعة العاشرة ، وترجم لعدد كبير من اللغات .

٣ ـ شمائل الرسول الأمين ﷺ (تحت الطبع).

٤ ـ سيرة الرسول ﷺ ـ العهد المكي ـ كما وردت في كتب السنة .

٥ ـ الإشارة ، للحافظ مغلطاي (تحقيق).

٦ ـ فضائل النبي الكريم ﷺ كما وردت في القرآن العظيم (تحت الطبع).

٧ ـ الأمانة العظمىٰ ونبيها ﷺ ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

٨ ـ الشوق إلى رسول الله ﷺ من الجذع إلى ثوبان .

٩ ـ مع رسول الله ﷺ في رمضان (تحت الطبع).

١٠ ـ الصلاة على النبي ﷺ . مكانتها ، أحاديثها ، مواطنها ، حكمها ، فوائدها ، وثمراتها .

١١ ـ الحسن بن علي رضي الله عنهما ؛ الخليفة الراشد الخامس .

١٢ ـ فضائل الصحابة الكرام رضي الله عنهم ، نشر دار القبلة ، بجدة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٣ ـ فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الخامسة . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٤ ـ مختصر فضائل المدينة المنورة ، الطبعة الثالثة . نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

١٥ ـ فضائل مكة المكرمة .

١٦ ـ مكانة الحرمين الشريفين ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن . وقد ترجم لبعض اللغات .

١٧ ـ أمية النبي المصطفى ﷺ ، والرد على منكريها ، نشر دار القبلة .

١٨ ـ مكانة النبي الكريم ﷺ بين الأنبياء عليهم السلام . طبع مطابع الرشيد .

١٩ ـ الشفاعة ، والرد على منكريها (تحت الطبع).

٢٠ ـ ساكن المدينة المنورة ، منزلته ومسؤوليته . طبعة ثانية . نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٢١ ـ مختصر فضائل مكة المكرمة (تحت الطبع).

٢٢ ـ ساكن مكة المكرمة ، منزلته ومسؤوليته ، دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٢٣ ـ الآيات المنيفة في الأعضاء الشريفة (تحت الطبع).

٢٤ ـ الرحمة المهداة ﷺ (تحت الطبع).

٢٥ ـ الآيات الربانية في السيرة النبوية (حلقات ، وبعضها تحت الطبع).

٢٦ ـ الحب المتبادل (بين رسول الله ﷺ وبين المدينة المنورة) نشر دار القبلة .

٢٧ ـ فضائل بلاد الشام (تحت الطبع).

ب ـ مدرسة الإمام الشافعي رحمه الله تعالى :

٢٨ ـ الإمام الشافعي وأثره في الحديث وعلومه (تحت الطبع).

٢٩ ـ مسألة الاحتجاج بالشافعي فيما أسند إليه ، والرد على الطاعنين بعظم جهلهم عليه ، للخطيب البغدادي رحمه الله تعالى (تحقيق) طبعة ثانية .

٣٠ ـ بيان خطأ من أخطأ على الشافعي ، للإمام البيهقي (تحقيق) نشرتها رئاسة الإفتاء بالرياض .

٣١ ـ حجية الحديث المرسل عند الإمام الشافعي . طبعة ثانية ، دار القبلة .

٣٢ ـ مناقب الإمام الشافعي ، لابن الأثير ، وهو من كتابه الشافي ، نشر دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن .

٣٣ ـ الشافي في شرح مسند الشافعي ، لابن الأثير (تحقيق ، تحت الطبع).

٣٤ ـ ثلاثيات الإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٣٥ ـ السنن للإمام الشافعي ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٣٦ ، ٣٧ ـ المسند للإمام الشافعي ، ومعه شافي العي ، للحافظ السيوطي (تحقيق).

٣٨ ـ الإمام الشافعي وعلم مختلف الحديث ، ستعاد طباعته إن شاء الله تعالى .

٣٩ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للحافظ ابن كثير ، نشر مكتبة الإمام الشافعي بالرياض .

٤٠ ـ مناقب الإمام الشافعي ، للآبري (تحقيق).

٤١ ـ تخريج أحاديث الأم ، للإمام البيهقي (تحقيق).

ج ـ علوم الحديث رواية :

٤٢ ـ مجموع الحديث ، للشيخ محمد بن عبد الوهاب (تحقيق) بالاشتراك مع الأخ الأستاذ الدكتور محمود طحان ، نشر جامعة الإمام ، بالرياض .

٤٣ ـ سبل السلام ، تعليق وتصحيح ـ بالاشتراك ، طبعة رابعة ، نشر جامعة الإمام .

٤٤ ـ شرح أربعين حديثاً ـ مكتوب على الآلة الكاتبة .

٤٥ ـ سلسلة الذهب (الشافعي ، عن مالك ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما) جمع ، وتخريج ، وتعليق . نشر دار القبلة ، بجدة .

٤٦ ـ صحيفة (أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه) جمع ، وتخريج ، وتعليق (تحت الطبع).

٤٧ ـ شرح أربعين باباً من سنن الترمذي ـ قسم العبادات ـ (تحت الطبع).

د ـ علوم الحديث دراية :

٤٨ ـ بدعة دعوىٰ الاعتماد على الكتاب دون السنة .

٤٩ ـ مكانة الصحيحين ، طبعة ثانية ، نشر دار القبلة .

٥٠ ـ السنة النبوية وحي (تحت الطبع).

٥١ ـ مختصر السنة النبوية وحي ، نشر دار القبلة .

٥٢ ـ شبهات حول السنة ودحضها ، نشر دار القبلة .

٥٣ ـ نشأة علوم الحديث (تحت الطبع).

*** المبسوط في علوم الحديث ، وطبع منه :**

٥٤ ـ الحديث المتواتر .

٥٥ ـ الحديث الآحاد . الحلقة الأولىٰ .

٥٦ ـ الحديث المعلل ، طبعة ثانية ، نشرتها كلها دار الوفاء ، بجدة .

٥٧ ـ مقدمة شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، شرح وتعليق ، نشر دار المدينة المنورة . بالمدينة المنورة .

٥٨ ـ الإسناد من الدين ، والرد على الطاعنين فيه (تحت الطبع).

٥٩ ـ الإمام البخاري وصحيحه والرد على الطاعنين فيهما (تحت الطبع).

٦٠ ـ مختصر علوم الحديث (تحت الطبع).

هـ ـ الأجزاء الحديثية :

٦١ ـ الإصابة في صحة حديث الذبابة ، دار القبلة . والثانية تحت الطبع .

٦٢ ـ مشروعية صيام ست من شوال ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

٦٣ ـ تحريم نكاح المتعة (تحت الطبع).

و ـ بين الإنسان والجماد :

٦٤ ـ الإدراك عند الجمادات .

٦٥ ـ معرفة الله عز وجل بين الإنسان والجماد .

٦٦ ـ شوق الجمادات واستجابتها له ﷺ .

٦٧ ـ محبة النبي ﷺ وطاعته بين الإنسان والجماد ، ط ثالثة ، دار القبلة .

ز ـ بحوث مهمة في الكتاب والسنة :

٦٨ ـ حقوق الوالدين (القسم الأول : وهو بر الوالدين) نشر دار القبلة .

٦٩ ـ حقوق الزوجين .

٧٠ ـ المرأة في القرآن .

٧١ ـ الإحسان في القرآن .

٧٢ ـ زواج السيدة عائشة رضي الله عنها ، ومشروعية الزواج المبكر ، نشر دار القبلة . وستعاد طباعته قريباً إن شاء الله تعالى .

٧٣ ـ النظافة بين العلم والإيمان .

٧٤ ـ العلوم والإيمان ، نشر دار القبلة ، ومؤسسة علوم القرآن .

ح ـ الفتن وأشراط الساعة :

٧٥ ـ العداوة بين الإنسان والشيطان وأثر ذلك على الجريمة .

٧٦ ـ كيف أرسى الإسلام قواعد الأمن في الأرض .

٧٧ ـ أشراط الساعة .

٧٨ ـ مختصر أشراط الساعة ، نشر دار القبلة .

٧٩ ـ أخبار الدجال .

٨٠ ـ الردة قديمها وحديثها .

٨١ ـ المسيح عليه السلام ، قطعية رفعه ، وتواتر نزوله .

☆☆☆☆☆